المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدّراسات الإسلامية
قسم التاريخ

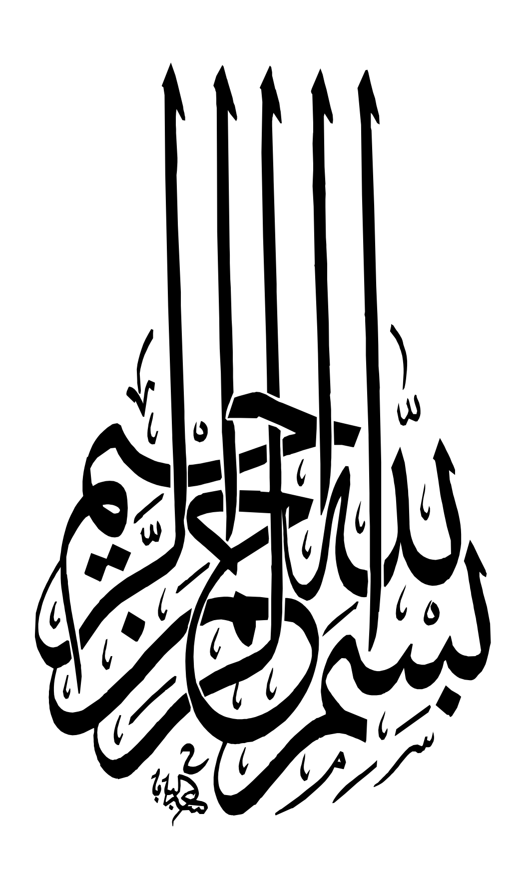


الأخلاق النبوية
وأثرها في انتشار الإسلام

إعداد الطالبة
حمدة بنت عبد ربه عبيدان السّلمي
الرقم الجامعي:(٤٢٨٨٠١٦٩)

إشراف فضيلة الدكتور
أ.د/ محمد بن صامل السلمي

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م



تقديم

بقلم: د. محمد بن صامل السلمي

سيرة النبي ﷺ منهج حياة لكل مسلم فهو الرسول المبلغ عن الله وهو الأسوة والإمام والقدوة ، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١] وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ.....الآية﴾ [النساء: ٦٤]

قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء:٨٠]. فالله سبحانه وتعالى أمر بطاعة الرسول ﷺ وأخبر أن طاعته طاعة لله عز وجل والرسول هو البشر والقدوة الماثلة أمام الخلق في كيفية العبادة والسلوك والتعامل حسبما شرع الله وأراد لخلقه، ولهذا فإن سيرته تطبيق عملي للوحي الذي أنزل إليه، وفي فهم الكتاب العزيز والسنة المطهرة نحتاج لسيرته الفعلية والقولية والتقريرية حتى نوقع النصوص مكانها ونحقق مقاصدها ومناطاتها.

وقد كان رسول الله ﷺ داعية بهيئته وسلوكه وخلقه وتعامله كما كان داعية بقوله وأمره ونهيه، ومن هنا اتسعت سيرته لتشمل كافة جوانب الحياة وحاجات الإنسان المتعددة بحسب الأحوال والأزمان.

وفي دراسات السيرة النبوية كانت العناية بالمنهجية في الدراسة وتحقيق النصوص والوقائع مع نشر كتب التراث واستخراج ما فقد منها،

ثم كانت الدراسات التطبيقية ثمرة هذا الجهد العلمي في توجيه الدراسات والبحوث العلمية لخدمة السيرة النبوية، وقد تظافرت عليه همم ثلة من الأساتذة والرواد في هذا العصر من أمثال شيخنا المفضال الدكتور أكرم ضياء العمري الذي حمل الراية وعلق الجرس فتجاوبت لندائه أصداءٌ فحملت الراية وشقت الطريق، وقد أصبحت اليوم دراسات السيرة النبوية ذات منهجية علمية واضحة تنفخ الروح في النصوص لتحييها وتحيي بها القلوب المؤمنة العاملة بدينها والمتأسية بإمامها وقدوتها رسول الله ﷺ .

وهذه الدراسة التي نقدم لها هي من الدراسات التطبيقية لأخلاق النبي ﷺ وأثرها في قبول الإسلام وانتشاره، وما أحوج الأمة اليوم إلى مثلها لتعيد الصلة والربط بين العلم والعمل (إذ مقتضى العلم العمل).

وما تفرق المسلمون وتأخروا إلا حين حصل الفصام النكد بين العلم والعمل، حيث صار العلم حرفة وصنعة من الصنائع يكتسب بها المرء في دنياه، وأقصد بذلك العلم الشرعي الذي مقصودة وغايته العمل والانصباغ به حتى يكون هوية وممارسة سلوكية ومهارة تربوية اجتماعية.

وهذه الدراسة اجتهدت الباحثة تحت إشرافي في جامعة أم القرى، لإظهار نصوصها وإثبات وقائعها لتكون قدوة للمسلمين وتطبيقاً ماثلاً لأثر خُلق النبي ﷺ في المحبة والتأليف والتأسي والاقتداء ، وقد وفقت — ولله الحمد — في عرض نصوص ووقائع السيرة المتعلقة بالشمائل والأخلاق النبوية وبيان أثرها في قبول الإسلام وانتشاره في الزمن النبوي

ثم استمر أثرها وصداها بعده على أيدي من سلكوا سلوكه وتأسوا بأخلاقه قروناً عدة.

وهذه الدراسة صنو لدراسة أخرى أعدت تحت إشرافي أيضًا عن أثر دلائل النبوة في انتشار الإسلام في العهد النبوي ، وستنشر قريباً إن شاء الله.





المقدمـــــة

المقدمـــــة

إِنَّ الْحَمْدَ لله، نَحْمدُهُ، وَنَسْتعينُهُ، وَنَستغفرُهُ، وَنَسْتهديهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمَنَ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مِنَ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِد لَهُ وَلِيّا مرْشِدا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، خصنا بخير كتاب أنزل، وأكرمنا بخير نبي أرسل، وجعلنا بالإسلام خير أمة أخرجت للناس، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، وصفيه وخليله من خلقه، أرسله رحمة للعالمين، اللهم صلي على محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه وسار على نهجه إلى يوم الدين، اللهم أحيينا على سنته وأمتنا على ملته، واحشرنا في زمرته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

أما بعد:

فإن أحقّ ما يعتني به الباحثون، دراسة سيرة رسول رب العالمين، ورحمته إلى الناس أجمعين، نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فهو سيد الدعاة وإمامهم، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَـذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾[1] .

(١) سورة الأحزاب، آية:٤٥-٤٦.

وهو عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ القدوة والأسوة الحسنة، كما قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ ﴾[1].

ومن لوازم ذلك، لزوم سبيله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدعوة، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾[2].

ولزوم الاقتداء به في أخلاقه وشمائله التي امتدحها القرآن الكريم حيث قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[3].

كما أنّ سيرة المصطفى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحوي جوانب شتى، وتثير الاهتمام من وجوه عدة، حيث جعل الله تعالى في شخصيته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سعة وشمولاً لأحوال وأدوار متعددة.

❋ فهو الداعي الأول إلى دين الله، الذي نجح في دعوته، وشهد له بذلك الأتباع والأعداء.

❋ وهو صاحب الخلق الرفيع الذي استطاع بهذه الأخلاق الفاضلة نشر الإسلام وتمكينه في قلوب أتباعه.

❋ وهو المؤسس لمجتمع غاية في الرقي السلوكي الأخلاقي والاجتماعي.

---

(١) سورة الأحزاب، آية:٢١.

(٢) سورة يوسف، آية: ١٠٨.

(٣) سورة القلم، آية:٤.

* وهو نبي أمة تساقطت أمامها كيانات ودول كثيرة.
* وهو القائد المظفر في ميدان المعركة.
* وهو القاضي الذي يفصل في الخصومات بعلم وعدل.
* وهو المعلم والمربي الذي يربي فئات متنوعة؛ لتقوم بحمل الرسالة وإحسان تطبيقها.
* وهو الأب الذي استغرب بعض جفاه العرب عاطفته، وحسن تربيته، وتعامله مع أبنائه.
* وهو الزوج الذي اجتمع عليه بيته ففضلنه زوجاته على متع الحياة الدنيا.

فالاطلاع والتزود من سيرة النبي الكريم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخاصة الوقائع التاريخية المتعلقة بأخلاق النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يدفع المسلم والمسلمة نحو إسلامه ويشوقه إلى معرفة الكثير عن هذه الشخصية العظيمة، التي كان لها الأثر الكبير في نجاح وانتشار الدعوة والسبب هذه الأخلاق الرائعة التي اتصف بها سيد المرسلين.

وهنا تكمن أهمية هذه الدراسة التاريخية في معرفة أثر أخلاق النبي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في انتشار الاسلام ، فهي دراسة تاريخية دعوية، سواء وجهت الدعوة إلى المسلمين لزيادة إيمانهم وتحقيق صدق متابعتهم للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أم وجهت لغير المسلمين الذين يمكن التأثير فيهم من خلال بيان هذه الأخلاق والشمائل الفاضلة التي تميز شخصيته

عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ومن المعلوم أن من الأمور التي تؤثر في المدعو، معرفته وتأثره بأخلاق صاحب الرسالة، وكثيراً ما يبدأ الناس بالتعرف على الأديان والمذاهب من خلال النظر في أخلاق وشمائل أعلامها وقادتها.

التمهيـــد

كمال أخلاق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشمائله، وفيه مبحثان:

۞ المبحث الأول: التعريف بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

۞ المبحث الثاني: أخلاقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل البعثة وبعد البعثة.

المبحث الأول: التعريف بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

هو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان(١).

وأمه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي: آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، وهي يومئذ تعد أفضل امرأة في قريش نسباً وموضعاً، وأبوها سيد بني زهرة نسباً وشرفاً(٢).

توفي عبدالله بن عبدالمطلب والد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآمنة أم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حامل به(٣).

---

(١) ابن هشام، أبومحمد، عبدالملك بن هشام المعافري: السيرة النبوية، (ط٢، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م)، ج١، ص٢٥.

(٢) ابن سعد، محمد بن سعد البصري: الطبقات الكبرى (تحقيق: محمد عبدالقادر عطية، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧)، ج١، ص٤٩.

(٣) البيهقي، أبو بكر، أحمد بن الحسين: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة (تعليق: عبدالمعطي قلعجي، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ-٢٠٠٨م)، ج١، ص١٨٧.

وعندما وضعته أمه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرسلت إلى جده عبدالمطلب، ودخل به الكعبة، فقام يدعو الله ويشكر له ما أعطاه، ثم خرج به إلى أمه، فدفعه إليها، والتمس لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرضعاء(1).

وكان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أمه آمنة بنت وهب وجده عبدالمطلب بن هاشم، في كلاءة الله وحفظه ينبته الله نباتاً حسناً، لما يريد به من كرامته، فلما بلغ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ست سنين توفيت أمه آمنة بنت وهب، وكفله جده عبدالمطلب بن هاشم، وكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالاً له، فكان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأتي وهو غلام، حتى يجلس عليه، فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه، فيقول عبدالمطلب إذا رأى ذلك منهم دعوا، ابني فوالله إن له لشأناً، ثم يجلسه معه على الفراش، ويمسح ظهره بيده، ويسره ما يراه يصنع(2).

فلما بلغ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثماني سنين هلك عبدالمطلب بن هاشم فتكفله عمه أبو طالب، فرعاه وآواه وحفظه ولم يسلمه للأعداء، فَشَبَّ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والله تعالى يكلؤه ويحفظه ويحُوطه من

---

(١) السهيلي، أبو القاسم، عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد بن أبي الحسن، الخثعمي: الروض الأنف (تعليق: مجدي بن منصور بن سيد الشوري، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت)، ج١، ص٢٨٤.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص١٧٠.

أقذار الجاهلية، لما يريد به من كرامته ورسالته، حتى بَلَغ أن كان رجُلاً أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقاً، وأكرمهم حسباً، وأحسنهم جواراً، وأعظمهم حلماً، وأصدقهم حديثاً، وأعظمهم أمانة، وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال تنزهاً وتكرماً، حتى كان اسمه في قومه الأمين لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة[1]، ثم أكرمه الله سبحانه وتعالى بالنبوة والرسالة وأنزل عليه القرآن فامتثل صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما أوحي إليه حتى وصفت أم المؤمنين عائشة خلقه بقولها: «كان خلقه القرآن»[2].



---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص١٨٣.

(٢) النووي: محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الدين: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض، (تحقيق خليل مأمون شيحا، ط١٧، دار المعرفة، بيروت، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩)م، ج٦، ص٢٦٨، ح(١٧٣٦-١٣٩).

المبحث الثاني: أخلاقه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل البعثة وبعد البعثة

أولاً: أخلاقه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل البعثة:

كانت حياته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل البعثة قائمة على الرعي، يقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما من نبي إلا وقد رعى الغنم» قيل: وأنت يا رسول الله؟ قال: «نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة»[1].

ولقد كانت هناك إرهاصات تنبئ بنبوته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منها على سبيل المثال:

أولا: الرؤيا الصادقة:

فعن السيدة عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: « إن أول ما بدىء به رسول الله من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح »[2].

---

(١) البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسننه وأيامه (تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، ط١، دار الرسالة العالمية/ دمشق، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م، كتاب الإجارة، باب رعي الغنم على قراريط، ج٢، ص٢٧٧ ح(٢٢٦٢).

(٢) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ج١، ص٤ ح(٣)؛ ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص٢٢٦.

ثانيا: تسليم الحجر عليه:

فعن جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث إني لا أعرفه الآن» [1].

ثالثاً: حُبب إليه الخلاء والتحنث:

لقول السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في الحديث السابق: « ثم حبب إليه الخلاء، فكان يخلو بغار حراء يتحنث -يتعبد- فيه الليالي ذوات العدد»[2].

❋ حديث حليمة السعدية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عما رأته من الخير بعد تسلمها له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

كانت حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية أم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي أرضعته تحدثت أنها خرجت من بلدها مع زوجها وابن لها صغير ترضعه في نسوة من بني سعد بن بكر، تلتمس الرضعاء، قالت:

---

(١) النووي: محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الدين: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (تحقيق خليل مأمون شيحا، ط١٧، دار المعرفة، بيروت، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩) كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الحجر عليه، ج١٥-١٦، ص٣٨، ٣٩، ح(٥٨٩٨)؛ ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص٢٢٦.

(٢) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب بدء الوحي، باب كان بدء الوحي إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ج١، ص٤ ح(٣).

"وذلك في سنة شهباء لم تبق لنا شيئاً، قالت: فخرجت على أتان لي قمراء، معنا شارف لنا والله وما تبض بقطرة، وما نام ليلنا أجمع من صبينا الذي معانا من بكائه من الجوع، وما في ثديي ما يغنيه، وما في شارفنا ما يغذيه ولكن كنا نرجو الغيث والفرج، حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء، فما منَّا امرأة إلا وقد عُرض عليها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتأباه، إذا قيل لها: إنه يتيم، وذلك إنا كنا نرجو المعروف من أبي الصبي، فكنا نقول: يتيم! وما عسى أن تصنع أمه وجده؟ فكنَّا نكرهه لذلك، فما بقيت امرأة قدمت معي إلا أخذت رضيعاً غيره، فلما أجمعنا على الانطلاق، قلت لصاحبي والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ولم آخذ رضيعاً، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلأخذنه، قال: لا عليك أن تفعلي عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة، فلما وضعته في حجري أقبل علي ثدياي بما شاء من لبن، فشرب حتى روي، وشرب معه أخوه حتى روي، ثم ناما وما كنا ننام معه قبل ذلك، وقام زوجي إلى شارفنا تلك فإذا إنهاالحافل، فحلب منها ما شرب، وشربتُ معه حتى انتهينا رياً وشبعنا، فبتنا بخير ليلة، قالت: يقول صاحبي حين أصبحنا « تعلمي والله يا حليمة لقد أخذت نسمة مباركة » قالت: فقلت: والله إني لأرجو ذلك، قالت: ثم خرجنا وركبت أنا أتاني وحملته عليها معي فوالله لقطعت بالركب ما يقدر عليها شيء من حمرهم حتى إن صواحبي ليقلن لي:... يا ابنة أبي ذؤيب وَيْحَك ارْبَعِي عَلَيْنَا ، أَلَيْسَتْ هَذِهِ أَتَانَك الّتِي كُنْت خَرَجْت عَلَيْهَا ؟ فَأَقُولُ لَهُنّ بَلَى

وَاَللّهّ إنّهَا لَهِيَ هِيَ فَيَقُلْنَ وَاَلله إنّ لَهَا لَشَأْنًا . قَالَتْ ثُمّ قَدِمْنَا مَنَازِلَنَا مِنْ بِلَادِ بَنِي سَعْدٍ وَمَا أَعْلَمُ أَرْضًا مِنْ أَرْضِ اللّهّ أَجْدَبَ مِنْهَا ، فَكَانَتْ غَنَمِي تَرُوحُ عَلَيّ حِينَ قَدِمْنَا بِهِ مَعَنَا شِبَاعًا لُبّنًا ، فَنَحْلُبُ وَنَشْرَبُ وَمَا يَحْلُبُ إنْسَانٌ قَطْرَةَ لَبَنٍ وَلَا يَجِدُهَا فِي ضَرْعٍ حَتّى كَانَ الْحَاضِرُونَ مِنْ قَوْمِنَا يَقُولُونَ لِرُعْيَانِهِمْ وَيْلَكُمْ اسْرَحُوا حَيْثُ يَسْرَحُ رَاعِي بِنْتِ أَبِي ذُؤَيْبٍ ، فَتَرُوحُ أَغْنَامُهُمْ جِيَاعًا مَا تَبِضّ بِقَطْرَةِ لَبَنٍ وَتَرُوحُ غَنَمِي شِبَاعًا لُبّنًا . فَلَمْ نَزَلْ نَتَعَرّفُ مِنْ اللّهّ الزّيَادَةَ وَالْخَيْرَ حَتّى مَضَتْ سَنَتَاهُ وَفَصَلْتُهُ وَكَانَ يَشِبّ شَبَابًا لَا يَشِبّهُ الْغِلْمَانُ فَلَمْ يَبْلُغْ سَنَتَيْهِ حَتّى كَانَ غُلَامًا جَفْرًا . قَالَتْ فَقَدِمْنَا بِهِ عَلَى أُمّهِ وَنَحْنُ أَحْرَصُ شَيْءٍ عَلَى مُكْثِهِ فِينَا ، لِمَا كُنّا نَرَى مِنْ بَرَكَتِهِ . فَكَلّمْنَا أُمّهُ وَقُلْت لَهَا : لَوْ تَرَكْت بُنَيّ عِنْدِي حَتّى يَغْلُظَ فَإِنّي أَخْشَى عَلَيْهِ وَبَأَ مَكّةَ ، قَالَتْ فَلَمْ نَزَلْ بِهَا حَتّى رَدّتْهُ مَعَنَا »[1].

وهكذا رجع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى بني سعد، حتى إذا كان بعده بأشهر وقعت حادثة شق الصدر، فقد روي مسلم عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: (هذا حظ الشيطان منك)، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمَهُ أي جمعه وضم بعضه إلى بعض، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص١٦٦؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج١، ص٩١-٩٢؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج١، ص١٣٣، ١٣٤.

يسعون إلى أمه، فقالوا: إن محمداً قد قُتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون.. قال أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: وقد كنت أرى أثر ذلك الخيط في صدره»[1].

فرجعت حليمة به صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلى أمه خشية أن يكون قد أصيب، فأعادته إلى أهله خوفاً عليه.

فلما بلغ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ست سنين توفيت أمه آمنة بنت وهب، فصار مع جده عبدالمطلب بن هاشم ، وكان صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ جليلاً مفضلاً لدى جده عبدالمطلب ، وكان يؤثره على أولاده.

وفيما يلي بعض الجوانب من أخلاقه العظيمة صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قبل أن يبعث ما يدل على صدقه صلوات الله وسلامه عليه.

لقد بعث الله محمداً صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لهدف واضح ومحدد وهو: أن يتمم مكارم الأخلاق التي بدأها الأنبياء، وهي الدين الحق وتوحيد الله وإقامة العدل والقسط في الأرض.

لذا فإن من الطبيعي أن يكون هو نفسه تام الخلق، قدوة في مكارم الأخلاق ومفطوراً على محاسنها[2].

---

(١) النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ على السماوات، ج١، ص٣٨٣ ح(٣٣٢)؛ البيهقي:دلائل النبوة، ج١، ص١٤٧.

(٢) وقد ورد عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «إنما بعثت =

إن نظرة متأنية إلى حياة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لتشير إلينا بحقيقة واضحة، وهي أن حياته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منذ ولادته قد تضمنت إعداداً ربانياً، تماماً كما أعد الله عَزَّ وَجَلَّ من قبله كل من اصطفاهم لحمل رسالته[1].

ولعل هذا الإعداد للنبي الخاتم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتجلى في: اشتهاره بين قومه بحُسن السيرة والثقة في مرجعيته، حتى أنه « عُرف صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل البعثة بالصادق الأمين»[2]

فإن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو من أوسط العرب نسباً، فقد تمثل فيه هذا الخلق بأبهى صورة منذ بزوغ نجمه ونعومة أظفاره، وما كان صدقه لأغراض شخصية أواجتماعية، إنما كان صدقاً فطرياً خلقه الله تعالى فيه، ليؤهله لما يقصده منه من حمل الرسالة وتبليغها للبشرية.

وقد شهد له بهذا الخلق العظيم: فالله خير الشاهدين، كما شهد له بذلك أعداؤه، وشهد له به المؤمنون في مواقف متعددة ومقامات مختلفة.

= =لأتمم صالح الأخلاق» أحمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، (ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت)، ج١٤، ص٥١٣ ح(٨٩٥٢).

(١) انظر: أماني زكريا المرادي، أخلاق النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **في الحرب، بحث منشور في موقع نصرة رسول الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ http://rasoulallah.net/index.php/ar/

(٢) المصدر نفسه.

* شهادة الله تعالى لنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخلق الصدق:

أما شهادة الله تعالى لسيدنا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا الخلق العظيم بخصوصه، زيادة على شهادته سبحانه له بعظمة الأخلاق عامة، فهي شهادات حسية ومعنوية.

أما الشهادات الحسية:

ففي آيات من كتابه المبين منها قوله سبحانه: ﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾[1].

وقوله: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾[2].

وغير ذلك من الآيات الكثيرة الواردة في القرآن الكريم والدالة على صدقه –صلوات الله وسلامه عليه–، أما الشهادة المعنوية فهي تأييده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ له بالمعجزات الكثيرة كالقرآن الكريم، وانشقاق القمر، وتسبيح الحصى، وحنين الجذع، وتكثير الطعام، والإخبار بالمغيبات...[3].

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢٢.

(٢) سورة الزمر، آية: ٣٢.

(٣) الحداد، أحمد بن عبدالعزيز بن قاسم: أخلاق النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القرآن والسنة (بيروت، ط٢، دار الغرب الإسلامي، ١٤١٩هـ-١٩٩٩)، ج١، ص٤١٣.

فهذه هي شهادة الله تعالى لنبيه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا الخلق بخصوصه، كما شهد له به ضمن شهادته بعظمة أخلاقه عامة، والصدق في مقدمة تلك الأخلاق.

***شهادة أعدائه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له بالصدق:**

أعداء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يقدروا على إخفاء أخلاقه العظيمة، بل اضطروا إلى بيانها والشهادة بها في مواقف عديدة:

١-فأبي سفيان لما سأله هرقل عن صدقه وقال له: « هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال أبو سفيان: لا، هكذا يشهد له بهذه الحقيقة التي لا تُغالب، فعندئذٍ قال له هرقل: « وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله »[1].

والمعنى: أنه لو كان متهماً بالكذب، لظهر ذلك من كذبه على الناس، إذ لا يمكن أن يكذب على الله ولا يكذب على الناس، لأن الكذب على الناس أهون من الكذب على الله تعالى فكيف يترك الأهون ويعمد إلى الأشد؟ فاستدل على صحة نبوته بهذا الخلق العظيم وهكذا كانت أخلاقه منبئة عن نبوته وهي علم من أعلامها، وذلك عندما تجد عقولاً نيرة خالية من الكبر والعناد، أما إذا كابرت وعاندت

---

(١) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب الوحي، باب كيف بدء الوحي على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ج١، ص٧ ح(٧).

فإنه لا ينفع مع ذلك برهان كما كان من أهل مكة حينما أقام عليهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحجة بما يعلمونه عنه من صدق وأمانة وكمال في الأخلاق، وأذعنوا لذلك وأقروا له، بها ولما دعاهم إلى الإيمان به وبما جاء به: عاندوا وتنكروا لتلك الحقيقة[1].

٢-فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾[2].

« خرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى صعد الصفاء، فهتف يا صباحاه، فقالوا: من هذا؟ فاجتمعوا إليه، فقال: أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقيَّ، قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، وفي رواية قال لهم: « أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقيَّ؟ قالوا: ما جربنا عليك كذباً!!، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد »[3].

٣-قال النضر بن الحارث[4]: « يا معشر قريش إنه والله قد نزل

---

(١) الحداد: أخلاق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القرآن والسنة، ج١، ص٤١٤.

(٢) سورة الشعراء، آية: ٢١٤.

(٣) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب التفسير باب: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾، ج٣، ص٦٤٢ ح(٤٧٧)؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج١، ص٦١.

(٤) هو النضر بن الحارث: بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبدالدار، أحد صناديد =

بكم أمر ما ابتليتم بمثله، لقد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً، أرضاكم عقلاً، وأصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانة حتى إذا رأيتم في صد غيه الشيب، وجاءكم بما جاءكم قلتم: ساحر؟ لا والله ما هو بساحر قد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم، وقلتم: كاهن؟ لا والله ما هو بكاهن، قد رأينا الكهنة وحالهم وسمعنا سجعهم، وقلتم: شاعر؟ لا والله ما هو بشاعر، لقد رأيناالشعر وسمعنا أصنافه كلها: هزجه ورجزه وقريضه وقلتم: مجنون؟ لا والله ما هو بجنون لقد رأينا الجنون، فما هو بخنقة ولا سوسته ولا تخليطه ثم قال لهم: يا معشر قريش، انظروا في شأنكم فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم »[(١)].

فهذا كلام النضر بن الحارث الذي كان شيطاناً من شياطين قريش، وممن كان يؤذي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وينصب ليه العداوة.

وكذا قال غيره كلاماً نحو ذلك من إثبات صدق النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكماله الخلقي والخلقي، كالوليد بن المغيرة وعتبة بن

= قريش وأعلامها، اشتهربمعاداته لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكان إذا جلس رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مجلساً فدعا فيه إلى الله تعالى وتلا فيه القرآن وحذر فيه قريش ما أصاب الأمم الخالية خلفه في مجلسه إذا قام فحدثهم عن رستم واسفنديار وملوك فارس ثم يقول: والله ما محمد بأحسن حديثاً مني وما حديثه إلا أساطير الأولين فأنزل الله فيه ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [القلم:١٥]؛ انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص٣٣.

(١) البيهقي: دلائل النبوة، ج٥، ص٢٠٢.

ربيعة وغيرها.

❋ تمثل خلق الأمانة في النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

إذا كانت الأمانة خلقاً عظيماً في سائر الناس لما لها من الأثر العظيم في صلاح الدين والدنيا، ولذا كانت واجبة على كل مسلم، فإنها في أنبياء الله ورسله أعظم، وفي حقهم أوجب وألزم، بل هي من الأخلاق الأساسية الأربع التي يجب توفرها فيهم وهي (الصدق، والأمانة، والتبليغ، والفطانة) وقد فطرهم الله تعالى عليها ليرشحهم بها لحمل رسالاته إلى خلقه، وقد كانوا مضرب المثل في التحلي بهذه الأخلاق العظيمة[1].

ونبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد كان في ذروة الذري من هذه الأخلاق، وكماله فيها فاق كل كمال، كما تشهد لذلك الوقائع التالية:

نشأ يتيماً مطبوعاً على الصدق والأمانة لا يعرف لهما بديلاً منذ نشأته وترعرعه، وهو لا يكاد يعرف في أوساط قومه إلا بالأمين، فيقولون: جاء الأمين وذهب الأمين، حتى حل محل الرضا من قلوبهم وعقولهم، كما دل على ذلك احتكاكهم إليه في قصة رفع الحجر الأسود عند بنائهم الكعبة المشرفة بعد تنازعهم في استحقاق شرف رفعه ووضعه في محله، حتى كادوا يقتتلون لولا اتفاقهم على تحكيم أول داخل يدخل المسجد الحرام فكان ذلك الداخل هو محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) أحمد الحداد، أخلاق النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القرآن والسنة، ج٢، ص٥٣٨.

« فلما رأوه قالوا: هذا الأمين رضينا هذا محمد، فلما انتهى إليهم، وأخبروه الخبر قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هلم إلى ثوباً، فأتي به فأخذ الركن فوضعه فيه بيده الطاهرة، ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعاً ففعلوا، حتى إذا بلغوا به موضعه، وضعه هو بيده ثم بنى عليه، قال ابن هشام: وكانت قريش تسمي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل أن ينزل عليه الوحي الأمين»[1].

هكذا كان خلق الأمانة سبباً لرضاهم بحكم هذا الشاب اليتيم وحل فتنة كادت تشتعل بين بطون قريش فتودي بحياة كثير منهم لولا أن الحكمة العظيمة من صاحب الأمانة العظيمة أطفأتها، وما كان لهذه الحكمة أن تبرز لو لم يكن خلق الأمانة قد مهد الطريق أمامها، مما جعلهم يرضون بحكمه دون أن يتسرب إليهم شك في محاباة أو مداهنة فئة على أخرى، لعلهم بعظيم أمانته وثقتهم به، بل لقد جعلتهم ثقتهم الكبيرة بأمانته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينقلون إلى بيته أموالهم ونفائس مدخراتهم لتكون وديعة عنده، فكان ليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده، لما يعلم من صدقه وأمانته، ولم يزل ذلك دأبهم حتى بعد معاداته بسبب دعوته لهم إلى الإيمان بالله تعالى وترك عبادة الأوثان لا يختلجهم شك في أمانته، وهم له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معادون، كما دل على ذلك تركه علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مكة بعد

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص٢٨؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٤٤٦.

هجرته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ليردوا ودائع الناس التي كانت عنده « فأقام علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بمكة ثلاث ليال وأيامها حتى أدى عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الودائع التي كانت عنده للناس، حتى إذا فرغ منها لحق برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1].

ولقد شهد له صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأمانة الأعداء والأصدقاء على حد سواء، وذلك دليل على شيوع هذا الخلق فيه، وتسليم الكل له به.

*فأبي سفيان زعيم مكة لما كان قبل إسلامه أمام هرقل ملك الروم، لم يستطع أن يخفي هذا ا لخلق العظيم، وهو الحريص على أن يظلمه حقه أو يطعن فيه بدافع العداء له حينئذاك، ولكن لما سأله عماذا يأمر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أجابه أبو سفيان بأنه:.. يأمر بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة ».

-وأما الأصدقاء: فمنه ما قالته خديجة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا له عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عند ابتداء تنزل الوحي: «.. فوالله إنك لتؤدي الأمانة وتصل الرحم وتصدق الحديث.... »[2].

وهكذا نشأ الحبيب صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متصفاً بكمال الأخلاق ثم أكرمه الله بالنبوة والرسالة التي عززت مكارم الأخلاق ومحاسنها، وحذرت من مساويها فكان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرجعاً لكمال الأخلاق

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص٤٤٥.

(٢) السهيلي: الروض الآنف، ج١، ص٢٧٤.

بسيرته وفعله، وبقوله وأمره وتقريره.

ثانياً: أخلاقه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بعد البعثة:

عرف الحبيب صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بعد بعثته بالنبوة بتمام أخلاقه، ويكفي ما قاله عنه-سبحانه في كتابه العزيز-: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1].

وأي شهادة بعد شهادة رب العالمين على عظيم خلق صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ودينه الذي جاء به.

وهناك آيات كثيرة توضح خلقه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ومن تلك الآيات:

-قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾[2].

وفي هذه الآية إشارة عظيمة بخلق النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

وإذا كانت الآية الأولى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[3]، قد نزلت في أول الوحي حيث التكذيب والأذى والاستضعاف، فإن الآية

---

(١) سورة القلم، آية: ٤.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

(٣) سورة القلم، آية: ٤.

الثانية نزلت ورسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في منعة من المسلمين وقوة في المجاهدين، ومع ذلك لم تتغير أخلاقه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بعد هذه السنين الطويلة التي مرت بين الآيتين، ورغم اختلاف الأحوال الداعية إلى اختلاف الطبائع والأخلاق في العادة، غير أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لم يزدد وعلى مر الأيام وتحقيق النصر إلا رسوخاً في الأخلاق، وكمالاً في العظمة، كيف لا؟ وشهادة الله تعالى له بعظمة الخُلق، شهادة مستمرة لا يطرأ عليها التغير بتغير أحواله في مستقبل دعوته وأيام حياته[1].

فقد كان صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ على سمت واحد في الخلق رغم تغير الأحوال والأزمان.

ومن الأحاديث التي تبين أخلاقه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ:

١-حديث خديجة بنت خويلد أم المؤمنين رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا في قصة الوحي، وهو حديث مشهور، وجاء فيه قولها رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا وهي تطمئن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مما أفزعه من هول الملك في بداية التنزيل عليه: « كلا والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل[2]، وتكسب

---

(١) الحداد: أحمد بن عبدالعزيز بن قاسم: أخلاق النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في القرآن والسنة، ج١، ص٧٣-٧٤.

(٢) الكلُّ: هو من لا يقدر على العمل والكسب، وتحمل الكل، أي: تَكفُل اليتيم وتحمل ثقل العجزة.

انظر: البخاري: الجامع الصحيح، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ج١، ص٥ ح(٣).

المعدوم[1]، وتقري الضيف[2]، وتعين على نوائب الحـق »[3][4].

٢-حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الذي أجابت سائلها من أخلاقه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والذي قالت فيه: « إن خلق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان القرآن »[5].

وقد كان من عظمة أخلاقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التكافؤ في الأخلاق بحيث كان في كل مظهر من مظاهر الأخلاق، تبدو أخلاقه متكافئة، بحيث لا يطغى جانب من أخلاقه على جانب آخر، ولا مظهر على مظهر، فكان " صبره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثل شجاعته، وشجاعته مثل كرمه، وكرمه مثل حلمه، وحلمه مثل رحمته، ورحمته مثل مروءته.. وهكذا لا نجد له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خلقاً في موضعه من الحياة يزيد أو ينقص على

---

(١) أي: توتي المال من لا يجده يقال: كسبه وأكسبه، أي: أعطاه وآتاه، المصدر نفسه، ج١، ص٥ ح(٣).

(٢) أي: تطعم الضيف، والقرى: الطعام الذي يقدم للضيف.المصدر نفسه، ج١، ص٥ ح(٣).

(٣) النوائب: جمع نائبة، وهي الحادثة والنازلة، خيراً أو شراً، وإنما قال: « نوائب الحق » لأنها تكون في الحق والباطل، المصدر نفسه، ج١، ص٥ ح(٣).

(٤) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ج١، ص٥ ح(٣).

(٥) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، كتاب صلاة المسافرين، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه، أو مرض، ج٦، ص٢٦٧، ح(١٧٣٦).

خلق آخر في موضعه منها كمالاً وتماماً وعظمة، وهذا التكافؤ الخلقي في شخصية محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوشك أن يكون معجزة الحياة في الإنسان؛ لأن التاريخ لم يذكر من النماذج العليا للبشرية كان هذا التكافؤ الخلقي خليقته العامة سوى الرسل عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وعلى رأسهم أولو العزم من الرسل، ويجمع سيدنا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا التوازن بأبهى صورة، بحيث إذا ذكر غيره من النماذج العليا ذكرعنواناً لتبرير جزئي في بعض الأخلاق والفضائل، فهذا مثل مضروب في الصبر، وذاك في الحلم، وثالث في الكرم، ورابع في الشجاعة... وهكذا تتفرق الأمثال في الأخلاق والفضائل في نماذج متعددة، ولكنها تجتمع متكافئة في شخصية محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهذا هو سر الإعجاز الإنساني في حياته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1].

ولذلك كانت أخلاقه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علماً من أعلام النبوة، ودليلاً من أدلتها؛ لأنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد بلغ من الأخلاق ذرورة الكمال بحيث لم يكن في عصر الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما داني طرفيه، من قاربه في فضله ولا داناه في كماله خِلقاً وخلقًا وقولاً وفعلاً.

وسيأتي في المباحث الآتية ما يؤكد هذه الحقائق، ويعطي النماذج الكثيرة التي اهتدت بحسن خلقه ولطف تعامله وكمال هديه وسيرته.

لقد كان لأخلاقه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العظيمة أثر بالغ في هداية الناس

---

(١) أحمد الحداد: أخلاق النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القرآن والسنة، ج١، ص٧١، ٧٢.

إلى الإسلام، تبين ذلك من عامة أخلاقه ولاسيما طيب معاملته وحسن خطابه وكرمه وعفوه وصفحه ومنّه...، على كثير من الناس في مواقف كثيرة، ومناسبات عديدة، فكانت عظمة أخلاقه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبباً مباشراً في إسلامهم وهدايتهم، وما كان لهم أن يسلموا لولم يتأثروا بتلك الأخلاق العظيمة، وذلك لما كانوا عليه من النفور والإباء والحمية الجاهلية، فكانت معاملته بتلك الأخلاق مفتاح هدايتهم.



الفصل الأول

طيب المعاملة وحسن الخطاب

وفيه ثلاثة مباحث:

۞ المبحث الأول: مسارعة من عاشره عن قرب إلى الدخول في الإسلام.

۞ المبحث الثاني: حسن الخطاب مع المدعوين.

۞ المبحث الثالث: طيب المعاملة.

المبحث الأول

مسارعة من عاشره عن قرب
إلى الدخـول في الإســــلام

<u>وفيـــــه:</u>

التمهيـــــــد.

١) إسلام خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

٢) إسلام علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٣) إسلام أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٤) إسلام زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

* * * ** * * *

تمهيـــد

لقد كان من أعظم دلائل نبوته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عظمة أخلاقه، كما يدل على ذلك وصف الله تعالى له بعظمة الخلق حيث قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[1].

وأول هذه الدلائل، فراسة زوجته خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قبل إسلامها، حيث استدلت بكرم أخلاقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أن الله تعالى قد هيأه بتلك الفضائل الخلقية لما هو أعظم منها، وهي النبوة، فإنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت بقربه وعونه وساعده الأيمن في تلك المواقف التي تعرض لها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بداية نزول الوحي عليه ولقائه بالملك في غار حراء، فما أن رأت ذلك كله حتى بشرته بالخير، واستدلت على ذلك بما هو عليه من مكارم الأخلاق، فقالت له: «كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق»[2].

وبذلك اطمأنت خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بتحقيق ما كانت تتمناه في رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكانت أول من آمن من النساء ثم بادر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى صديقه الحميم أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليخبره بما أكرمه الله

---

(١) سورة القلم، آية: ٤.

(٢) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب بدء الوحي، باب كيف بدء الوحي إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ج١، ص٥ ح(٣).

به من النبوة والرسالة، ويدعوه إلى الإيمان به، فآمن به دون تردد، وشهد شهادة الحق، فكان أول من آمن بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الرجال، إذ كان من أخص أصحابه قبل البعثة عارفاً به صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبأخلاقه، وكان يعلم من صدق النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمانته ما يمنعه من الكذب على الخلق، فكيف يكذب على الله؟ ولذا بمجرد ما ذكر له النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الله أرسله رسولاً، سارع إلى تصديقه والإيمان به، ولم يتردد[1].

وأيضاً ممن عاشره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان قريباً منه بل ربى في حجر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابن عمه علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الذي نشأ تحت رعايته، وتربى في بيت النبوة ونهل من معين أخلاق رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشيء الكثير الذي جعله يدرك إدراكاً تاماً أن ما جاء به رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الحق المبين، حتى جاء ذات يوم فوجد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخديجة يصليان، فعرض عليه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال له: ماذا عرضت علي يا محمد؟ قال له رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وتكفر باللات والعزى، وتبرأ من الأنداد، ففعل علي وأسلم، فكان أول من آمن به من الصبيان، وصدقه وآزره في يوم هجرته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) البيهقي: دلائل النبوة، ج٢، ص١٦٤.

ولا يخفى علينا أيضاً ربيب بيت النبوة ومولى رسول الله ﷺ زيد بن حارثة رضي الله عنه الذي أصابه سباء في الجاهلية فاشتراه حكيم بن حزام لخديجة بنت خويلد رضي الله عنها فوهبته لرسول الله ﷺ ، وعاش في بيت محمد صلى الله عليه وسلم وتحت رعايته حتى تمكن حب رسول الله في قلبه، ولم يستطع أن يفارقه بدليل أنه اختار العيش مع محمدصلى الله عليه وسلم على الرجوع مع أبيه وعمه قائلاً لهم (قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالذي اختار عليه أحداً أبداً)، فلا ريب بأنه بادر إلى التصديق به والإيمان برسالته فكان أول من أسلم من الموالي رضي الله عنه وأرضاه.



١- إسلام خديجة بنت خويلد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا[١]

هناك حقيقة إيمانية لابد أن يدركها كل مسلم، وهي أن من عاش في بيت النبوة وعاشر محمدا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنه سوف يتأثر بآدابه ويتحلّى بها، وهذا ما امتازت به السيدة خديجة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا مع ما امتازت به من أخلاق وصفات قبل زواجها من الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث تذكر الروايات أنها كانت امرأة حازمة جلدة شريفة مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير، وهي يومئذ أوسط قريش نسباً وأعظمهم مالاً، وكل قومها حريص على نكاحها لو قدر على ذلك، وقد طلبوها وبذلوا لها الأموال[٢].

وكانت قريش قوماً تجاراً، فلما بلغها عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما بلغها من صدق حديثه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه، بعثت إليه

---

(١) هي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي القرشية الأسدية، زوج النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال الزبير: كانت تدعى في الجاهلية: الطاهرة، أمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم، وقال قتادة: ولدت له خديجة غلامين وأربع بنات القاسم وبه كان يكنى وعاش حتى مشى، وعبدالله مات صغيراً، ومن النساء فاطمة، وزينب، ورقية، وأم كلثوم. انظر: ابن عبدالبر، أبي عمر يوسف: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (تحقيق: خليل مأمون شيحا، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م)، ص٨٧٤.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص١٠٩.

فعرضت أن يخرج في مالها تاجراً إلى الشام، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار، فقبله رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منها، وخرج في مالها ذلك، وخرج معه غلامها ميسرة، حتى قدم الشام[1].

ثم باع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سلعته التي خرج بها، واشترى ما أراد أن يشتري، ثم أقبل قافلاً إلى مكة ومعه ميسرة وقد لاحظ ميسرة، أنه إذا كانت الهاجرة واشتد الحر فيرى ملكين يظلانه من الشمس وهو على بعيره، فلما قدم مكة على خديجة بمالها باعت ما جاء به فأضعف أو قريباً، وحدثها ميسرة عما كان يرى من إظلال الملكين إياه، وكانت خديجة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا امرأة حازمة شريفة لبيبة، مع ما أراد الله بها من كرامته، فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها به بعثت إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالت له: يا ابن عم، إني قد رغبت فيك، لقرابتك، وسطتك[2] في قومك، وأمانتك، وحسن خلقك، وصدق حديثك، ثم عرضت عليه نفسها.

وكانت أول امرأة تزوجها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا[3].

---

(١) البيهقي، دلائل النبوة، ج١، ص٦٥؛ ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص١٨٧.

(٢) وسطتك: شرفك. انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص١٨٨.

(٣) انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص١٨٨-١٨٩.

وكانت خديجة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا على بصيرة -في اختيارها لمحمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- ليتاجر في مالها من ناحية، ومن ثم لاحظت تميزاً لا يوجد في غيره من الرجال فسارعت بالزواج منه، وهذا يدل على فطنتها وذكائها في اتخاذ القرار الصائب، الذي لم يأت إلا بعد خبرة وصفاء سريرة.

إن قارئ السيرة يرى أن خديجة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا أحست أن محمداً صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ سيكون له شأن فاختارت أن تكون رفيقة دربه، تحتضن نبوغه وتحيطه بكل ما تقدر عليه من رعاية ودعم، وتريحه من السعي وراء الرزق، فقد كان مهموماً بضلال قومه يكثر التأمل بحثاً عن الحق، فاحترمت رغبته.

أصبح ينطلق إلى الجبال يمكث الأيام والليالي في غار حراء، متفكراً يقلب وجهه في السماء، يرجو الهداية إلى الطريق القويم.. فرضيت أن ترعاه من بعيد.. ترسل له الزاد مع خدمها، ولا تتعرض له بلوم أو عتاب على غيابه من أسرته،.. فهي ربة الأسرة إن غاب.. وهي الود والأنس والسكن إن عاد.. تراقبه مبهورة بما وصل إليه من صفاء في النفس حتى إذا جاء اليوم الذي نزل فيه الوحي عليه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بأول سورة اقرأ، كان موقفها رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا من نزول الوحي موقفاً إيمانياً صادقاً، حيث ذكرته بنعم الله عليه السابقة قبل الوحي والرسالة، ومن كانت هذه صفاته وأخلاقه فهو حري أن لا يناله شراً أو خزياً، وأن ما حدث كان تأهيلاً لأمر عظيم، وهو النبوة[1].

---

(١) اللحام: حنان، هدي السيرة النبوية في التغيير الاجتماعي، (ط١، دار الفكر، دمشق ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م) ص٣٢.

لقد كان لصدق السيدة خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أكبر الأثر في تثبيت وتبشير الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخاصة بعد نزول الوحي عليه لأول مرة، وهو في غار حراء وخوفه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وارتعاده من فجاءة ما حدث، حيث دخل على السيدة خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهو يرجف فؤاده قائلاً: زملوني[1]، زملوني، فزملته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهدأت من نفسه الشريفة، ثم أخبرها الخبر، فقالت له عباراتها الصادقة وكلماتها الإيمانية الواثقة بالله: "كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل[2]، وتكسب المعدوم[3]، وتقري الضيف،

---

(١) زملوني: كل ملفوف في ثياب فهو مزمل ومنه حديث النبي عله السلام في أول يوم ما رأى جبريل عليه السلام قال: فجئثت منه فرقاً. [وبعضهم] يقول: جثثت قال الكسائي: هما جميعاً من الرعب يُقال: رجل مجؤوث ومجثوث فقال: فأتى خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فقال: زملوني. فإذا فعل الرجل ذلك بنفسه قيل: قد تزمل وقد تدثر وهو متزمل ومتدثر. البغدادي: أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبدالله، غريب الحديث، (تحقيق: محمد عبدالمعيد خان، ط١، دائر المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م)، باب زمل، ج٢، ص٧١.

(٢) تحمل الكل: من الأثقال والحوائج المهمة والعيال وكل ما يتكلف ويثقل حمله فهو كل. أبو عبدالله بن أبي نصر: محمد بن فتوح بن عبدالله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحميدي، تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلسم، (تحقيق: زبيدة محمد سعيد عبدالعزيز، ط١، مكتبة السنة، القاهرة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م)، باب حديث عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ج١، ٥٠٩.

(٣) منهم من جعل الكسب لنفسه وأنه يصل إلى كل شيء معدوم فلا يتعذر عليه لبعده وقيل يكسب المعدوم أي يعطيه غيره ويوصله إلى من هو معدوم عنده يُقال: كسبت مالاً وكسبت زيداً مالاً أي أعنته على كسبه ومنهم من عداه بالألف فقال أكسبت =

وتعين على نوائب الحق"[1].

وفي هذا يقول الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وفيه بيان تصديقها للنبي صَلَّىٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -من أول وهلة- ومن ثباتها في الأمر: ما يدل على قوة يقينها ووفور عقلها، وصحة عزمها »[2].

وبعد نزول مطلع سورة المدثر، أسرعت السيدة خديجة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا بكل ثقة وفخر تعلن إيمانها بزوجها صَلَّىٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لتحظى بأفضلية السبق إلى الإسلام، فكانت أول من آمن به وصدقت بما جاء من الله وآزرته على أمره، فخفف الله بذلك عن نبيه صَلَّىٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا يسمع شيئاً مما يكرهه من رد عليه وتكذيب له فيحزنه ذلك إلا فرج الله عنه بها إذا رجع إليها، تثبته وتخفف عليه وتهون عليه أمر الناس رحمة الله تعالى عليها[3].

= زيداً مالاً وأنشد وأكسبني مالاً وأكسبته حمداً وهذا الوجه أولى. أبو عبدالله بن أبي زمر، تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، باب حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، ج١، ص٥٠٩.

(١) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان يدر الوحي إلى رسول الله صَلَّىٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ج١، ص٥ ح(٣).

(٢) ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري (ط١، دار السلام، الرياض، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م)، ج١١، ص١٢٩.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص٢٤٥.

ومنذ بداية الدعوة أعلنت إسلامها، فقامت تصلي مع زوجها ﷺ عند الكعبة غير آبهة بما قد يحدث لها.

ففي رواية ابن إسحاق: أن الصلاة حين افترضت على رسول الله ﷺ آتاه جبريل ينظر إليه، ليريه كيف الطهور للصلاة، ثم توضأ رسول الله ﷺ كما رأى جبريل يتوضأ، ثم قام به جبريل فصلى به، وصلى رسول الله ﷺ بصلاته، ثم انصرف جبريل عليه السلام فجاء رسول الله ﷺ خديجة، فتوضأ لها ليريها كيف الطهور للصلاة كما أراه جبريل، فتوضأت كما توضأ لها رسول الله ﷺ ثم صلى بها رسول الله ﷺ كما صلى به جبريل، فصلت بصلاته(1).

وموقف خديجة رضي الله عنها في مسارعة إيمانها وإسلامها وتصديقها لما جاء به رسول الله ﷺ يدل على سعة إدراكها، حيث قارنت بين ما سمعت وواقع النبي ﷺ من خلال معاشرتها له فأدركت أن من جُبِلَ على مكارم الأخلاق لا يخزيه الله أبداً، فقد وصفته بأنه يصل الرحم، وكون الإنسان يصل أقاربه دليل على استعداده النفسي لبذل الخير والإحسان إلى الناس، فإن أقارب الإنسان هم المرآة الأولى لكشف أخلاقه، فإن نجح في احتواء أقاربه وكسبهم بما له عليهم من معروف كان حرياً أن ينجح في كسب

---

(1) ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص٢٣٤؛ البيهقي، دلائل النبوة، ج٢، ص١٢٠.

الآخرين من البشر، وخير مثال على ذلك أنه عندما اختلفت قريش فيمن يضع الحجر وأشار عليهم أبو أمية بن المغيرة وكان أسن قريش كلها، قال: يا معشر قريش، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه، ففعلوا، فكان أول داخل عليهم رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فلما رأوه قالوا: هذا الأمين، رضينا، هذا محمد(١).

فكان حقاً أن يكون لهذه الطاهرة فضل ومكانة عند رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ تسمو على كل العلاقات، وتظل غرة في جبين التاريخ عامة وتاريخ العلاقات الأسرية خاصة، حيث استمر الوفاء منه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لهذه المرأة التي عاشت معه حلو الحياة ومرها، وخير مثال على ذلك ما روته عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا حيث قالت: ما غرت على أحد من نساء النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ما غِرت على خديجة، وما رأيتها، لكن كان النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء، ثم يبعثها في صَدائِق خديجة، فربَّما قلت له: كأن لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة! فيقول: « إنها كانت وكانت، وكان لي منها ولد »(٢).



(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص١٩٤-١٩٥.

(٢) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ خديجة وفضلها رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، ج٣، ص٢٠٥ ح(٣٨١٨).

٢- إسلام علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[1]

كان من نعمة الله ﷻ على علي بن أبي طالب وما صنع الله له وأراده به من الخير أن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثير، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للعباس عمه -كان من أيسر بني هاشم-: « يا عباس، إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد ترى ما أصاب الناس من هذه الأزمة، فانطلق فلنخفف عنه عياله، أخذ من بيته واحداً وتأخذ واحداً، فنكفيهما عنه »، فقال العباس: نعم.. فانطلق حتى أتيا أبا طالب، فقالا له: إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه، فقال لهما: إن تركتما لي عقيلاً فاصنعا ما شئتما، فأخذ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علياً فضمه إليه، وأخذ العباس جعفراً رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فضمه إليه، فلم يزل علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى بعثه الله نبياً، فاتبعه علي

---

(١) هو علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب، القرشي، الهاشمي، كان من أوائل من أسلم، وكان شاباً في العاشرة من عمره، وهو رابع الخلفاء الراشدين، توفي سنة: (٤٠هـ)، انظر: ابن عبدالبر، الإستيعاب في معرفة الأصحاب ص٥٢٧؛ ابن حجر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني في الإصابة في تمييز الصحابة، (تحقيق: خيري سعيد، د ط، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د ت) ج١، ص٥٠٧؛ ابن الأثير، الإمام عز الذين أبي الحسين علي بن محمد الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة (تحقيق: خليل مأمون شيحاء، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)، ج٣، ص٢٨٢.

رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وآمن به وصدقه[1].

روى ابن إسحاق أن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ جاء إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد إسلام خديجة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا فوجدهما يصليان، فقال علي: ما هذا يا محمد؟ فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « دين الله اصطفاه لنفسه، وبعث به رسله، فأدعوك إلى الله وحده وإلى عبادته، وتكفر باللات والعزى »، فقال له علي: هذا أمر لم أسمع به من قبل اليوم، فلست بقاض أمراً حتى أحدث أبا طالب، فكره رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يفشي عليه سره، قبل أن يستعلن أمره، فقال له: « يا علي إذا لم تسلم فاكتم »، فمكث علي تلك الليلة، ثم إن الله أوقع في قلب عليٍّ الإسلام، فأصبح غادياً إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتى جاء فقال: ما عرضت عليَّ يا محمد؟ فقال له رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وتكفر باللات والعزى، وتبرأ من الأنداد »، ففعل علي وأسلم، وكتم علي إسلامه ولم يظهر به في أول الأمر خوفاً من أبي طالب[2].

لقد ساعدت الصلة الأسرية، والمعايشة القريبة، والتتبع الدقيق لشخصية النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما جُبل عليه من مكارم الأخلاق علياً

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص٢٣٦.

(٢) ابن كثير، أبو الفداء، الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية (تحقيق: أحمد جاد، د.ط، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م)، ج٣، ص٤.

رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ على معرفته بجوانب الشخصية النبوية وخصائصها واتخاذها قدوة له في شخصيته وسائر سلوكه، ولهذا سارع إلى قبول الإسلام وتصديق النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد تحدث علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بعد ذلك عن أخلاق النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من خلال معاشرته له عن قرب فقال « كان أجود الناس كفاً، وأشرحهم صدراً، وأصدق الناس لهجة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، لم أر قبله ولا بعده مثله »[(١)].



(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص٦٦٢.

٣- إسلام أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[١]

كان أبو بكر رجلاً مألفاً[٢] لقومه، محبباً سهلاً، وكان أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بها، وبما كان فيها من خير وشر، وكان رجلاً تاجراً ذا خلق ومعروف، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر، لعلمه، وتجارته وحسن مجالسته[٣].وكان عاقلاً فاضلاً فلم يسجد لصنم قط، وله في ذلك حكاية.

حيث روى عنه أنه قال: ما سجدت لصنم قط وذلك أني لما ناهزت الحلم أخذني أبو قحافة فانطلق بي إلى مخدع فيه الأصنام فقال لي: هذه آلهتك الشم العوالي[٤] وخلاني وذهب، فدنوت من الصنم

---

(١) هوعبدالله أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمير بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي، التميمي، يلتقي نسبه مع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مرة بن كعب. انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص١٦٩؛ الطبري: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الأمم والملوك، (ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م)، ج٣، ص١٨٨.

(٢) مألفاً: الذي يألفه الإنسان. انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص٢٣٩.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٢٣٩.

(٤) الشم العوالي: علو منزلة تلك الأصنام عندهم هذا زعمهم. انظر: ابن الأثير: الإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر، (تعليق: أبو عبدالرحمن صلاح، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١١٤١٩هـ/١٩٩٨م) ج٢، ص٤٤٩ .

وقلت: أنا جائع فأطعمني؟ فلم يجيبني. فقلت أنا عار فأكسني؟ فلم يجيبني، فألقيت عليه صخرة فخر لوجهه[1] ومن خصاله الحميدة في نشأته أنه لم يشرب الخمر في الجاهلية ولا في الإسلام قبل تحريمها[2].

وكان صادق الحديث، فكان موكلاً بالديات والمغازي والمغارم في قريش، والتي يسمونها الأشناق[3] فكان يجمع المال والإبل والعروض حتى إذا طرأت حادثة استلزمت غرماً تدفعه قريش، أداه هو وصدَّقه قومه وأمنوا على ما صنع[4] وهذه الأخلاق جعلته قريباً من النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإن بين صفاتهما تشابه وترابط فلا غرو أن تتصل الأسباب وتنجذب القلوب إلى بعضها وهما في سن متقاربة، كيف لا وقد اتفقت طبائعها واتفقت أسبابه بأسباب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل الإسلام.

وذكر ابن إسحاق وغيره: أنه كان صاحب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل البعثة، وكان يعلم من صدقه وأمانته وحسن سجيته

---

(١) محمود شاكر: الخلفاء الراشدين، (ط٥، المكتب الإسلامي، ١٤١١هـ/ ١٩٩٢م)، ص٢٩، ٣٠.

(٢) السيوطي: الإمام جلال الدين، تاريخ الخلفاء (تحقيق: إبراهيم صالح، ط١، دار صادر، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٧م)، ص٤٨.

(٣) الأشناق: الديات. انظر: ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٢، ص٤٥١.

(٤) ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ٣١٠.

وكرم أخلاقه ما يمنعه من الكذب على الخلق فكيف يكذب على الله؟[1].

وبعد إكرام الله نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالنبوة وبرسالة الدعوة، كان من الطبيعي أن يعرض الدعوة على أقرب الناس به أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فأجابه مباشرة حيث وصف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إسلام أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بقوله: (ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت منه كبوة ونظر وتردد، إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قحافة ما عكم عنه حين ذكرته له وما تردد فيه)[2].

رحم الله أبا بكر ما أقدره وأبعد نظره فهو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لمَّا عرف أخلاق النبي الفاضلة وصدقه أدرك أنه حقيق بما أكرمه الله به فصدقه من غير جدال ولا مراء ولا تلكأ ولا تردد.



---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٣، ص٣٧.

(٢) البيهقي: دلائل النبوة، ج٢، ص١٦٤.

٤- إسلام زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي، أبو أسامة، مولى وحب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أصابه سباء في الجاهلية؛ لأن أمه خرجت به تزور قومها بني معن، فأغارت عليهم خيل بني القين بن جسر، فأخذوا زيداً، فقدموا به سوق عكاظ[(١)] فاشتراه حكيم بن حزام[(٢)]

---

(١) عكاظ: أشهر أسواق العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، اختلف الباحثون قدماء ومحدثون في تعيين موضعه فقيل: شرق الحوية، وقيل: في السيل الكبير، وقيل: في السيل الصغير، وقيل: في جنوب الطائف، وقيل: في عشيرة، ثم حددت موقعه لجنة شكلت لهذا الغرض مؤخراً بأن وضعته شمال الحوية، دمرته الحرورية عام ١٢٩هـ، ومنذ ذلك الوقت توقف هذا السوق الذي لم يقتصر العرب فيه على البيع والشراء فحسب بل كان منتدى العرب الأدبي.(ناصر الحارثي، المعجم الأثري لمنطقة مكة المكرمة، د.ط، مكتبة الملك فهد، الطائف، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م)، ص٩٣.

(٢) حكيم بن حزام: بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي القرشي الأسدي، يكنى أبا خالد، هو ابن أخي خديجة بنت خويلد زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولد في الكعبة، وذلك أن أمه دخلت الكعبة في نسوة من قريش، وهي حامل فضربها المخاض، فأثبت بنطع فولدت حكيم بن حزام عليه، وكان من أشراف قريش ووجوهها في الجاهلية والإسلام، كان مولده قبل الفيل بثلاث عشرة سنة أو اثنتي عشرة سنة على اختلاف في ذلك وتأخر إسلامه إلى عام الفتح، فهو من مسلمة الفتح هو وبنوه عبدالله وخالد ويحيى وهشام، وكلهم صحب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعاش حكيم بن حزام في الجاهلية ستين سنة، وفي الإسلام ستين، وتوفي بالمدينة في خلافة معاوية =

لعمته خديجة بنت خويلدرَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، فوهبته خديجة لرسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بمكة قبل النبوة، وهو ابن ثماني سنين[(١)]، وكان أبوه شراحيل قد وجد لفقده وجداً شديداً، فقال شعراً في ذلك عنه قوله:

بكيت على زيد ولم أدر ما فعلٍ ... أحى فيُرجى أم أتى دونه الأجل[(٢)]

ثم إن أناساً من كلب حجوا فرأوا زيداً، فعرفهم وعرفوه، فقال لهم: أبلغوا عني أهلي هذه الأبيات فإنني أعلم أنهم جزعوا عليّ، فقال:

أحن إلى قومي وإن كنت نائياً ... فإني قعيد البيت عند المشاعر

فكفوا من الوجد الذي شجاكم ... ولا تعملوا في الأرض نصَّ

فإني بحمد الله في خير أسرة ... كرام معد كابراً بعد كابر[(٣)]

=سنة أربع وخمسين، وهو ابن مائة وعشرين سنة، وكان عاقلاً سرياً فاضلاً تقياً سيداً بماله غنياً، ابن عبدالبر: الإستيعاب في معرفة الأصحاب، ص٣٦٢، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٤٤؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص٥٢٢.

(١) الذهبي: الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء (تعليق محمد أيمن الشبراوي، د.ط، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٦م)، ج٤، ص١٤٠؛ ابن عبدالبر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ص٢٨٥؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص٣٢٨.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص٣٢٨؛ ابن عبدالبر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص٢٨٥؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص٣٢٨.

(٣) ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص٢٣٩.

وفي هذه الأبيات يتضح ما هو فيه من السعادة والرضا، وما وجد من الإكرام، وحسن المعاملة، فانطلق الكلبيون، فأعلموا أباه ووصفوا له موضعه، وعند من هو، فخرج حارثة وأخوه كعب ابنا شراحيل لفدائه، فقدما مكة، فدخلا على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالا: يا ابن عبدالمطلب، يا ابن هاشم، يا ابن سيد قومه، جئناك في ابننا عندك، فامنن علينا، وأحسن إلينا في فدائه، فقال: من هو؟ قالوا: زيد بن حارثة، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « فهلا غير ذلك » قالوا: ما هو؟ قال: ادعوه وخيروه، فإن اختاركم فهو لكم، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي اختار على من اختارني أحداً قالا: قد زدتنا على النصف وأحسنت، فدعاه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: هل تعرف هؤلاء؟ قال: نعم، هذا أبي وهذا عمي، قال: فأنا من قد عرفت ورأيت في صحبتي لك، فاخترني أو اخترهما، قال: ما أريدهما؟ وما أنا بالذي اختار عليك أحداً، أنت من مكان الأب والعم، فقالا: ويحك يا زيد، أتختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وأهل بيتك؟ قال: نعم قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالذي أختار عليه أحداً أبداً[(١)].

فكان هذا الموقف من زيد مفاجأة لأهله، لما وجد كما ذكر من حسن المعاملة وكرمها، وقد قابل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا الموقف من زيد بأن أخذ بيد زيد وقام به إلى الملأ من قريش، فقال: اشهدوا أن هذا

---

(١) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٣٩.

ابني، وارثاً وموروثاً، فطابت نفس أبيه عند ذلك، فلم يزل عند رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى بعثه الله، فصدقه مباشرة وأسلم وصلى معه فلما أنزل الله -عز وجل-: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ ﴾[1] قال: أنا زيد بن حارثة[2].

فكان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أول من أسلم من الموالي، وكان محباً لرسول الله وبادله النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حباً بحب فرفعه الله بهذا الحب وهذا الإيمان والتصديق لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ونزل في حقه قرآن يتلى إلى يوم الدين: قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ﴾[3]وهو زيد بن حارثة، أنعم الله عليه بالإسلام، وأنعمت عليه، بأت أعتقه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل إنه الوحيد من صحابة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي جاء اسمه صريحاً في كتاب الله: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ

(١) سورة الأحزاب، آية: ٥.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص٢٣٧؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٣، ص٢٩؛ السهيلي: الروض الآنف، ج١، ص٤٢٩.

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٣٧.

﴿فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا ٣٧﴾[1][2].

لم يكن يتوقع حارثة من ابنه ذلك الاختيار؛ بل كان يتوقع أن يكون يوماً من أيام الأعياد في حياته حيث يعود إلى ذويه وأهله الذين تركهم مكرها... ولكن المعاملة الحسنة والأخلاق الفاضلة، وذلك السلوك الإنساني الجميل الذي رآه من رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ كان فوق كل تقدير، هذا كله قد حدث ومحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ لم يصبح رسولاً بعد[3].

إن اختيار زيد رسول الله وإيثاره البقاء عنده على العودة إلى أهله وديار قومه في وقت يعد انفصال الفرد عن قبيلته ضياعاً له وفي سن يحرص المرء فيها أن يكون في رعاية ذويه لدليل على تلك الأخلاق العالية والصفات الحميدة التي تجلت في سلوكه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ مع كل الناس، ولعل قرب زيد منه جعله أكثر تقديراً ومعرفة بهذه الصفات، الأمر الذي جعله يستمسك بالبقاء عنده، واجداً في ظله كل ما يتطلبه من عطف الأب وكرمه وحنانه بل وما هو أكثر من هذا...

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٣٧.

(٢) ابن كثير: الإمام الحافظ أبي الفداء، إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي تفسير القرآن العظيم، (تحقيق: عبدالرزاق المهدي، د.ط، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م)، ج٥، ص١٨٢-١٨٣.

(٣) صالح الشامي: من معين السيرة (ط٤، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨) ص٢٦.

وتلك الأخلاق جعلته يسارع إلى التصديق والمتابعة للنبي ﷺ **لما دعاه للإسلام**[1].



(1) المصدر السابق، ص٢٦.

المبحث الثاني

حسن الخطاب مع المدعوين

ويشتمل على مطالب:

- ١) إسلام عداس النصراني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
- ٢) إسلام عمرو بن عبسة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
- ٣) إسلام سويد بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
- ٤) إسلام الحصين بن عبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
- ٥) إسلام ضماد الأذري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
- ٦) إسلام عبدالله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
- ٧) إسلام أسلم الحبشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
- ٨) إسلام ضمام بن ثعلبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
- ٩) إسلام الجارود بن عمر العبدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
- ١٠) إسلام عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
- ١١) إسلام بعض من أرسل إليهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الملوك والأمراء.

تمهيـــد

للخطاب والحوار الناجح الراقي آداب لابد منها، وللمحاور البارع المؤثر آداب يحسن أن يتحلى بها.

وتلك الآداب ترجع إلى إقبال المحاور على صاحبه، ورفعه من شأنه وإحسانه إليه، وحذره مما ينافي ذلك، واختيار الألفاظ المناسبة أثناء الحوار والدعوة وإظهار الصدق والرحمة والشفقة في الخطاب.

ولقد كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأخذ بتلك الآداب في حواراته مع كافة الطبقات، ومن جملة ما كان يأخذ به النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في خطابه وحواره تواضعه لمحاوريه، ولاسيما أنه من أعظم آداب المحاور وأسباب نجاحه، وحسن الاستماع له، والإصغاء إليه، وترك مقاطعته، أو التشاغل عنه فهذا حاله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في حواراته، وتلك شمائله وأخلاقه، فأجدر بأتباعه أن يجعلوا هذا الأدب معلماً لهم في حياتهم، وسمة بارزة في حواراتهم، ليفتحوا بذلك قلوب محاوريهم، وليصلوا إلى مقصودهم في هداية الناس وإرشادهم، كما فعل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فبحسن خطابه وحواره دخل الكثير في الدين الإسلامي رغبة وطواعية.

وإن المتأمل لسيرة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإنصاف؛ ليدرك أن محمداً صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو رسول الله حقاً وصدقاً؛ لأنه لا يمكن لانسان أن يجمع في حياته وسلوكياته خلاصة الفضائل الإنسانية، وقمة

الوسائل البشرية في التعامل مع الناس إلا أن يكون نبياً معصوماً يوحي إليه.

لقد كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحاور ليلاطف أو ليعلّم ويربي، أو ليدعو إلى الإسلام، و ليفاوض، أو ليتعايش مع من حوله.

وقد أوردت في هذا المبحث مجموعة من الوقائع الدالة على ذلك وأثرها في الدعوة إلى الإسلام.



١- إسلام عداس النصراني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(١)]

لما توفي أبو طالب وخديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وكان بينهما شهر وخمسة أَيَّام، اجتمعت على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مصيبتان، فلزم بيته، وأقلّ الخروج، ونالت منه قريش ما لم تكن تنال وما تطمع به، واجترؤوا عليه، فخرج إلى الطائف ومعه زيد بن حارثة، فأقام بالطائف عشرة أيام لا يَدَع أحداً من أشرافهم إلا جاءه وكلمه، فلم يجيبوه وخافوا على أحداثهم فقالوا:

يا محمد اخرج من بلدنا والحق بمُجابك من الأرض، وأغروا به سفهاءهم، فجعلوا يرمونه بالحجارة حتى إن رجلي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لتدميان وزيد بن حارثة يقيه بنفسه، حتى لقد شُج في رأسه شجاج[(٢)] فلما رآه ابنا ربيعة، عتبة وشيبة، وما لقي تحركت له رحمهما[(٣)]، فدعوا غلاماً لهما نصرانياً، يقال له عداس، فقالا له: خذ قطفاً من هذا العنب فضعه في هذا الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك

---

(١) عداس: مولى شيبة بن ربيعة، كان نصرانياً من أهل نينوى: قرية من قرى الموصل، ولقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالطائف. انظر: ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص٣٧٨.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص١٦٤.

(٣) الرحم: الصلة والقرابة. ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص٣٨٤.

الرجل، فقل له يأكل منه، ففعل عداس، ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم قال له: كُلْ، فلمَّا وضع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه يده قال: بسم الله، ثم أكل، فنظر عداس في وجهه ثم قال: والله، إن هذا الكلام ما يقوله أهلُ هذه البلاد، فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ومن أهل أي البلاد أنت يا عداس؟ وما دينك؟ قال: نصراني، وأنا رجل من أهل نينوى، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: من قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟ فقال عداس: وما يدريك ما يونس بن متى؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ذاك أخي، كان نبياً وأنا نبي» فأكب عداس على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقبل رأسه ويديه وقدميه[1].

فقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الرغم مما فُعل به من الأذى ونزف الدماء من قدميه الشريفة إلا أنه لم يتضجر من أسئلة هذا الغلام

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص٣٨٤؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج٢، ص٤١٦؛ ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، السيرة النبوية، (تحقيق: مصطفى عبدالواحد د.ط، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٥هـ-١٩٧٦م)، ج٢، ص١٥١؛ ابن سيد الناس: أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد ابن سيد الناس اليعمري؛ عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تحقيق: محي الدين مستو ، د.ط، مكتبة التراث، المدينة المنورة، د.ت، ج١، ص٩٧؛ أكرم ضياء العموي: السيرة النبوية الصحيحة، (ط٧، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م)، ج١، ص١٩٥.

النصراني ولم يزجره، أو يهمل الرد عليه، وإنما تجاوب معه بكل اهتمام ورد على أسئلته، وحاوره وكشف له معلومات ليست متداولة ولا معروفة عند أهل هذه البلاد، حتى عرف عداس الحقيقة بأنه نبي مرسل، فأكبّ على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يقبل رأسه ويديه وقدميه.

فمن يحصل له مثل هذا الأذى والاضطهاد ومن ثم يستطيع التحاور والتخاطب إلا نبي تجلت فيه أروع معاني الأخلاق السامية التي كان لها أثرها وهدفها النبيل وهو تبليغ دين الله عز وجل ونشره.



٢- إسلام عمرو بن عبسة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١]

قال عمرو بن عَبَسة السُّلميَّ: كُنْتُ، وأنا في الجاهلية، أظن أن الناس على ضلالة، وأنهم ليسوا على شيء، وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجُل بمكة يخبر أخباراً، فقعدت على راحلتي، فقدمت عليه، فإذا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مستخفياً، جُرءَاءُ عليه قومه، فتلطفت حتَّى دخلت عليه بمكة، فقلت له: ما أنت؟ قال: «أنا نبي»، فقلت: وما نبي؟ قال: «أرسلني الله»، فقلت: وبأي شيء أرسلك؟ قال: «أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان، وأن يوحد الله لا يشرك به شيء»، قلت له: فمن معك على هذا؟ قال: «حر وعَبْد» قال: ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن به، فقلت: إني متبعك، قال: «إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا، ألا ترى حالي وحال الناس؟ ولكن ارجع إلى أهلك، فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني»، قال: فذهبت إلى أهلي، وقَدِمَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (المدينة)، وكنت في أهلي، فجعلت أتخبر

---

(١) عمرو بن عبسة بن عامر بن خالد السلمي، يكنى: أبا نجيح، ويقال: أبو شعيب، وينسبونه: عمرو بن عبسة بن عامر بن خالد بن تماضرة بن عتاب بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم، أسلم قديماً في أول الإسلام، وقد سكن عمرو الشام، ويقال: إنه مات بحمص في أواخر خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انظر: ابن عبدالبر: الإستيعاب في معرفة الأصحاب ص٥٧٤؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص٥٣٩؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٨٣.

الأخبار وأسأل الناس حين قدم المدينة، حتى قدم عليَّ نفر من أهل يثرب من أهل المدينة، فقلت: ما فعل هذا الرجل الذي قدم المدينة؟ فقالوا: الناس إليه سراع، وقد أراد قومه قتله فلم يستطيعوا ذلك، فقدمت المدينة، فدخلت عليه، فقلت: يا رسول الله! أتعرفني؟ قال: «نعم، أنت الذي لقيتني بمكة» قال فقلت: بلى، فقلت: يا نبي الله! أخبرني عما علمك الله وأجهله، أخبرني عن الصلاة؟![1].

ثم شرع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلمه شرائع الإسلام فعمرو بن عبسة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يحكي خبر إسلامه ومحاورته للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي تجلى فيها حرصه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على هداية الناس وتوضيح معالم رسالته، معتمداً في ذلك على حسن الخطاب والحوار الهاديء، على الرغم مما يلقاه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك الوقت بالتحديد من اشتداد أذى قريش له وصدهم عن رسالته، فهذا إنما يدل على كمال أخلاقه وهديه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما أنه حرص صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على سلامة هذا الرجل الغريب في مكة من أن تفتنه قريش عن رغبته الصادقة في الإسلام، فقال له إنك لا تستطيع البقاء معي.

---

(١) النووي: المنهاج شرح صحيح بن مسلم بن الحجاج، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب إسلام عمرو ابن عبسة، ج٦، ص٣٥٦ ح(١٩٢٧)؛ البيهقي دلائل النبوة، ج٢، ص١٦٨.

ثم أشار عليه بالعودة إلى قومه والبقاء عندهم حتى يسمع بظهوره، فيقدم عليه.

فحسن الخطاب والحوار وإيجاز مضمون الرسالة في المعاني البديعة ظاهر في خطاب النبي ﷺ مع عمرو بن عبسة، وكذا الحرص على سلامة المدعو وتوفير الأمن له في الدنيا والآخرة ظاهر في إشارته له بالعودة إلى قومه وتجنيبه الأذى والفتنة.



٣- إسلام سويد بن الصامت رضي الله عنه[١]

قدم سويد بن صامت، أخو بني عمرو بن عوف، مكة حاجاً أو معتمراً، وكان سويد إنما يسميه قومه فيهم الكامل، لجلده وشعره وشرفه ونسبه، وكان قارئاً، والرسول صلى الله عليه وسلم مجتهد في نشر الإسلام فكان يوافي المواسم كل عام في مكة، يتبع الحاج في منازلهم وفي أسواقهم عكاظ، ومجنة[٢]، وذي المجاز[٣]، حتى إنه ليسأل عن القبائل ومنازلهم قبيلة قبيلة، يدعوهم إلى الله تعالى، وأن يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه، ويقول: « يا أيها الناس، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، وتملكوا بها العرب، وإذا آمنتم، كنتم ملوكاً في الجنة »[٤].

---

(١) هو سويد بن الصامت بن خالد بن عقبة بن خوط بن حبيب بن عمرو بن عوف الأنصاري الأوسي. ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص٤٠٣.

(٢) مجنة: أحد أسواق العرب التي اقترن ذكرها بسوق عكاظ وذي مجاز، اختلف في موقعه، ولكن على الأرجح أنه يقع ناحية بحرة على الطريق القديم بين مكة وجدة، انظر: ناصر الحارثي، المعجم الأثري لمنطقة مكة المكرمة، ص٩٣.

(٣) ذي المجاز: من أسواق العرب الرئيسية المندثرة، يقع شمال شرق عرفات، لا تزال أطلال هذه السوق ماثلة للعيان، وقد قامت وكالة الآثار والمتاحف بتسويره، انظر: ناصر الحارثي، المعجم الأثري لمنطقة مكة المكرمة، ص٩٢.

(٤) ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص٤٢٤-٤٢٥؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج١، ص٢١٦-٢١٧؛ ابن الأثير: عزالدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد =

وكان في مقدمة من لقي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سويد بن الصامت الذي لقيه في مكة فعرض عليه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإسلام والإيمان، فدار بينهما الحوار التالي: قال سويد: فلعل الذي معك مثل الذي معي. فقال له رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وما الذي معك؟» قال: مجلة لقمان يعني حكمة لقمان فقال له رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أعرضها علي» فعرضها عليه فقال: «إن هذا الكلام حسن، معي أفضل من هذا قرآن أنزله الله عليّ هدى ونور» ثم تلا عليه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القرآن، ودعاه إلى الإسلام، فلم يبعد منه وقال: إن هذا لقول حسن، ثم انصرف عنه وقدم المدينة فلم يلبث أن قتلته الخزرج[1]، فإن كان قومه ليقولون قد قتل وهو مسلم وكان قتله

=الشيباني، الكامل في التاريخ (تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، د ط، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٣١هـ-٢٠١٠)، ج٢، ص٩٣-٩٤.

(١) الخزرج: وهم: بنو الخزرج بن حارثة بن ثعلبة البهلول ابن عمرو مزيقياء بن عامر بن ماء السماء ......، وكانوا يقطنون المدينة مع الأوس، وقد نشبت بينهما حرب طويلة أشهرها: بعاث وهو موضع على ليلتين من المدينة، ففيه كان الوقيعة.
الدمشقي: عمر بن رضا بن محمد بن راغب عبدالغني كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م)، ج١، باب الخزرج، ص٣٤٢.

يوم بعاث[1][2].

والمتتبع لحوار النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع سويد بن الصامت يجد حسن خطاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع سويد، وحرصه على هدايته ودعوته إلى الحق والنور المبين، فحاوره ولم يصد عما قاله بل سمع منه، وأسمعه ما هو أفضل منه كلام الله تعالى، فسرعان ما انبهر به سويد وأعجبه حتى قال مادحاً له: إن هذا القول حسن وبذلك أثر حوار النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحسن خطابه ونتجت عنه آثار طيبة أفادت الدعوة حيث تشرب سويد بن الصامت الإسلام، ويذكر قومه أنه مات مسلماً.



---

(١) يوم بعاث: موضع كانت فيه حرب بين الأوس والخزرج. انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص٣٨٨.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص٣٨٨-٣٨٩؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج١، ص٥٥٧؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج٢، ص٤١٩.

٤- إسلام الحصين بن عبيد رضي الله عنه[(١)]

جاءت قريش إلى الحصين الخزاعي والد عمران -وكانت تعظمه فقالوا له: كلم لنا هذا الرجل فإنه يذكر آلهتنا ويسبهم، فجاءوا معه حتى جلسوا قريباً من باب النبي صلى الله عليه وسلم فدخل الحصين فقال رسول الله: أوسعوا للشيخ، وعمران بن الحصين وأصحابه في مجلس رسول الله، فقال حصين: ما هذا الذي بلغنا عنك، أنك تشتم آلهتنا، وتذكرهم، وقد كان أبوك حصين[(٢)] خير؟ فقال: « يا حصين، إن أبي وأباك في النار، يا حصين، كم تعبد من إله؟ قال: سبعاً في الأرض، وواحداً في السماء، فقال: فإذا أصابك الضر من تدعوه؟ قال: الذي في السماء. قال: فإذا هلك المال من تدعو؟ قال: الذي في السماء. قال:

---

(١) الحصين عبيد بن خلف بن عبدنُهْم بن حذيفة بن جهمة بن غاضرة ابن حبشية بن كعب بن عمرو الخزاعي، والد عمران بن الحصين. روى عنه ابنه عمران بن حصين، ولما أسلم حصين قال: يا رسول الله، كنت أتيتك فعلمتني كذا وكذا، فما أقول الآن وقد أسلمت قال: قل: « اللهم قني شر نفسي واعزم لي على أرشد أمري، اللهم اغفر لي ما أسررت وما أعلنت، وما أخطأت وما عمدت، وما جهلت » ابن عبدالبر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ص١٩٥؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص٢٨؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص٧٤.

(٢) حصينة: عاقلاً متحصناً بدين آبائه وأجداده ومعتقداتهم. ابن الأثير:النهاية في غريب الحديث والأثر، ج١، ص٢٣٤.

فيستجيب لك وحده، وتشركهم معه، أرضيته في الشكر أم تخاف أن يغلب عليك؟ قال: ولا واحدة من هاتين. قال: وعلمت أني لم أكلم مثله. قال: يا حصين أسلم تسلم. قال: إن لي قوماً وعشيرة. قال: قل: اللهم أستهديك لرشد أمري؟ وزدني علماً ينفعني. فقالها حصين فلم يقم حتى أسلم. فقام إليه عمران فقبل رأسه، ويديه، ورجليه، فلما رأى ذلك النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكى، وقال: بكيت من صنيع عمران، دخل حُصَيْن وهو كافر، فلم يقم إليه عمران، ولم يلتفت ناحيته، فلما أسلم قضى حقه، فدخلني من ذلك الرقة، فلما أراد حصين أن يخرج قال لأصحابه: « قوموا فشيعوه إلى منزله » فلما خرج من سدة الباب رأته قريش، فقالوا: صبأ وتفرقوا عنه[(١)].

ويتضح من هذه القصة أن مشركي مكة قاموا بتشويه دعوة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونظمت قريش في ذلك حرباً إعلامية ضده وقد اختاروا الوقت المناسب لأداء هذه الحرب الإعلامية ضد الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهم يختارون وقت تجمع الناس في موسم الحج، ومع اختيارهم للزمان المناسب، فقد اختاروا أيضاً مكاناً مناسباً حتى تصل جميع الوفود القادمة إلى مكةولم تستطع تلك الحرب

---

(١) ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص٧٤؛ الترمذي: أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، سنن الترمذي، (تحقيق: شعيب، الأرناؤوط، سعيد اللحام، ط١، دار الرسالة العالمية، دمشق، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، كتاب الدعوات، باب ما جاء أن الداعي يبدأ بنفسه)، ج٥، ص٥١٩، ح(٣٤٨٣).

الإعلامية المنظمة أن تحاصر دعوة رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ؛ بل استطاع محمد أن يخترق حصار الأعداء الذين لم يكتفوا بتنفير ساكني مكة من رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ،وتشويه سمعته عندهم بل صاروا يتلقون الوافدين إليهم، ليسمعوا أفكارهم، وليحولوا بينهم وبين سماع كلامه، والتأثر بدعوته، فقد كان رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عظيم النجاح في دعوته، بليغاً في التأثير فيمن خاطبه حيث يؤثر فيمن جالسة بهيئته، وسمته، ووقاره، قبل أن يتكلم، ثم إذا تحدث أسَر سامعيه بمنطقه البليغ، وحواره اللطيف، ولعل قصة إسلام الحصين من أبرز الأمثلة على قوته في التأثير بالكلمة المعبرة، والأخلاق الكريمة، ، الذي حاول زعماء مكة ضربه عليه، واستطاع النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بحسن خطابه ورقي حواره أن يغرس معاني التوحيد في نفس الحصين، وأن ينسف العقائد الباطلة التي كان يعتقدها[1].



(١) علي محمد الصلابي: السيرة النبوية، (ط٨، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م)، ص١٣٩.

٥- إسلام ضماد الأزدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(١)]

وقد وفد ضماد الأزدي إلى مكة وتأثر بدعاوي المشركين عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى استقر في نفسه أنه مصاب بالجنون، كما يتهمه بذلك زعماء المشركين في مكة، وكان ضماد يعالج من الريح ومس الجن، فلما سمع سفهاء مكة يقولون: إن محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مجنون صدق ذلك، فقال: لو أني أتيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي.

فقد روى مسلم في صحيحه عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قدم ضماد مكة وهو رجل من أزد شنوءة[(٢)] وكان يرقي من هذه الرياح

---

(١) ضماد بن ثعلبة الأزدي من أزدشنوءة، كان صديقاً للنبي في الجاهلية، وكان رجلاً يتطبب ويرقي ويطلب العلم، ابن عبدالبر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ص٣٧٨-٣٧٩؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص٤٧٢؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣، ص٤٧.

(٢) أزد شنوءة: بنو الأزد -بفتح الهمزة وسكون الزاي وبالدال المهملة- ويقال فيهم الأسد بالسين المهملة بدل الزاي، وهم حي من كهلان من القحطانية، وهم بنو الأزدين الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان، ويقال فيهم الأسد بالسين المهملة بدل الزاي، قال الجوهري وهو بالزاي أفصح، والأزد من أعظم الأحياء وأكثرها بطوناً وأمدها فروعاً، وقد نسبها الجوهري إلى ثلاثة أقسام أحدها أزد شنؤة وهم بنو نصر الأزد، وشنؤة لقب لنصر غلب على أولاده، القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، باب الألف واللام مع الزاي، ص٩١.

فسمع سفهاء من سفهاء مكة يقولون: إن محمداً مجنون فقال: أين هذا الرجل لعل الله أن يشفيه على يدي، فلقيه، فقال: يا محمد إني أرقي من هذه الريح، وإن الله يشفي على يدي من شاء، فهل لك؟ فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

فقال: أعد علي كلماتك هؤلاء. فأعادهن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثاً، فقال: والله لقد سمعت قول الكهنة، وسمعت قول السحرة، وسمعت قول الشعراء، فما سمعت مثل هؤلاء الكلمات فهلم يدك أبايعك على الإسلام، فبايعه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال له: وعلى قومك فقال: وعلى قومي. فبعث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (بعد ذلك) جيشاً فمروا بقوم ضماد فقال صاحب الجيش للسرية: هل أصبتم من هؤلاء القوم شيئاً؟ فقال رجل منهم: أصبت منهم مطهرة، فقال: ردها عليهم فإنهم قوم ضماد[1].

---

(١) النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، كتاب الجمعة، باب رفع الصوت في الخطبة وما يقول فيها، ج٦، ص٣٩٥، ح(٢٠٠٥)؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٤، ص١٨٢؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج٢، ص٢٢٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١، ص٢٣٩؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٣، ص٧٩.

وفي رواية: فقال له ضماد: أعد علي كلماتك هؤلاء فلقد بلغن ناعوس البحر[1].

وكانت دعاية قريش، وتشويه شخص الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ واتهامه بالجنون حمل ضماداً على السير للرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من أجل رقيته.

ومن خلال حوار ضماد مع النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ اتضحت مكارم أخلاق النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فقد تجلت صفتا الصبر والحلم متوجة بحسن الخطاب وأدب المجادلة عندما عرض عليه ضماد أن يعالجه من مرض الجنون الذي يزعم قومه بأنه مصاب به، ولا شك بأن هذا الموقف يثير الغضب.

ولكن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ استقبل الأمر بحلم وهدوء وتروي وحسن حوار، مما أثار إعجاب ضِماد، واحترامه لرسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

وكان حديث رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ منبعث من قلب مليء إيماناً ويقيناً وحكمة، فاصبح حديثه يصل إلى القلوب ويجذبها إلى الإيمان.

---

(١) ناعوس البحر: قال أبو موسى الأصفهاني: وقع في صحيح مسلم ناعوس البحر بالنون والعين وفي سائر الروايات، قاموس، وهو وسطه ولجته. النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، كتاب الجمعة، باب رفع الصوت في الخطبة وما يقول فيها، ج٦، ص٣٩٥ ح(٢٠٠٥).

وفي سرعة إسلام ضماد دليل على أن الإسلام دين الفطرة، وأن النفوس إذا تجردت من الضغوط الداخلية والخارجية، فإنها غالباً تتأثر وتستجيب، إما بسماع قول مؤثر، أو الإعجاب بسلوك قويم.

وعندما رأى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ضماد صدق إيمانه، وحماسته للإسلام، وقوة اقتناعه به، دفعه ذلك إلى أخذ البيعة منه لقومه وذلك أكبر دليل على حرصه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على نشر الإسلام[1].



---

(١) علي الصلابي، السيرة النبوية، ص١٣٥.

٦- إسلام عبدالله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(١)]

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بلغ عبدالله بن سلام مقدمُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة، فأتاه فقال: إنّي سائلك عن ثلاثٍ لا يعلمهن إلا نبي: ما أول أشراط السّاعة؟ وما أول طعام يأكله أهلُ الجنة؟ ومن أي شيءٍ ينزعُ الولدُ إلى أبيه؟ ومن أيِّ شيء ينزعُ إلى أخواله؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خبرني بهن آنفاً جبريل» قال: فقال عُبدالله: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أمّا أوَّلُ أشراط الساعة فنارُ تحشرُ الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أوَّلُ طعام يأكله أهل الجنَّة فزيادةُ كبد حوت، وأما الشَّبه في الولد فإنَّ الرَّجلَ إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا سَبقَ ماؤها كان

---

(١) هو عبدالله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، ثم الأنصاري، يكنى أبا يوسف، وهو من ولد يوسف بن يعقوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كان حليفاً للأنصار، ويقال: كان حليفاً لبني عوف من الخزرج، وكان اسمه في الجاهلية الحصين، فلما أسلم سماه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبدالله، وتوفي بالمدينة في خلافة معاوية سنة (٤٣هـ)، وهو أحد أحبار اليهود في المدينة، وكان أهل المدينة على اختلاف مللهم يجلونه ويعظمونه، وقد اقتنع بالإسلام وأسلم. انظر: ابن عبدالبر: الإستيعاب في معرفة الأصحاب ص٤٦٠؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص٦١٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٥٩؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص٩٥.

الشبه لها» فقال: أشهد أنك رسول الله[1].

وقد كان الأحبار من اليهود، قد تحدثوا بأمر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل بعثته لَّمَّا تقارب زمانه، مما وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه، وما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه.

فلما بُعث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلموا بما عندهم من علم أنه ذلك النبي كفروا به حسداً وكبراً وإيثاراً للعاجلة على الباقية.

وعلى الرغم من ذلك كان نبي الرحمة صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يغشى اليهود في مجالسهم يدعوهم إلى الإسلام مذكراً إياهم بفضل الله عليهم وعلى أسلافهم.

ودارت حوارات كثيرة بين النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبين اليهود حول إثبات النبوة ومنها:

حواره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع الحبر اليهودي عبدالله بن سلام حين أراد أن يتثبت من نبوة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكي يزداد يقينه، فأتى نبي الرحمة صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأجرى معه حواراً سأله فيه عن أشياء لا يعلمها إلا نبي.

---

(١) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، ج٣، ص٧، ح(٣٣٢٩)؛ ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص٤٦٤؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج٢، ص٥٢٨.

وفي هذا الحوار أظهر الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حسن أدبه وخطابه فلم يغضب ولم يصد عن إجابة عبدلله بن سلام، بل أجابه بكل روية وحجة وإمعان فكان أثر ذلك الحوار الهادئ المقنع والذي تلقي فيه العلم من الله وقال لعبد الله بن سلام أخبرني بهن جبريل آنفاً فسارع عبدالله بن سلام إلى الإيمان به، وأراد أن يحل هذا الحق الذي آمن به إلى قومه ليقيم به الحجة عليهم، لكن قومه من اليهود أبو إلا الجحود والنكران وبذلك كان الصحابي الجليل عبدالله بن سلام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ممن أسلم وحسن إسلامه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[(١)].



---

(١) عصام محمود، حوارات النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أهل الكتاب وعلى أي شيء نتحاور، مجلة جامعة المدينة العالمية المحكمة، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، قسم الدعوة وأصول الدين، رقم ٩٧٣٥-٢٢٣١، (http://maqazine.mediu.edu.my).

٧- إسلام أسلم الحبشي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ(١)

في السنة السابعة من الهجرة النبوية، سار فرسان المسلمين إلى خيبر، وانقضوا على حصون اليهود ففتحوها حصناً بعد حصن، وكان لعامر اليهودي عبد أسود حبشي يرعى غنماً له، ولما رآهم قد أخذوا السلاح واستعدوا لقتال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ سألهم: ما تريدون؟ قالوا: نقاتل هذا الرجل، الذي يزعم أنه نبي.

فوقع في نفسه ذكر النبي فخرج بغنمه ليرعاها، فأخذه المسلمون فجاؤا به لرسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فكلمه رسول الله ما شاء الله أن يكلمه، فقال الرجل: ماذا تقول؟ وماذا تدعو إليه؟

قال: أدعوك إلى الإسلام وأن تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وأن لا تعبد إلا الله،قال العبد:ومايكون لي إن شهدت بذلك

---

(١) أسلم الحبشي: قال ابن إسحاق في المغازي: حدثني أبي إسحاق بن يسار أن راعياً أسود أتى النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وهو محاصر لبعض حصون خيبر، ومعه غنم كان أجيراً فيها لرجل يهودي اسمه عامر، فقال: يا رسول الله، أعرض علي الإسلام، فأسلم. كذا ذكره ابن عبدالبر، واعترضه ابن الأثير بأنه ليس في شيء من السياقات أن اسمه أسلم، وهو اعتراض متجه. وقد سماه أبو نعيم يسارا، وقال الرّشاطي في الأنساب: أسلم الحبشي أسلم يوم خيبر، وقاتل فقتل وما صلى صلاة، فقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: إن معه الآن زوجته من الحور العين، ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ٢١٦؛ ابن عبدالبر: الإستيعاب في معرفة الأصحاب، ص٧٩.

وآمنت بالله تعالى؟قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لك الجنة إن آمنت على ذلك، فأسلم العبد، وقال: يا رسول الله! إني رجل أسود اللون، قبيح الوجه، منتن الريح، لا مال لي فإن قاتلت هؤلاء حتى أقتل، أدخل الجنة؟ قال: نعم. قال: يا رسول الله إن هذه الغنم عندي أمانة فكيف بها؟ فقال رسول الله: أخرجها من العسكر، وارمها بالحصباء، فإن الله ﷻ سيؤدي عنك أمانتك ففعل، وأعجب رسول الله كلمته، فزجت الغنم تشتد مجتمعة كأن سائقها يسوقها حتى دخلت كل شاة إلى أهلها، فعرف اليهودي أن غلامه قد أسلم، ثم تقدم العبد الأسود إلى الصف فقاتل فأصابه سهم فقتله ولم يصل لله تعالى سجدة واحدة[1].

لقد أكرم الله هذا العبد، وساقه إلى خير، فعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنه أتى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجل فقال: يا رسول الله: إني رجل أسود اللون، قبيح الوجه، منتن الريح، لا مال لي، فإن قاتلت هؤلاء حتى أقتل، أدخل الجنة؟ قال: نعم، فتقدم، فقاتل حتى قتل، فأتى عليه

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٤، ص٢٩٢؛ الصالحي: الإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، (تحقيق:مصطفى عبدالواحد، د.ط، القاهرة، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م)، ج٥، ص٢٠١-٢٠٢؛ ابن القيم: الإمام شمس الدين أبي عبيد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، زاد المعاد في هدي خير العباد (تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبدالقادر الأرنؤوط، ط٤، دار الرسالة، بيروت، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م)، ج٣، ص٣٢٣-٣٢٤؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر في المغازي والسير ص٣٣٢.

النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو مقتول فقال: لقد أحسن الله وجهك، وطيب ريحك، وكَثَّر مالك. ثم قال: لقد رأيت زوجته من الحور العين نازعته جبة له من صوف، تدخل بينه وبين جبته»[1].

إنها قصة صغيرة لكنها على وجازتها تحمل من المعاني العميقة والدروس البليغة ما يحملنا على التوقف عندها، إذ تطالعنا فيها صورة الداعية الصادق المؤثر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي تنفذ كلماته إلى عقول وقلوب سامعيه، فتتغير أفكارها وتتبدل مشاعرها، وهكذا يكون تأثير الداعية قوياً وسريعاً إذا كان هو على خلق حسن، وقناعة تامة، وثقة كبيرة بما يدعو إليه.

لقد عرض رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعوته على ذاك الراعي عرضاً واضحاً لا لبس فيه ولا غموض، ولا تزييف فيه ولا إغراء، فلم يعده بمال، ولم يغره بدنيا بل وعده بالجنة، وما أعظمه من وعد وما أجلها من ثمرة، لمن يعرف قيمتها وقيمة الحياة الدنيا الفانية، ولذلك كان الفوز الحقيقي بحسن الخاتمة والموت على الإيمان.

(١) الحاكم: الإمام أبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين: (تعليق: أبي عبدالله عبدالسلام بن محمد بن عمر علوش، د ط، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م)، ج٢، ص١٠٣، ح(٢٤٦٣)، صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

هذا الإيمان القوي الذي خالطت بشاشته شغاف القلب، فظهر أثره بسرعة في سلوك صاحبه استقامة وأمانة، فلقد كان حريصاً على أداء الأمانة التي تركت بين يديه، فدله رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على وسيلة يؤدي فيها أمانته.

لقد جعل هذا الإيمان الصادق ،الرجل المسكين ،جندياً فدائياً، يلقي بنفسه في ميدان الجهاد والقتال في سبيل الله، وليكون شهيداً في تلك المعركة التي حثهم على خوضها رسول الله-عليه الصلاة والسلام-.

ولقد كان لحسن حوار النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أسلم الحبشي وتواضعه معه وإجابته على أسئلته وتلطفه أثر في انشراح قلبه ودخوله في الإسلام[1].



(١) مجلة نداء الإيمان، وقف لوجه الله تعالى، قصة الراعي الأسود في غزوة خيبر، برعاية المجموعة الوطنية للتقنية ، الشبكة العنكوبتية ٠

٨- إسلام ضمام بن ثعلبة السعدي[1] رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

أرسلت بنو سعد بن بكر وافداً عنهم إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجاء ضِمامُ إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسأل عنه وهو في وسط الصحابة، واستفصل منه عن شرائع الإسلام، وأخبره رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بها ودخل الإيمان قلبه، فأسلم من حينه، وخرج من عند رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعدما حمل الإسلام في صدره بحماس، وانطلق من لحظته إلى قومه داعياً إلى الله، ومن بركته لما وصل إلى قومه بادرهم بالدعوة إلى دينه الجديد، ونبذ الأصنام والأوثان، حتى أسلم جميع من في حاضره من الرجال والنساء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وخبره جاء في صحيح البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، فعن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: (بينما نحن جلوس مع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المسجد، دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد، ثمَّ عَقَلَه، ثم قال لهم: أيكم محمد؟ والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتكِئ بينَ ظَهْرَانيهمْ، فقلنا: هذا الرَّجل الأبيضُ المتكئ، فقال له الرَّجلُ: ابنَ عبدِ المطّلبِ، فقال له النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « قد أجَبْتُكَ » فقال الرَّجلُ للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إني

---

(١) هو ضمام ابن ثعلبة السعدي من بني سعد بن بكر، ابن عبدالبر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ص٣٧٩؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص٤٧٣؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣، ص٤٠٢.

سائلك فمشدد عليك في المسألة، فلا تجد عليَّ في نفسك فقال: « سَلْ عمَّا بَدَا لَك، فقال: أسأَلُكَ بربِّكَ وربِّ مِن قَبْلَكَ، آللهُ أرسَلَكَ إلى النّاس كلِّهم؟ فقال: اللَّهم نعم. قال: أَنشُدُك بالله، آلله أمَرَكَ أنْ نُصَلِّيَ الصلَواتِ الخمسَ في اليوم واللّيلةِ؟. قال: اللَّهم نعم، قال: أَنشُدُك بالله آلله أَمَرَكَ أنْ نصوم هذا الشهر من السنة؟ قال: اللهم نعم، قال: أُنشُدُك بالله، آلله أَمَرَكَ أنْ تأخذ هذه الصَّدَقةَ من أغنيائِنا فَتَقْسمَها على فُقَرائِنا؟ فقال النبي ﷺ: اللهم نعم، فقال الرجل: آمنت بما جئت به، وأنا رسول من ورائي من قومي، وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر[1].

من خلال قصة ضمام بن ثعلبة تتضح لنا كمال أخلاق النبي ﷺ الذي كان لها الأثر المباشر في إسلامه ودعوته لقومه.

إن من سمات الشخصية النبوية العظيمة الإندماج الكامل الذي كان يعيشه مع أصحابه؛ بحيث كان الداخل عليهم لا يميزه من بينهم

---

(١) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب العلم، باب القراءة والعرض على المحدث، ج١، ص٣٧،ح(٦٣)؛ ابن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص٥٧٤؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٢٨؛ القسطلاني: أحمد بن محمد القسطلاني، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، (تحقيق: صالح أحمد الشامي، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت) ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، ج٢، ص١٩٨؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر في المغازي والسير ص٤٠٣؛ مهدي رزق الله أحمد: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، (ط٣، دار إمام الدعوة، الرياض، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م)، ص٦٢٥.

(أيكم ابن عبدالمطلب) فلم يكن في لباسه شهرة، وليس في حالة تميز، ولذا نهاهم أن يقوموا حوله كما تقوم الأعاجم، متباعداً عن حال أهل التكبر والتعاظم، وبهذا القرب من أصحابه والإندماج معهم صحح تصوراتهم وسلوكهم واستكن حبُّه في سويداء قلوبهم.

وكان قدوم ضمام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أن فتحت مكة، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، ودانت لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكثر نواحي الجزيرة، ومع ذلك خاطب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه المخاطبة وناشده هذه المناشدة، وشدد عليه في المسألة ذلك التشديد، ومع ذلك كله استوعب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعظمة خلقه هذه الثقة في شخصيته والجرأة في خطابه؛ لينطلق هذا الأعرابي بين يديه على سجيته، متباعداً عما تنبيء عنه طبيعته من التخاضع والتملق، فكانت قيم الرجال محفوظة بين يديه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تنتقص بالإذلال ولا تهشم بالتحقير، إنما كانوا يقفون بين يديه أعزة، وينقلبون منه أكثر اعتزازاً ووثوقاً ولو كان فظاً غليظ القلب لانفضوا من حوله.

ولم يكن إيمان ضمام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ برسالة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمجرد أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل إقسامه عليه بذلك، إذ قد يقال: إن من كذب في ادِّعاء أمر لن يتورع عن الحلف عليه، ولكن هذا القسم النبوي جاء مؤكداً لدلائل متضافرة على صدق النبوة تواردت على ضمام منها:

-معرفته بمضامين دعوة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكان هو الذي يعرض على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شرائع الدين كلها كما بلغتها رسل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويكتفي من النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتصديق ذلك، ففيما دعا إليه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دليل على صدق رسالته.

كما أن رؤيته للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دليل آخر، فقد كان محياه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محيًّا الصادق، كما قال عبدالله بن سلام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: فلما رأيت وجهه، واستبنته علمت أن وجهه ليس بوجه كذاب.

وأيضاً شهرته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أحياء العرب بصدق الحديث دليل آخر، فلذلك استحلفه، وهو يعلم أنه لم يكن ليصدق في حديث الناس، ويكذب على الله، فصدق حينئذ الدلائل كلها، وهو الصادق المصدوق صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1].



(١) الطريري عبدالوهاب ناصر ، قصص نبوية،(ط٢، الإسلام اليوم، الرياض، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م)، ص٢٥٧.

٩- إسلام الجارود بن عمر العبدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(١)]

قدم الجارود المدينة في وفد عبدالقيس الثاني، وسُرّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإسلامه، ولما انتهى إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلمه فعرض عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإسلام ودعاه إليه ورغبه فيه فقال: يا محمد إني قد كنت على دين وإني تارك ديني لدينك، أفتضمن لي ديني؟ قال: فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نعم أنا ضامن أن قد هداك الله إلى ما هو خير منه قال: فأسلم وأسلم أصحابه، ثم سأل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحملان فقال: والله ما عندي ما أحملكم عليه. قال: يا رسول الله فإن بيننا وبين بلادنا ضوال من ضوال الناس

---

(١) الجاورد بن المعلي بن حنش من بني جذيمة، وكان سيداً في عبدالقيس رئيساً، وفد على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنة عشر، وكان نصرانياً فأسلم وحسن إسلامه، ويقال إن اسم الجارود: بشر بن عمرو، وإنما قيل له الجارود؛ لأنه أغار في الجاهلية على بكر بن وائل فأصابهم فجردهم، وقد ذكر ذلك المفضل العبدي في شعره فقال:

ودسناهم بالخيل من كل جانب   كما جرد ا الجارود بكر بن وائل

فغلب عليه الجارود وعرف به، وقتل بأرض فارس بعقبة الطين فسميت بعقبة الجارود، وقيل: استشهد بنهاوند، وقيل: بقي إلى خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

انظر: ابن عبدالبر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص١٥٨؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص٢٩٨؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص٣٨٧.

أفتتبلغ عليها إلى بلادنا؟ فقال: لا، إياك، وإياها، فإنما تلك حرق النار[1].

وكان حسن الإسلام صلباً على دينه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

ونتأمل في الجارود وحرصه على أن يصل إلى الحق وتأثره بشخص النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وثقته به فيسأله: أتضمن لي أني على الحق إذا أسلمت؟ ويطمئنه النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ويعطيه الأمان والضمان الذي انعكس على تصرف الجارود بإعلان إسلامه على الفور، فقد أظهر النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في خطابه مع الجارود حرصه على إرشاده لطريق الحق والفلاح وقد كان الجارود نصرانياً أي أنه على دين سماوي، فأخبر الرسول بأنه سيترك دينه لدين النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فهل يضمن له الرسول ذلك الدين؟ فأجابه الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ (بنعم) أنا ضامن أن قد هداك الله إلى ما هو خير منه، وبالفعل كانت نتيجة هذا الخطاب والحوار أن أسلم الجارود وأصحابه.

فإن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ اتسم بطريقة الحوار الهادىء، وحسن الخطاب لإقناع الجارود لطريق الحق والصواب، مستخدماً أسلوب الاطمئنان في الحوار ليشعر الطرف الآخر بالأريحية من خلال حرصه

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص٥٦٧؛ السهيلي: الروض الآنف، ج٤، ص٣٥٤؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر في المغازي والسير، ص٤٠٤؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ج٦، ص٤٦٥.

صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في إرشاده إلى طريق الخير والسلامة وترغيبه فيها، فما أحلمك وألطفك يا رسول الله في حرصك على هداية الخلق لإيصالهم إلى بر الأمان والنجاة.



١٠- إسلام عدي بن حاتم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[١]

بعث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علياً في مئة وخمسين رجلاً من بينهم خمسون فارساً، إلى ديار طيء لهدم صنم بها يقال له (الفلس) وكان معهم راية سوداء، ولواء أبيض، ولما انتهوا إلى ديار طيء شنوا الغارة على محلة آل حاتم الطائي فتمكنوا من هدم الصنم، ومن أخذ سبي وشاء ونَعَم، أما عدي فقد فرَّ إلى الشام بمجرد أن سمع ببعث السرية إلى دياره[٢].

قال ابن إسحاق: وأما عدي بن حاتم فكان يقول، فيما بلغني: ما من رجل من العرب كَانَ أَشَدَّ كراهيةً لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين سمع به مني، أمَّا أنا فكنت امرءاً شريفاً وكنت نصرانياً، وكنت أسير

---

(١) هو عدي بن حاتم بن عبدالله بن سعد بن الحشرج ابن امرئ القيس بن عدي ابن أخزم بن أبي أخزم بن ربيعة بن جرول ابن ثقل بن عمرو بن الغوث بن طئ الطائي، وأبوه حاتم، هو الجواد الموصوف بالجود، الذي يضرب به المثل يكنى عدي وأبا طريف، وقيل: أبو وهب. ابن عبدالبر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص٥١٣-٥١٤؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص٢٣٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٢٨١.

(٢) السهيلي: الروض الآنف، ج٤، ص٣٦١، الجزائري: أبي بكر جابر الجزائري، هذا الحبيب محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يا محب، (د.ط، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، ص٢٨٦.

في قومي بالمرباع[1]، فكنت في نفسي على دين، وكنت ملكاً في قومي، لما كان يصنع بي، فلما سمعت برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَرِهْتُهُ، فقلت لغلام كان لي عربي وكان راعياً لإبلي: لا أبالك، أَعْدِدْ لي من إبلي أجمالاً ذللاً[2] سمانًا فاحتبسها قريباً مني، فإذا سمعت بجيش لمحمد قد وطئ هذه البلاد فآذني، ففعل، ثم إنه أتاني ذات غداة، فقال: يا عدي، ما كنتُ صانعاً إذا غشيتك خيل محمد، فاصنعهُ الآن، فإَني قد رأيتُ رآيات، فسألت عنها، فقالوا: هذه جيوشُ محمد. قال: فقلتُ: فقرِّب إليّ أجمالي فقرّبها، فاحتملتُ بأهلي وولدي، ثم قلتُ: الحقُ بأهل ديني من النصارى بالشام، فسلكت الجوشية[3] وخلفت بنتاً لحاتم في الحاضر[4]، فلما قدمت الشام أقمت بها وتخالفني خيل لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتصيب ابنة حاتم، فيمن أصابت، فقدم بها على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سبايا من طيء، وقد بلغ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هربي إلى الشام، قال فجعلت بنت حاتم في حظيرة[5] بباب المسجد،

---

(١) المرباع: أي أخذ الربع من الغنائم، لأني سيدهم. ابن هشام: السيرة النبوية، ج٤، ص٤٨٨.

(٢) ذللاً: جمع ذلول، وهو الجمل السهل الذي قد ريض. المصدر نفسه، ج٤، ص٤٨٩.

(٣) الجوشية: جبل للضباب قرب ضرية، جنوب غرب القصيم من أرض نجد،. ابن هشام: السيرة النبوية، ج٤، ص٤٨٩.

(٤) بنت حاتم هذه: هي سفانة كما رجحه السهيلي، إذ لا يعرف له بنت غيرها، والحاضر: الحي. ابن هشام: السيرة النبوية، ج٤، ص٤٨٩.

(٥) الحظيرة: شبيهة بالزرب الذي يصنع للإبل والغنم ليكفها. المصدر نفسه، ج٤، ص٤٨٩.

كانت السبايا يُحبسن فيها، فمر بها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقامت إليه، وكانت امرأةً جزلةً، فقالت: يا رسول الله، هَلَكَ الوالدُ وغَابَ الوافد[1] فامنُنُ عليَّ مَنّ الله عليك. قال: ومن وافدكِ؟ قالت: عدي بن حاتم، قال: الفارّ من الله ورسوله قالت: ثم مضى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتركني، حتى إذا كان من الغد مَرَّ بِي، فقلت له مثل ذلك، وقال لي مثل ما قال بالأمس، قالت: حتى إذا كان بعد الغد مرَّ بي وقد يَئِسْتُ منه فأشار إليَّ رَجُل من خلفه أنْ قُومِي فَكَلِّمِيه؛ قالت: فقمت إليه، فقلتُ: يا رسول الله، هلك الوالد، وغابَ الوافدُ، فامْنُنْ عليَّ من الله عليك؛ فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « قد فعلتُ فلا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة، حتى يبلغك إلى بلادك، ثم آذنيني » فسالت عن الرجل والذي أشار إليّ أن أكلمه، فقيل لي: علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالت: فأقمت حتى قدم من ركب بَلِيَ أو قضاعة، قالت: وإنما أريد أن أتي أخي بالشام قالت: فجئت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقلت: يا رسول الله، قد قدم رهط من قومي، لي فيهم ثقة وبلاغ. قالت: فكساني رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحملني، وأعطاني نفقة، فخرجت معهم حتى قدمت الشام: قال عدي فوالله إني لقاعد في أهلي، إذ نظرت إلى ظعينة[2] تصُوبُ[1] إلى تؤمنا، قال: فقلت: ابنة

---

(١) الوافد: الزائر. المصدر نفسه، ج٤، ص٤٨٩.

(٢) الظغينة: المرأة في هودجها، وقد تسمى ظغينة وإن لم تكن فيه. المصدر نفسه، ج٤، ص٤٩٠.

حاتم، قال: فإذا هي هي، فلما وقفت عليّ انسحلت[2] تقول: القاطع الظالمُ، احتملت بأهلِكَ وولدِكَ، وتركت بقية والدك عورتك قال: قلت: أي أخية لا تقولي إلا خيراً، فوالله مالي من عذر، لقد صنعت ما ذكرتِ، قال: ثم نزلت فأقامت عندي، فقلت لها: وكانت امرأة حازمة، ماذا ترين في أمر هذا الرجل؟ قالت: أرى والله أن تلحق به سريعاً، فإن يكن الرجل نبياً فللسابق إليه فضله، وإن يكن ملكاً فلن تذل في عِزِّ اليَمَن وأنت أنت. قال: قلت: والله إن هذا الرأي. قال: فخرجت حتى أقدم على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة فدخلت عليه وهو في مسجده فسلمت عليه، فقال: من الرجل؟ فقلت: عدي بن حاتم، فقام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فانطلق بي إلى بيته، فوالله لعامد بي إليه، إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفته، فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها، قال: قلت في نفسي: والله ما هذا بملك، قال: ثم مضى بي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى إذا دخل بي بيته تناول وِسَادَة من أَدَمٍ مَحْشُوة ليفاً، فقذفها إليَّ، فقال: « اجلس على هذه » قال: قلت: بل أنت فاجلس عليها. فقال: بل أنت، فجلست عليها، وجلس رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأرض، قال: قلت في نفسي: والله ما هذا بأمر ملك، ثم

---

(1) تصوب إلى: تقصد وتؤم. المصدر نفسه، ج٤، ص٤٩٠.

(2) انسحلت: أخذت في اللوم ومضت فيه مجدة. انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ج٤، ص٤٩٠.

قال: إيه يا عدي بن حاتم ألم تكن ركوسياً[1]، قال: قلت: بلى، قال: أو لم تكن تسير في قومك بالمرباع؟ قال: قلت: بلى، قال: فإن ذلك لم يكن يحل لك في دينك؟ قال: قلت: أجل والله. قال: وعرفت أنه نبي مرسل يعلم ما يُجْهَل ثم قال: لعلك يا عدي إنما يمنعك من دخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من الحيرة على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم، وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم.

قال: فأسلمت. وكان عدي يقول: مضت اثنتان وبقيت الثالثة، والله لتكونن وقد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت، ورأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت، وأيم الله لتكونن الثالث ليفيضن المال حتى لا يوجد من يأخذه[2].

---

(١) ركوسياً: الركوسي من الركوسية، وهم قوم لهم دين بين دين النصارى والصابئين. المصدر نفسه، ج٤، ص٤٩٠.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٤، ص٤٨٨-٤٩١؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٤٤؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٣، ص٦٤؛ السهيلي: الروض الآنف، ج٤، ص٣٦١؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ج٦، ص٥٧٧-٥٧٨؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر في المغازي والسير، ص٤١٤.

لَمَّا عرف النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ضيفه عدي قام من المسجد وأخذه إلى بيته.. هل أراد بذلك أن يشعره بإكرام خاص؟

-هل أراد أن يرى عدياً بيته الزاهد ليعرف أنه ليس ملكاً ولا طالب دنيا؟

-هل أراد أن يكون نقده لعدي نجوى وليس على الملأ حتى لا يحرجه..؟

كل هذا ممكن.. ورسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان ماهراً في معرفة النفوس وكيف تؤتى...

وفي أثناء ذلك يقف النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع المرأة العجوز لينظر في حاجتها كدأبه صلوات الله عليه في القيام بحاجات الناس.. فكيف وهي امرأة كبيرة وضعيفة..؟

وينتبه عدي.. وليس هذا من صفات الملوك ولا من سلوكهم..

ويدخل البيت دهشاً فما فيه ما يرد العين أو يستهويها... اللهم إلا وسادة من أدم يؤثره النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بها على نفسه.. ويجلس هو على الأرض.. ماذا حلَّ بك يا عدي وأنت ترى هذا التواضع والزهد

مع الحرص على إكرام الضيف؟ أين الملوك من هذا الرجل العظيم..؟! إنها الأخلاق المحمدية الكريمة التي لها أثر فعال في انجذاب النفوس لها وإحساسها بالأمان الذي كان منتهاه إسلام عدي بن حاتم بعد بغض ونفور شديد إلى محبة وإجلال وتقدير وتصديق بالحق والنور المبين[1].



---

(١) اللحام: حنان، هدي السيرة النبوية في التغيير الاجتماعي، ص٦٧٣.

١١- إسلام بعض من أرسل إليهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الملوك والأمراء (النجاشي: ملك البحرين - عمان - اليمن)

*** رسائل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الملوك والأمراء:**

أنزل الله تعالى الإسلام ديناً للناس أجمعين، وجعل تبليغه والدعوة إليه من أفضل الأعمال، يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[(١)].

واختار الله محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لحمل أعظم دعوة، وأنقى هدى، وأجمع رسالة، وأدوم تنزيل، وأبقى شرعة، وأمره بتبليغ هذا الدين، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾﴾[(٢)] ثم توالى الأمر بالتبليغ في آيات كثيرة، قال الله تعالى: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾[(٣)].

وقال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾[(٤)].

---

(١) سورة فصلت، آية: ٣٣.

(٢) سورة المدثر، الآيات: ١-٢.

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٩.

(٤) سورة المائدة، آية: ٦٧.

وأمره تعالى أن يعلم الناس أنه رسول الله إليهم جميعاً: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[1]، يقول الإمام ابن كثير رحمه الله: « وهذا خطاب للأحمر والأسود، والعربي والعجمي »[2].

فاتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم مختلف الوسائل لنشر هذا الدين، وتبليغه للناس أجمعين، ومن ذلك مراسلة الملوك والأمراء، لتصل دعوة الإسلام إلى جميع أنحاء الأرض.

وقد أتاح صلح الحديبية[3] الفرصة لتوسع نطاق الدعوة إلى الإسلام داخل الجزيرة العربية وخارجها فكانت مراسلة الملوك

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٨٥.

(٢) ابن كثير: أبي الفداء إسماعيل ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (تحقيق: عبدالرزاق مهدي، د.ط، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م)، ج٢، ص٢٥٤.

(٣) الحديبية:-بضم الحاء وفتح الدال وياء ساكنة وياء موحدة مكسورة وياء- اختلفوا فيها فمنهم من شددها ومنهم من خففها، وهي قرية متوسطة، سميت ببئر هناك عند الشجرة التي بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه تحتها، وتقع عند أعلام مكة الغربية على طريق مكة جدة القديم، على بعد ٢٢ كلم غرب المسجد الحرام، ويعرف اليوم باسم الشميسي، بها مقلع حجارة ذات لون أصفر، بني بها المسجد الحرام في العصر العثماني، عرفت باسم الأحجار الشميسية. ناصر الحارثي، المعجم الأثري لمنطقة مكة المكرمة، ص٥١؛ انظر: ياقوت الحموي، الإمام شهاب الدين أبي عبيد الله ياقوت بن عبدالله الحموي، معجم البلدان، باب الحاء والدال وما يليها)ط٨، دار صادر، بيروت، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م)، ج٢، ص١٦٢.

والأمراء، يقول أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: « إن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كتب إلى كسرى، وإلى قيصر، وإلى النجاشي[(١)]، وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى »[(٢)].

ولاشك أن رسائل الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلى الملوك والأمراء خارج جزيرة العرب تعبير عملي عن عالمية الرسالة الإسلامية.

واستخدم الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الوسائل المعينة لنجاح هذه الرسائل، فاتخذ لنفسه خاتماً من فضة نقش عليه محمد رسول الله، واختار خيرة أصحابه وأهلهم للقيام بأمانة حمل رسائله.

فسلك في دعوته أقوم سبيل وأقربها إلى حمل الإسلام إلى الناس جميعاً، فتجلت في رسائله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الدقة، وإصابة الهدف مع

---

(١) النجاشي ملك الحبشة: أصحمة، أسلم في عهد النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأحسن إلى المسلمين الذين هاجروا إلى أرضه، وأخباره معهم ومع كفار قريش الذين طلبوا منه أن يسلم إليهم المسلمين مشهورة، وتوفي ببلاده قبل فتح مكة، وصلى عليه النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بالمدينة، وكبر عليه أربعاً. وأصحمة اسمه، والنجاشي لقب له وللملوك الحبشة، مثل: كسرى للفرس، وقيصر للروم. ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص١٣٥؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص٢٥٢؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١، ص٤٢٨.

(٢) النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ج١٢، ص٣٢٩ ح(٤٥٨٥).

الإيجاز والوضوح وحسن الخطاب واللطف مع المدعوين، وبلغت حداً من الفقه والفصاحة يستحق الذكر والإشارة.

ولَمَّا لهذه الوسيلة الدعوية من أهمية، وما لقيته من اهتمام بالغ، وما اشتملت عليه من القول الطيب والوعظ الحسن، وما ترتب عليها من آثار دعوية عظيمة، تمثلت في إسلام بعض هؤلاء الملوك والأمراء يجدر بي في هذا المقام ذكر نماذج من رسائل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما احتوته من حسن الحوار والخطاب مع المدعوين الذي كان له أثر فعال في إسلامهم وإسلام من خلفهم من شعوبهم.

ورسائل الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الملوك والأمراء كانت داخل الجزيرة العربية وخارجها، وقد أسلم بعض هؤلاء الملوك دون تردد، واستجابوا لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بشكل سريع، منهم: المنذر بن ساوى[1] ملك البحرين، والنجاشي ملك الحبشة.

أ) إسلام النجاشي ملك الحبشة:

الحبشة: هي أرض تقع على الساحل الغربي من بحر القلزم (البحر الأحمر)، من جهة الجنوب، وكانت سوقاً رائجة لقريش تتاجر

---

(١) المنذر بن ساوى: بن عبدالله بن زيد بن عبدالله بن دارم التميمي الدارمي، صاحب البحرين، كان عامل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على البحرين، وقيل: هو من عبدالقيس. ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٥، ص٢٥٥؛ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٦، ص١٦٩.

فيها. وسكان الحبشة يطلق عليهم الحبش والحبشة، وهم من ولد حام بن نوح عليه السلام[1].

وقد كانت الحبشة مسيطرة على التجارة في المناطق المحيطة بها وإفريقيا، فالعلاقات بين شبه الجزيرة العربية والحبشة قديمة ووثيقة، وكان لتدخل الأحباش في المسائل الداخلية لشبه الجزيرة العربية خاصة في اليمن آثاره على حياة العرب السياسية والثقافية، ومن خلال هذا الاتصال الوثيق عرفهم العرب مستعمرين، وتعلموا كثيراً من عاداتهم[2].

وقد جاء الأمر من النبي صلى الله عليه وسلم بترك الحبشة مدة تركهم للمسلمين، فعن عبدالله بن عمرو[3] رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج١، ص٢٠٥.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص٢٦؛ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج١، ص٥٦٦.

(٣) هوعبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي السهمي، القرشي رضي الله عنه الزاهد العابد الصحابي ابن الصحابي، وكان أكثر الناس أخذاً للعلم والحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سكن مصر وشهد مع أبيه فتح الشام، وكان معه راية أبيه يوم اليرموك، توفي سنة ثلاث وستين وقيل خمس وستين بمكة، وكان عمره ثنتين وسبعين سنة، ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص٣٥٦؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص٨١١.

قال: اتركوا الحبشة ما تركوكم فإنه لا يستخرج كنز الكعبة إلا ذو السويقتين[1] من الحبشة[2].

وذلك لما يخاف من شرهم المشار إليه بقوله: « فإنه لا يستخرج كنز الكعبة» أي: المال المدفون فيها، إلا عبد حبشي لقبه ذو السويقتين، وقيل لأن بلاد الحبشة وعرة، وبين المسلمين وبينهم مفاوز وقفار وبحار، فلم يُكَلّف المسلمون بدخول ديارهم لكثرة التعب فيها.

والنجاشي: لقب لكل من ملك الحبشة في العصور القديمة[3].

والروايات تتحدث عن ملكين من ملوك الحبشة.

---

(١) بالتصغير تثنية سويقة أي هو دقيقهما جداً، والحبشة وإن كان شأنهم دقة السوق لكن هذا متميز بمزيد من ذلك يعرف به. العلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود (تحقيق: عبدالرحمن محمد عثمان، د.ط، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، د ت)، ج١١، ص٢٨٥.

(٢) الإمام أحمد: أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل،(ط١، دار الرسالة، بيروت، ١٤٢٩-٢٠٠٨)، ج٥، ص٣٧١ ح(٢٣٢٠٣)؛ أبو داود: سليمان بن الأشعث الأزدي، سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب: النهي عن تهييج الحبشة، ج٤، ص١١٤، ح(٤٣٠٩).

(٣) يقال كسرى لمن ملك الفرس، وقيصر لمن ملك الروم، وفرعون لمن ملك مصر كافراً، والنجاشي لمن ملك الحبشة وغير ذلك من أعلام الأجناس. ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج٣، ص٥٣٠؛ النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، كتاب الجهاد والسير، باب كتب النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى ملوك الكفار يدعوهم للإسلام، ج١٢، ص٣٣٠،ح(٤٥٨٥)؛ السهيلي: الروض الأنف، ج١، ص٢٠٤.

أولهما: قبل البعثة، ويطلقون عليه اسم (أَبحر).

والثاني: عاصر الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويسمى أَصْحَمة[1] بن أبحر، وقيل ابن بَجْر.

(وأصحمة) بالعربية تعني: (عطية) كان عبداً صالحاً لبيباً ذكياً، وكان عادلاً عالماً رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ توفي سنة تسع من الهجرة[2].

واختلف في النجاشي الذي أرسل إليه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسالته:

القول الأول: أن النجاشي الذي آمن بالرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصلى عليه لـمَّا مات هو الذي أرسل إليه رسالته، يدعوه فيها إلى الإسلام. قاله الواقدي[3].

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نعى

---

(١) بفتح الهمزة وفتح الحاء والميم، وهو الذي وقع في صحيح الإمام البخاري، كتاب الجنائز، باب التكبير على الجنائز أربعاً، ج١، ص٤٤٧، ح(١٢٦٩)، مسلم: صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب في التكبير على الجنازة ج٢، ص٦٥٧، ح (٩٥٢)، من حديث جابر بن عبدالله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ج٢، ص٦٧٩؛ ابن القيم، زاد المعاد، ج٣، ص٦٩٠.

(٣) ابن كثير: أبو الفداء، الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: أحمد جاد، د ط، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م، ج٣، ص٥٢٤.

النجاشي في اليوم الذي مات فيه، وخرج بهم إلى المصلى، فصف بهم، وكبر أربع تكبيرات[1].

وعن جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قد توفي اليوم رجل صالح من الحبش فهلم، فصلوا عليه، قال: فصففنا فصلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونحن صفوف»[2].

القول الثاني: أن النجاشي الذي أسلم ليس هو النجاشي الذي كتب إليه يدعوه للإسلام فهما اثنان، وقد جاء ذلك مبيناً في صحيح الإمام مسلم: « أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتب إلى النجاشي، وليس بالذي صلى عليه »[3].

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: " راداً على القول الأول: وهذا وهم والله أعلم، فقد خلط راوية، ولم يميز بين النجاشي الذي صلى عليه،

---

(١) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب الجنائز، باب الرجل ينعي إلى أهل الميت بنفسه، ج١، ص٤٢٠ ح(١١٨٨)؛ ابن ماجه: أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني، (تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، د.ط، دار إحياء الكتب العربية) كتاب الجنائز، باب ما جاء في الصلاة على قبر النجاشي، ج١، ص٤٩٠، ح(١٥٣٤).

(٢) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الجنائز، باب الصفوف على الجنازة، ج١، ص٥١٤، ح(١٣٢٠).

(٣) النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، كتاب الجهاد والسير، باب كتب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى ملوك الكفارة يدعوهم إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، ج١٢، ص٣٢٩،ح(٤٥٨٥).

وهو الذي آمن به وأكرم أصحابه، وبين النجاشي الذي كتب إليه يدعوه، فهما اثنان "[1].

ورواية ابن إسحاق والواقدي لا تقف أمام تصريح رواية مسلم في صحيحه بأن الذي أرسل إليه الكتاب غير الذي صلى عليه، والعلم عند الله[2].

وحامل الرسالة هو عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه:

من الروايات الواردة في رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي (ملك الحبشة):

١)عن ابن إسحاق رحمه الله هذا كتاب من النبي إلى النجاشي:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هذا كتاب محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم عظيم الحبشة.

سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لم يتخذ صاحبة ولا ولداً وأن محمداً عبده ورسوله، أدعوك بدعاء الله، فإني أنا رسول الله، فأسلم تسلم ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ

(١) ابن القيم: زاد المعاد في هدي خير العباد، ج٣، ص٦٩٠.

(٢) الشنقيطي:محمد بن سيدي بن الحبيب، منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوة أهل الكتاب، (د ط، مكتبة أمين محمد أحمد سالم)، ج١، ص٢٢٥.

بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ﴾ [آل عمران:٦٤]، فإن أبيت فعليك إثم النصارى[1].

٢)عن ابن إسحاق رحمه الله قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه، وكتب معه كتاباً:

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة، سلام على من اتبع الهدى.

أما بعد:

فإني أحمد إليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته، ألقاها على مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى، فخلقه الله من روحه، ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعني، وتؤمن بالذي جاءني، فإني رسول الله، وقد بعثت إليك ابن عمي جعفراً ونفراً معه من المسلمين، فإذا جاءك فأقرهم، ودع التجبر، فإني أدعوك وجنودك إلى الله، فقد بلغت ونصحت، فأقبلوا نصحي، والسلام على من اتبع الهدى.

---

(١) الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ذكر أخبار سيد المرسلين وخاتم النبيين، ج٢، ص٦٧٩ ح(٤٢٤٤).

فكتب النجاشي إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إلى محمد رسول الله، من النجاشي الأصحم بن أبجر، سلام عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركاته من الله الذي لا إله إلا هو، الذي هداني إلى الإسلام، أما بعد، فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت ثفروقاً[(١)]، إنه كما قلت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا، وقد قربنا ابن عمك وأصحابه، فأشهد أنك رسول الله صادقاً مصدقاً، وقد بايعتك ومبايعت ابن عمك، وأسلمت على يديه لله رب العالمين[(٢)].

ب) رسالة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المنذر بن ساوى صاحب البحرين:

البَحْرَين[(٣)]: اسم جامع لبلاد على ساحل الخليج العربي بين

---

(١) الثفروق: قمع: البسرة والتمرة، وقيل: الثفروق هو ما يلزق به القمع من التمرة، وقيل: الثفاريق أقماع البسر، والثفروق علاقة ما بين النواة والقمع، وقيل: الثفروق غلاف ما بين النواة والقمع. انظر: ابن منظور: أبي الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب (ط٣، بيروت، ١٤١٤هـ-١٩٩٤)، مادة: ثفرق، ج١٠، ص٣٤.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٢، ص١٢٨-١٤٣؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر، ج٢، ص٣٤٩-٣٥٠؛ ابن القيم: زاد المعاد، ج٣، ص٥٨٩-٦٩٠.

(٣) البحرين: هكذا يتلفظ بها في حال الرفع والنصب والجر، ولم يسمع على لفظ المرفوع من أحد منهم، إلا أن الزمخشري قد حكى: أنه يلفظ بلفظ التثنية، فيقولون: هذه =

البصرة[1] وعمان، وفيها عيون، وبلاد واسعة، وهجر[2] قصبتها[3]، ويذكر في سبب تسميتها (البحرين) هو وجود بحيرة على باب الأحساء[4].

= البحران، وانتهينا إلى البحرين، والبحرين هي الأحساء الآن، لا جزيرة البحرين الحالية، فقد كانت تسمى حينذاك: أوال.انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، باب الباء والحاء وما يليها، ج٢، ص٢٧٥-٢٧٧.

(١) البصرة: البصرة في كلام العرب الغليظة التي فيها حجارة تقلع وتقطع حوافر الدواب، وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أراد أن يتخذ للمسلمين مصراً فلما فتحوها كتبوا إليه، إنا وجدنا بطاسان مكاناً لا بأس به، فكتب إليهم إن بيني وبينكم دجلة لا حاجة في شيء بشيء وبينه دجلة أن تتخذوه مصراً، وكان تمصير البصرة سنة أربع عشرة قبل الكوفة بستة أشهر، وبين البصرة والمدينة عشرين مرحلة، (والمرحلة هي المسافة يقطعها السائر في نحو يوم أو ما بين المنزلين) انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي معجم البلدان، باب الباء والصاد وما يليها، ج٢، ص٣٤٠-٣٤٧.

(٢) هجر: بلد معروف بالبحرين، وهي مدينة داخلية بعيدة عن السواحل، كانت عند ظهور الإسلام قاعدة البحرين، وأهم مدينة في إقليم البحرين، وقيل هجر ناحية البحرين كلها، وكان بها أحد أكبر الأسواق قبل الإسلام. انظر: الحموي، ياقوت ، معجم البلدان، باب الهاء والجيم وما يليها مادة (هجر)، ج٨، ص٤٦٨-٧٣٧.

(٣) قصبتها: مدينتها، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبدالقادر، محمد النجار، المعجم الوسيط،(د ط، المكتبة الإسلامية، تركيا)، ص٧٣٧.

(٤) الأحساء: جمع حسى، وهو الماء الذي تنشفه الأرض من الرمل، فإذا صار إلى صلابة أمسكته، فتحفر العرب عند الرمل فتستخرجه، والأحساء مدينة بالبحرين معروفة مشهورة، كان أول من عمرها وحصنها وجعلها قصبة هجر أبو الطاهر الحسن =

وكانت أرض البحرين خاضعة لمملكة فارس في وقت البعثة النبوية، وبها خلق كثير من العرب من عبدالقيس، وبكر بن وائل، وتميم، مقيمين في باديتها[1].

وقد أسلم أهل البحرين من العرب، لما بلغتهم رسالة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصالح الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أهلها من المجوس واليهود، والنصارى على دفع الجزية للمسلمين[2].

وكان يحكم البحرين المنذر بن سَاوَى العبدي، فأرسل إليه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسالته مع العلاء بن الحضرُمي[3]، فكتب المنذر

= القرمطي، وهي إلى الآن مدينة مشهورة عامرة. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، باب الهمزة والحاء وما يليها، ج١، ص٩٧.

(١) البلاذري: أبي العباس أحمد بن يحيى بن جابر، فتوح البلدان (تحقيق: عبدالله أنيس الطباع وعمر أنس الطباع، د ط، بيروت، د ت، ص١٠٦.

(٢) المصدر نفسه ص١٠٧.

(٣) العلاء بن الحضرمي: هو عبدالله بن عماد بن سليما بن أكبر، وقيل: عماد بن مالك ابن أكبر، قال الدارقطني: وزعم الأملوكي أنه عبدالله بن عباد فصحف، ولا يختلفون أنه من حضرموت حليف بني أمية، ولاه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ البحرين، وتوفي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو عليها، فأقره أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في خلافته كلها عليها، ثم أقره عمر، وتوفي في خلافة عمر سنة أربع عشرة. وقال الحسن بن عثمان: توفي العلاء بن الحضرمي سنة إحدى وعشرين والياً على البحرين، فاستعمل عُمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مكانه أبا هريرة، وكان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد بعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن سادي العبدي مالك البحرين، ثم ولاه على البحرين إذ فتحها الله عليه، وهو أول من نقش خاتم الخلافة، وكان =

إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالإسلام والتصديق، ورَدَّ رَداً حسنا[1].

ولقد تعددت الروايات الواردة في رسالة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المنذر بن ساوى (صاحب البحرين):

-عن عبدالله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كتب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المنذر بن ساوى: (من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذاكم المسلم، له ذمة الله وذمة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[2].

-وعن عكرمة قال: وجدت هذا الكتاب في كتب ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا بعد موته، فنسخته فإذا فيه: بعث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى، وكتب إليه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتاباً يدعوه إلى الإسلام، فكتب المنذر إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أما بعد يا رسول الله، فإني قرأت كتابك على

= رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مُجاب الدعوة، وإنه خاض البحر بكلمات قالها ودعا بها، وذلك مشهور عنه. ابن عبدالبر، الإستيعاب في معرفة الأصحاب، ص١٠٨٦.

(١) انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ج٤، ص٥١؛ المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، أمتاع الأسماع بالنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع (تحقيق: محمد عبدالحميد النميسي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م)، ج١، ص٣٠٨-٣٠٩.

(٢) الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم، المعجم الكبير، (تحقيق: حميد عبدالمجيد السلفي، ط٢، مكتبة العلوم والحكم، الموصل ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م)، ج١، ص١٥٢ ح(١٠٢٩١).

أهل البحرين، فمنهم من أحب الإسلام، وأعجبه، ودخل فيه، ومنهم من كرهه، وبأرضي مجوس ويهود، فأحدث إلي في ذلك أمرك، فكتب إليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

من محمد رسول الله إلى المنذر بن سَاوَى سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

فإني أذكرك الله عَزَّ وَجَلَّ، فإنه من ينصح لي فإنما ينصح لنفسه، وإن من يطع رسلي، ويتبع أمرهم، فقد أطاعني، ومن ينصح لهم، فقد نصح لي، وإن رسلي قد اثنوا عليك خيراً، وإني قد شفعتك في قومك، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه، وعفوت عن أهل الذنوب، فاقبل منهم، وإنك مهما تصلح فلن نعز لك عن عملك ومن أقام على يهودية، أو مجوسية فعليه الجزية»[1].

جـ-إسلام جيفر وعبد ابني الجُلُنْدَى[2] شيخي عمان.

تقع عمان[3] شرقي الجزيرة العربية على خليج عمان، وتشتمل

---

(١) ابن سيد الناس: عيون الأثر في المغازي والسير، ج٢، ص٣٥٢-٣٥٣؛ ابن القيم: زاد المعاد في هدي خير العباد، ج٣، ص٦٩٢-٦٩٣؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٠٢.

(٢) الجلندي: هو اسم ملك من ملوك عمان. انظر: الزركلي خير الدين، الأعلام (ط١٥، دار العلم، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م)، ج١٠، ص٦٢.

(٣) عمان: بضم العين وتخفيف الميم. انظر: شرح صحيح الإمام مسلم، النووي، ج٦، =

على بلدان كثيرة ذات نخل وزرع، وقصبة عُمان صُحَار[1].

والأغلب على سكان عُمان قبائل الأزد[2]، وبها من غيرهم بشر كثير في البوادي[3]، وقد امتدح الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبائل الأزد قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (نعم القوم الأزد، طيبة أفواههم، برة أيمانهم، نقية قلوبهم)[4].

وعن أبي بردة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: بعث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجلاً إلى قوم فسبوه وضربوه فجاء إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: (لو أهل عمان أتيت ما سبوك ولا ضربوك)[5].

= ص٩٨، وهي الآن دولة سلطنة عمان المعروفة.

(١) مدينة طيبة الهواء والخيرات والفواكه، كانت مبنية بالآجر والساج، وهي كبيرة ليس في تلك النواحي مثلها. انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، باب الصاد والحاء، ج٣، ص١٧٨-١٧٩.

(٢) الأزد: لغة في الأسد تجمع قبائل وعمائر كثيرة في اليمن، وأزد أبو حي من اليمن، وهو أزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن كهلان بن سبأ، وهو أسد بالسين، أفصح يقال: أسد شنوءة وأزد عمان وأزد السراة. انظر: لسان العرب، لابن منظور حرف الدال فصل الهمزة، ج٣، ص٧١.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان ١٠٣.

(٤) الإمام أحمد: المسند، باب ما جاء في الأزد، ج٢، ص٣٥١ ح (٨٦٠٠)، وإسناده حسن.

(٥) الإمام مسلم: صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ باب فضل أهل عمان، ج٤، ص١٩٧١ ح(٢٤٥٥).

وفي هذا الحديث بيان فضل أهل عمان، وأنهم يعاملون رسل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معاملة حسنة تطيب بها نفوسهم.

وكان جيفر وأخوه عبد وقيل: (عباد)[1] ابنى الجُلَنْدي الأزديين، يحكمان عمان على عهد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجيفر هو الأكبر، والمقدم في السن، والملك ثم أخوه الأصغر عبد، وهو نائبه[2].

وقد أسلم جيفر وعبد على يد عمرو بن العاص، وكان عبد أحلم الرجلين وأسهلهما خُلُقاً، ولم يقدما على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يرياه، وإسلامهما بعد خيبر[3].

ذكر ابن هشام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث عمرو بن العاص السهمي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلى جيفر وعَبد ابنى الجلندي الأزديين ملكي عمان يدعوهما إلى الإسلام، وكتب معه كتاباً[4].

ولما قدم عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ على الجلندى، قال له: يا جُلنْدَى، إنك وإن كنت منا بعيداً فإنك من الله غير بعيد، إن الذي

---

(١) عبد: جاءت به أكثر المصادر، وورد (عبَّاد) في ابن هشام: السيرة النبوية، ج٤، ص٢٢٠.

(٢) ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص٤٥٧؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج، ص٢١٠.

(٣) المصادر السابقة؛ أسد الغابة، ج١، ص٤٥٧؛ الإصابة، ج٢، ص٢١٠.

(٤) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٤، ص٢٢٠.

تفرد بخَلقِك أهل أن تُفرِده بعبادَتك، وأن لا تشرك به من لم يشركه فيك، واعلم أنه يميتك الذي أحياك ويعيدك الذي بدأك، فانظر في هذا النبي الأمي الذي جاء بالدنيا والآخرة، فإن كان يريد به أجراً فامنعه، أو يميل به هوى فدعه، ثم انظر فيما يجيء به: هل يُشبه ما يجيء به الناسُ، فإن كان يشبهه، فسله العِيَان، وتَخَيرَ عليه في الخبر، وإن كان لا يُشبهُه فاقبل ما قال، وخف ما وعد.

قال الجُلُنْدُيُّ: « إنه -والله- لقد دلني على هذا النبي الأمي أنه لا يأمر بخير إلا كان أول من أخذ به، ولا ينهى عن شر إلا كان أول تارك له، وأنه يَغْلِبْ فلا يبطر ويُغْلَب فلا يضجر، وأنه يفي بالعهد، وينجز الموعود، وأنه لا يزال سِرٌّ قد اطَّلع عليه يُساوي فيه أهله، واشهد أنه نبيّ»[1].

ومن الروايات الواردة في رسالة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى (جيفر وعبد) ابني الجلندي شيخي عمان:

ما رواه عبدالله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: « كتب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى حي من العرب يدعوهم إلى الإسلام، فلم يقبلوا الكتاب ورجعوا إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبروه، فقال: أما أني لو بعثت به إلى قوم بشط عمان من أزد شنوءة لقبلوه، ثم بعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الجلندي يدعوه إلى الإسلام، فقبله، وأسلم وبعث إلى

---

(١) السهيلي: الروض الآنف، ج٤، ص٣٩١-٣٩٢.

رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هدية[1].

وذكر ابن سيد الناس نص كتاب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى جيفر وعبد ابني الجلندي ملكي عمان مع عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

من محمد بن عبدالله إلى جيفر وعبد ابني الجلندي، سلام على من اتبع الهدى أما بعد: فإنني أدعوكما بدعاية الإسلام أسلما تسلما، فإني رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حياً، ويحق القول على الكافرين، وإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما، وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام، فإن ملككما زائل عنكما، وخيلي تحل بساحتكما، وتظهر نبوتي على ملككما.

وكتب أبي بن كعب، وختم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الكتاب:

قال عمرو: ثم خرجت حتى انتهيت إلى عمان، فلما قدمتها عمدت إلى عبد، وكان أحلم الرجلين وأسهله خُلُقاً، فقلت: إني رسول رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليك وإلى أخيك، فقال: أخي المقدم عليَّ بالسن والملك، وأنا أوصلك إليه حتى يقرأ كتابك، ثم قال لي: وما تدعو إليه؟ قلت: أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، وتخلع ما عبد من دون الله، وتشهد أن محمداً عبده ورسوله، قال: يا عمرو، إنك ابن

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٠١؛ ابن القيم: زاد المعاد في هدي خير العباد، ج٣، ص٦٩٣.

سيد قومك، فكيف صنع أبوك، فإن لنا فيه قدوة، فقلت: مات ولم يؤمن بمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وددت أنه كان أسلم وصدق به، وقد كنت أنا على مثل رأيه، حتى هداني الله للإسلام، قال: فمتى تبعته؟ قلت: قريباً، وسألني أين كان إسلامي؟ فقلت: عند النجاشي، وأخبرته أن النجاشي قد أسلم، قال: فكيف صنع قومه بملكه؟ قلت: أقروه، واتبعوه قال: والأساقفة(١) والرهبان(٢) اتبعوه قلت نعم. قال: انظر يا عمرو ما تقول، إنه ليس من خصله في رجل أفضح له من كذب، قلت: ما كذبت وما نستحله في ديننا، ثم قال: ما أرى هرقل علم بإسلام النجاشي! قلت: بلى، قال: بأي شيء علمت ذلك؟ قلت: كان النجاشي يخرج له خرجاً، فلما أسلم وصدق بمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: لا والله لو سألني درهماً واحداً ما أعطيته، فبلغ هرقل قوله، فقال

---

(١) الأساقفة: جمع أسقف وهو رئيس النصارى في الدين فوق القسيس ودون المطران، وهو اسم سرياني، ويحتمل أن يكون سمي به لخضوعه وانحنائه في عبادته، ابن منظور: لسان العرب، فصل السين مادة (سقف)، ج٩، ص١٥٦، الفيروزآبادي: أبي طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط (ترتيب: حسان عبدالمنان، ط٣، بيت الأفكار الدولية، الأردن، د ت، ص١٠٥٩.

(٢) الرهبان: جمع راهب، واصلها من الرهبة الخوف، والرهبانية ترك الدنيا والزهد فيها والتخلي عنها والنصارى كانوا يترهبون بالتخلي من أشغال الدنيا، وترك ملاذها، والزهد فيها، والعزلة عن أهلها، وتعهد مشاقها حتى إن منهم من كان يخصي نفسه، ويضع السلسلة في عنقه، وغير ذلك من أنواع التعذيب التي نفاها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الإسلام، ونهى المسلمين عنها، ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر مادة (رهب)، ج٢، ص٢٥١.

له أخوه: أتدع عبدك لا يخرج لك خرجاً، ويدين ديناً محدثاً قال هرقل: رجل رغب في دين واختاره لنفسه ما اصنع به، والله لولا الضن بملكي لصنعت كما صنع؟ قال: انظر ما تقول يا عمرو قلت: والله صدقتك، قال عبد: فأخبرني ما الذي يأمر به وينهى عنه؟ قلت: يأمر بطاعة الله ﷻ، وينهى عن معصيته، ويأمر بالبر وبصلة الرحم، وينهى عن الظلم والعدوان، وعن الزنا وشرب الخمر، وعن عبادة الحجر والوثن والصليب، فقال: ما أحسن هذا الذي يدعو إليه، لو كان أخي يتابعني لركبنا حتى نؤمن بمحمد، ونصدق به، ولكن أخي أضن بملكه من أن يدعه، ويصير ذنباً، قلت: إنه من أسلم مَلّكه رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ على قومه، فأخذ الصدقة من غنيهم فردها على فقيرهم، قال: إن هذا الخلق لحسن، وما الصدقة؟ فأخبرته بما فرض رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من الصدقات في الأموال حتى انتهيت إلى الإبل، فقال: يا عمرو! وتؤخذ من سوائم مواشينا التي ترعى الشجر وترد المياه؟ قلت: نعم، فقال: والله ما أرى قومي في بُعد دارهم، وكثرة عددهم يطيعون هذا، قال: فمكثت ببابه أياماً، وهو يصل إلى أخيه فيخبره كل خبري، ثم إنه دعاني يوماً فدخلت عليه، فأخذ أعوانه بضبعي[1]،

---

(١) الضبع: بسكون الباء وسط العضد بلحمه يكون للإنسان وغيره، والجمع أضباع، وقيل: العضد كلها، وقيل: الإبط وقال الجوهري يقال للإبط الضبع المجاورة، وقيل: ما بين الإبط إلى نصف العضد عن أعلاه، تقول: أخذ بضبعيه أي يعضد به. ابن منظور: لسان العرب، باب العين فصل العناد مادة (ضبع)، ج٨، ص٢١٦.

فقال: دعوه، فأرسلت فذهبت لأجلس، فابوا أن يدعوني أجلس، فنظرت إليه، فقال: تكلم بحاجتك، فدفعت إليه الكتاب مختوماً ففض خاتمة، فقرأه حتى انتهى إلى آخره، ثم دفعه إلى أخيه، فقرأه مثل قراءته، إلا أني رأيت أخاه أرق منه، ثم قال: ألا تخبرني عن قريش كيف صنعت؟ فقلت: تبعوه إما راغب في الدين، وإما مقهور بالسيف، قال: ومن معه؟ قلت: الناس قد رغبوا في الإسلام واختاروه على غيره، وعرفوا بعقولهم مع هدى الله إياهم أنهم كانوا في ضلال فما أعلم أحداً بقي غيرك في هذه الحرجة[1]، وأنت إن لم تسلم اليوم وتتبعه يوطئك الخيل، ويبيد خضراءك، فأسلم تسلم ويستعملك على قومك، وإلا يدخل عليك الخيل والرجال، قال: دعني يومي هذا، وارجع إليّ غداً، فرجعت إلى أخيه، فقال: يا عمرو إني لأرجو أن يسلم إن لم يضن بملكه، حتى إذا كان الغد، أتيت إليه فابى أن يأذن لي، فانصرفت إلى أخيه فأخبرته أني لم أصل إليه، فأوصلني إليه، فقال: إني فكرت فيما دعوتني إليه فإذا أنا أضعف العرب إن ملكت رجلاً ما في يدي، وهو لا تبلغ خيله إلى ههنا، وإن بلغت خيله ألفت قتالاً ليس كقتال من لاقي! قلت: وأنا خارج غداً فلما أيقن بمخرجي خلا به أخوه، فقال: ما نحن فيما قد ظهر عليه، وكل من أرسل إليه قد أجابه، فأصبح فأرسل إليّ فأجاب إلى الإسلام هو وأخوه جميعاً، وصدَّقا النبي

---

(١) الحرجة: غيضة الشجر الملتفة لا يقدر أحد أن ينفذ فيها. انظر: ابن منظور: لسان العرب، باب الجيم فصل مادة (حرج)، ج٢، ص٢٣٦.

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخليا بيني وبين الصدقة، وبين الحكم فيما بينهم، وكانا لي عوناً على من خالفني[1].

د) إسلام ملك اليمن (الحارث بن عبد كلال الحميري):

كانت اليمن[2] تابعة لدولة فارس في زمن البعثة، وكان يسكن اليمن قبيلة حمير وهي بطن عظيم من قحطان، تنتسب إلى حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

ولما بلغ أهل اليمن ظهور الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وانتشار دعوته، أتته وفودهم، فكتب لهم كتاباً بإقرارهم على ما أسلموا عليه من أموالهم، ووجه إليهم رسله، وعماله ليعرفوهم بشرائع الإسلام، وسُنَنِه، وقبض صدقاتهم، وأخذ الجزية ممن أقام على النصرانية أو

---

(١) ابن سيد الناس: عيون الأثر، ج٢، ص٣٥٣-٣٥٤؛ ابن القيم: زاد المعاد، ج٣، ص٦٩٣-٦٩٦؛ ابن سعد: مختصراً في الطبقات الكبرى، ج١، ص١٩٨-٢٠٣؛ القسطلاني: شرح المواهب الدنية ج٣، ص١٤٦-١٤٨.

(٢) اليمن: إنما سميت اليمن لتيامنهم إليها، تقع بين عمان إلى نجران، ثم يلتوي على بحر العرب إلى عدن إلى الشحر، وسميت اليمن الخضراء لكثرة أشجارها وثمارها وزروعها، واسمها مشتق من اليمن وهو الرفاة والبركة، وأهل اليمن ينتسبون إلى يعرب بن قحطان، وفي الجاهلية قامت على أرض اليمن أقدم الحضارات معين وسبأ وحمير. ياقوت الحموي: معجم البلدان، باب الياء والميم وما يليها مادة (عين)، ج٨، ص٥٠٩-٥١٠.

اليهودية أو المجوسية منهم[1].

وقد امتدح النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أهل اليمن في ما رواه أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (أتاكم أهل اليمن، هم أرق أفئدة وألين قلوباً، الإيمان يماني، والحكمة يمانية، والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل، والسكينة والوقار في أهل الغنم)[2].

ومن اهتمام النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالدعوة في اليمن أنه بعث أصحابه لنشر الإسلام. وتعليم الناس أمور دينهم، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين بعث معاذاً إلى اليمن، أوصاه بقوله: إنك ستأتي قوماً أهل كتاب فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا لإله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب[3].

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان ٩٢-٩٣.

(٢) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب المغازي، باب قدوم الأشعريين، وأهل اليمن، ج٤، ص١٥٩٤ ح(٤١٢٧)، مسلم:صحيح الإمام، كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه، ج١، ص٧٣ ح(٥٢).

(٣) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد على =

وقد أرسل الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ برسائله إلى ملوك اليمن، وعظماء القبائل، ورؤسائها من أبناء الملوك السابقين، داعياً إياهم إلى قبول الإسلام ديناً، ومحمداً رسولاً، وعلى رأسهم الحارث بن عبد كُلال الحميري، وهو أحد أقيال اليمن(١)، قال ابن إسحاق رَحِمَهُٱللَّهُ: « قدم على النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مقدمة من تبوك كتاب ملوك حمير بإسلامهم منهم: الحارث بن عبد كلال، وكان النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أرسل إلى الحارث بن عبد كلال المهاجر بن أبي أمية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فأسلم وكتب إلى النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مشهداً يقول فيه:

ودينك دين الحق فيه طهارة وأنت بما فيه من الحق آمر(٢)

وكان من حديثه أنه لما قدم المهاجر بن أبي أمية عليه، قال: يا حارث إنك كنت أول من عرض عليه النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ نفسه فخطئت عنه، وأنت أعظم الملوك قدراً، فإذا نظرت في غلبة الملوك فانظر في غالب الملوك، فإذا سَرّك يومك فخف غدك، وقد كان قبلك ملوك ذهبت آثارها وبقيت أخبارها، عاشوا طويلاً؛ أمَّلوا بعيداً، وتزودوا قليلاً، منهم من أدركه الموت، ومنهم من أكلته النقم، وإني

= الفقراء حيث كانوا، ج٢، ص٥٤٤، ح (١٤٢٥) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، ج١، ص٢٥٠، ح(١٩).

(١) القيل، أحد ملوك حمير، وهو الملك النافذ القول والأمر، دون الملك الأعظم. ابن منظور: لسان العرب، حرف اللام، فصل القاف، مادة (قيل)، ج١١، ص٥٨٠.

(٢) ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص٢٢٤.

أدعوك إلى الرب الذي إن أردت الهدى لم يمنعك، وإن أرادك لم يمنعه منك أحد، وأدعوك إلى النبي الأمي الذي ليس شيء أحسن مما يأمر به، ولا أقبح مما ينهى عنه، واعلم أن لك رباً يميت الحي ويحي الميت، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فقال الحارث: قد كان هذا النبي عرض نفسه عليّ فخطئت عنه، وكان فخراً لمن صار إليه، وكان أمره أمراً سبق، فحضره اليأس وغاب عنه الطمع، ولم يكن لي قرابة احتمله عليها، ولا لي فيه هوى أتبعه له، غير أني أرى أمراً لم يوسوسه الكذب ولم يسنده الباطل، له بدء سار وعاقبة نافعة، وسأنظر[1].

لقد كان حسن الخطاب النبوي واختيار الرسل الفصحاء البلغاء الذين يؤدون الرسالة ويقيمون الحجة ويقنعون المدعو، له الأثر الكبير في قبول هؤلاء الزعماء لدعوة الإسلام وانقيادهم للحق.

وقد كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدرك قيمة تأثير رأي الملك أو الأمير في رعيته أكثر من تأثير غيره، ولذلك خاطبهم بإرسال الرسائل والرسل إليهم.

وبدأ الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالحكام لأهميتهم، موجهاً الدعوة لهم بطريق مباشر؛ لأنهم المؤثرين في شعوبهم.

وقد خاطب الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الملوك والأمراء ودعاهم للإسلام لأن اعتناقهم سيكون سبباً في إسلام شعوبهم فالناس على

---

(١) السهيلي: الروض الأنف، ج٤، ص٣٩٢-٣٩٣.

دين ملوكهم.

فكانت تلك الرسائل نداءً للملوك والأمراء أن يستجيبوا لهذه الدعوة، وأن يسمحوا لدعاتها بممارسة الدعوة، ويسمحوا لشعوبهم بالسماع لهذه الدعوة لكي يختاروا عقيدتهم على بينة بعيداً عن القسر والإكراه.

وفي رسائل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الملوك والأمراء فوائد دعوية عظيمة من أهمها:

١-اتصاف الداعية بمكارم الأخلاق؛ لأن مكارم الأخلاق هي عنوان دعوته، وسبب انتشارها، فهذا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لاتصافه بالصدق والعفاف والصلة وغيرها من مكارم الأخلاق شهد له الأعداء وأقروا له بالفضل، قبل أن يؤمنوا به.

٢-ولقد راعى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحوال المدعوين من الملوك، فخاطبهم بما يحتاجونه للدخول في الإسلام، ففي رسالة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى النجاشي كان يراعي ما هو عليه من النصرانية، فيقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (أسلم يؤتك الله أجرك مرتين) يكتب لهم بقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران:٦٤].

٣-ودلت رسائل الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الملوك والأمراء على حرص النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على هدايتهم للإسلام من خلال نصحهم وإرشادهم؛ لما فيه الخير والنفع في الدنيا والآخرة، فنجد أنه كتب إلى كسرى وقيصر والنجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله، استخدم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في رسائله إلى الملوك القول اللطيف الذي يؤثر في النفوس تأثيراً سريعاً.

٤-وكانت رسائله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تظهر فيها صفة الرحمة، فكان رحيماً بمن يدعوهم مشفقاً عليهم، يدعوهم للنجاة من النار، والفوز بالجنة، ووصفه الله عَزَّ وَجَلَّ بالرحمة، قال تعالى: ﴿... وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:١٥٩]. فأرسل رسائله لملوك وأمراء زمانه؛ لإنقاذهم من النار.

٥-وفي رسائله للملوك والأمراء يظهر حُسن خلقه من خلال تلطفه في كتاباته مع هؤلاء الملوك والأمراء، فلم يكن متكبراً ولا متعالياً، بل كان يخاطب الناس على قدر مكانتهم وينزل كلاً في منزله اللائق به، فقد كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحسن الناس خلقاً، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم:٤] وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[(١)].

فلم يكن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يريد من وراء إرسال رسائله

---

(١) الإمام أحمد: المسند، ج٢، ص٣٨١ ح(٨٩٣٩).

للملوك والأمراء شيئاً من الدنيا، بل كان يريد هداية الناس إلى دين الله، ودلالتهم على الخير، وفي رسالته إلى ملك البحرين وملكي عمان وغيرهم من الملوك بين النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه لم يرد من وراء دعوته الحصول على مراكز دنيوية أو أي سلطة، حيث قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لجيفر وعبد ابني الجلندي: «إنكما إن أقررتما بالإسلام ولّيتكما، وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام فإن ملككما زائل» وقال-عليه الصلاة والسلام-لملك البحرين: (المنذر بن ساوى) «وإنك مهما تصلح فلن نعزلك من عملك» فلم يطلب الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أحد مُلكه، بل أبقى كل ملك أسلم في ملكه؛ كما فعل مع أمير البحرين، وملكي عمان، وفي هذا تشجيع للمدعو للدخول في الإسلام.

٦-ويتضح حسن خطابه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع المدعوين من الملوك والأمراء من خلال رسائله التواضع في اسم المرسل، والتفخيم في اسم المرسل إليه، فقد ذكر الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسمه مجرداً في رسائله إلى الملوك والأمراء، وأنه عبدالله؛ ليبين أن الناس سواسية في الإسلام كأسنان المشط، لا فضل لعربي على عجمي، ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى.

٧-وكان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخاطبهم في رسائله بعبارات موجزة تحوي على معان كثيرة، وتظهر فصاحته، ولم يكن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتكلف في اختيار الألفاظ كما يتكلف الكهّان وغيرهم، بل تجري الكلمات عذبة على لسانه لتلامس القلوب الصالحة، وتعمل

فيها عمل السحر البيان.

وتجلت صفة الرفق في خطابه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لملوك اليمن يأمرهم بأن يأخذوا الجزية من أهل الكتاب ممن لم يدخل في الإسلام ديناراً معافرياً، فإن لم يتيسر فيأخذوا ثياباً مُعافرية، أو قيمة الدينار، وكل ذلك من باب التيسير والرفق.

٨-وقد ورد السلام في رسائل الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الملوك والأمراء لمن اتبع الهدى، لحكمة يريدها صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو حصول المودة والألفة، وذهاب النفرة والجفوة، وأنه يرغب منهم اتباع الهدى الذي جاء من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهو يدعوهم لذلك الهدى والرشد.



المبحث الثالث

طيـــــب المعاملـــــة

<u>وفيــــــه:</u>

١) إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٢) إسلام أبا محذورة الجمحي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٣) إسلام زيد بن سعنة اليهودي.

٤) إسلام الغلام اليهودي الذي كان يخدمه.

٥) إسلام الوفود التي قدمت المدينة في العهد النبوي.

* * * ** * * *

تمهيـــد

قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[1].

لقد كان لطيب معاملته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعظم الأثر في إسلام الكثير من قومه وغيرهم، حيث لم يملَّ من دعوته لهم، ولم يتبرم من أذيتهم؛ بل كان يخالطهم ويحادثهم، ويداعب صبيانهم، ويجيب دعوة الحر والعبد، والأمة والمسكين، ويعود المرضى في أقصى المدينة، ويقبل عذر المعتذر.

ويبدأ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من لقيه بالسلام، ويكرم من دخل عليه، وربما بسط له ثوبه، ويؤثره بالوسادة التي تحته، ويعزم عليه في الجلوس عليها إن أبى، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجوز فيقطعه.

فالأخلاق الحقيقية والمؤثرة وعاء يستوعب حياة الإنسان كلها، وتتميز تلك الأخلاق بالدأب والصبر والمداومة.

وقوة الأخلاق وثباتها تبدو حين الاختلاف وعند الانشغال الشديد أو الخوف والفزع، فيفقد الإنسان هدوءه وتتوتر أعصابه، فيظهر هنا أولو العزم من أصحاب الأخلاق رابطي الجأش، فلا يقولون إلا خيرا، ولا يتعاملون إلا بالحسنى، كما كان يفعل نبينا محمد

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولقد أجمل القرآن وصف خلقه فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1].

فهذه هي القوة الحقيقية: قوة الأخلاق وأثرها في جذب المدعو إلى الإسلام طوعاً ورغبة كما دل على ذلك الكثير من الوقائع التاريخية مع أفضل البشر محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



(١) سورة القلم، آية: ٤.

١- إسلام الطفيل بن عمرو الدوسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(١)

الطفيل بن عمرو الدوسي، قدم مكة ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بها، فمشى إليه رجال من قريش، وكان الطفيل رجلاً شريفاً، شاعراً، لبيباً، فقالوا له: يا طفيل إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا، وقد فرق جماعتنا، وشتت أمرنا وإنما قوله كالسحر، يفرق بين الرجل وبين أبيه، وبين الرجل وبين أخيه، وبين الرجل وبين زوجته، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلمنه، ولا تسمعن منه شيئاً، قال: فوالله مازالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه، حتى حشوت في أذني حين

---

(١) هو الطفيل بن عمرو بن طريف بن العاص بن ثعلبة بن سليم بن فهم بن غنم بن دوس الدوسي، أسلم وصدق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكة، ثم رجع إلى بلاد قومه من أرض دوس، فلم يزل مقيماً بها حتى هاجر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،ثم قدم على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو بخيبر بمن تبعه من قومه، فلم يزل مقيماً مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى قبض صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم كان مع المسلمين، حتى قتل شهيداً، وروى إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق قال: قتل الطفيل بن عمرو الدوسي عام اليرموك، في خلافة عمر بن الخطاب، وذكر المدائني عن أبي معشر: أنه استشهد يوم اليمامة. ابن عبدالبر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ص٣٨٢؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص٤٨٥؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص٦٦.

غدوت إلى المسجد كرسفاً[(١)] فرقاً من أن يبلغني شيء من قوله، وأنا لا أريد أن أسمعه، قال: فغدوت إلى المسجد، فإذا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قائم يصلي عند الكعبة، قال: فقمت منه قريباً، فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله: قال: فسمعت كلاماً حسناً، قال: فقلت في نفسي: واثكل أمي، والله إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى علي الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول؟ فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلته، وإن كان قبيحاً تركته.

قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى بيته، فأتبعته حتى إذا دخل بيته دخلت عليه، فقلت: يا محمد، إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا، للذي قالوا، فوالله ما برحوا يخوفونني أمرك حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يسمعني قولك، فسمعته قولاً حسناً، فأعرض عليَّ أمرك، قال: فعرض علي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإسلام، وتلا عليَّ القرآن، فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه، قال: فأسلمت وشهدت شهادة الحق، وقلت: يا نبي الله، إني امرؤ مطاع في قومي وأنا راجع إليهم، وداعيهم إلى الإسلام، فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عوناً عليهم فيما أدعوهم إليه، قال: «اللهم اجعل له آية»[(٢)].

---

(١) كرسفاً: القطن، انظر: الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص١٤٩٨.

(٢) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم، ج٢، ص٥٦٧، ح(٢٩٣٧).

قال: فخرجت إلى قومي، حتى إذا كنت بثنية تطلعني على الحاضر وقع نور بين عيني مثل المصباح، فقلت: اللهم في غير وجهي، إني أخشى أن يظنوا أنها مُثْلَة وقعت في وجهي لفراقي دينهم، قال: فتحول فوقع في رأس سوطي[1]، قال: فجعل الحاضر يتراءون ذلك النور في سوطي كالقنديل المعلَّق[2]، وأنا أهبِط إليهم من الثَّنِيّة[3]، قال: حتى جئتهم، فأصبحت فيهم.

قال: فلما نزلت، أتاني أبي، وكان شيخاً كبيراً قال: فقلت: إليك عني يا أبت، فلستُ منك ولستَ مني، قال: ولم يا بني؟ قلت: إني أسلمت وتابعت دين محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: أي بني، فديني دينك قال: فقلت: فاذهب واغتسل وطهر ثيابك ثم تعال حتى أعلّمكَ ما عُلِّمتُ، قال:

---

(١) السوط: الذي يُضرب به، والجمع أسواط وأسياط، الفارابي: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، باب سوط، ج٣، ص١١٣٥.

(٢) القنديل المعلق: قنديل (مفرد) وجمعه قناديل وهو: مصباح في وسطه فتيل يملأ بالماء والزيت ويُشعل، قنديل المسجد/ نفط - ويُستخدم القنديل عند انقطاع الكهرباء، أحمد مختار عبدالحميد عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، (ط١، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م)، باب (ق ن د ل)، ج٣، ص١٨٦١.

(٣) الثنية: وهي المسلك بين جبلين وهي ثنية تُسلك من رأس حُنين، وهي إحدى الثنايا المتقدمة، وتسمى الثنية بلا إضافة، ولا زال هذا اسمها اليوم، عتاق البلادي: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص٦٥.

فذهب فاغتسل، وطهر ثيابه، قال: ثم جاء فعرضت عليه الإسلام، فأسلم. قال: ثم أتتني صاحبتي، فقلت: إليك عني، فلست منك ولستِ مني، قالت: لم بأبي أنت وأمي؟ قال: قلت: قد فرق بيني وبينك الإسلام، وتابعت دين محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قالت: فديني دينك.

ثم دعوت دوساً فأبطئوا عن الإسلام فرجعت إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكة فقلت: يا رسول الله، ادع الله عليهم، فقال: «اللهم اهد دوساً، ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم»[1].

قال: فلم أزل بأرض قومي أدعوهم إلى الإسلام حتى هاجر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة، وقضى بدراً وأحداً والخندق، ثم قدمت على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمن أسلم معي من قومي، ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخيبر، حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتاً من دوس، ثم لحقنا برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخيبر، فأسهم لنا مع المسلمين[2].

فقصة الطفيل بن عمرو الدوسي مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها دلالة واضحة على مدى حرص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على هداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور، فقد استمع صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الطفيل بن عمرو وخاطبه خطاباً حسناً، وتلا عليه القرآن فلم يغضب-عليه الصلاة والسلام-لما قاله له الطفيل عن كلام قومه فيه؛ بل حاوره

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص٣٥٢.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص٣٥٤.

وخاطبه بالحجة والبرهان والحكمة.

وبلغ من كمال هديه وحسن خلقه أن دعى الله عَزَّوَجَلَّ لقبيلة الطفيل بن عمرو الدوسي بالهداية بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهم اهد دوساً».

وقد أثمر هذا الحوار وحسن الخطاب والتعامل مع الطفيل بن عمرو أن أعلن إسلامه وقام بالدعوة إلى الله مبتدئاً بالأقربين من والده وزوجته وقبيلته، فحري بالمسلم منذ أن يعرف هذا الدين أن يكون داعياً إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

والحذر كل الحذر من أهل الباطل الذين يقلبون الحق باطلاً، والباطل حقاً وينفرون الناس عن دين الله، وعن حملة شريعته، ولهذا نجد أن الطفيل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رفض تحذيرات قريش وتشويههم للحق وصاحبه، واستخدم عقله الذي وهبه الله إياه، واستمع إلى الحق واهتدى به ودعا إليه.



٢- إسلام أبي محذورة الجمحي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١]

قال أبو محذورة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: « خرجت في نفر عشرة فكنا في بعض الطريق حين قفل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للصلاة فسمعنا صوت المؤذن ونحن متنكبون، فصرخنا نحكيه ونستهزئ به، فسمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصوت، فأرسل إلينا إلى أن وقفنا بين يديه فألقى عليَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التأذين هو بنفسه، فقال: قل الله اكبر، الله أكبر، فذكر الأذان ثم دعاني حيث قضيت التأذين، فأعطاني صرة[٢] فيها شيء من فضة ثم وضع يده على ناصيتي، ثم مر بين ثديي، ثم على كبدي، حتى بلغت يد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سرتي، ثم قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بارك الله فيك وبارك الله عليك» فقلت يا رسول الله

---

(١) هو مؤذن المسجد الحرام، وصاحب النبي، اسمه: سمرة بن معير، وقيل اسمه: معير بن محيريز، وقيل: أوس بن معير بن لوذان بن ربيعة بن عريج بن سعد بن جمح. وكان من أندى الناس صوتاً وأطيبه، ابن عبدالبر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ص٨٤٢؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٥، ص٩١؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٧، ص٣٢٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٤، ص٢٥٥؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٥، ص٤٥٠.

(٢) الصرة: صُرةُ الدراهم، أبو منصور الأزهري: محمد بن أحمد بن الأزهري، تهذيب اللغة، (تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م)، باب الصاد والراء، ج١٢، ص٧٧.

مرني بالتأذين بمكة، قال: أمرتك به، وذهب كل شيء كان في نفسي لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من كراهة وعاد ذلك كله محبة لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1].

من جوانب عظمته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وطيب معاملته حرصه على الطفل الموهوب حتى ولو كان غير مسلم، ويتبين لنا هذا من قصة أبي محذورة صاحب الصوت الجميل الذي كان يستهزئ بأذان المسلمين، وكيف اهتم به الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعامله معاملة حسنة ولم يعاقبه على استهزائه بالأذان، بل مسح على رأسه وقال: (اللهم بارك فيه واهده إلى الإسلام.. اللهم بارك فيه واهده إلى الإسلام) وقال له: قل الله أكبر، الله أكبر.

فنلاحظ رفق النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالناس وتأليف قلوبهم، فأبو محذورة يهزأ بالأذان، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعوه ويأمره بالأذان، ثم يعطيه من الفضة ما يرضي نفسه، ويمر بيده على ناصيته ثم وجهه ثم صدره ثم بطنه حتى سرته. ويبارك له وعليه، فيزيل الله ما في قلبه من كره، فيعود حباً ببركة دعاء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتى يرغب فيما كان يكرهه، ويطلب أن يكون مؤذن المسجد الحرام، فالرفق بالمتعلمين

---

(١) الدارقطني: علي بن عمر الدارقطني، سنن الدارقطني، (تحقيق: عادل أحمد) علي محمد، كتاب الصلاة، باب في ذكر أذان أبي محذورة، د ط، دار المؤيد، الرياض،(١٤٢٢هـ-٢٠٠١)م، ج١، ص٥١٤، ح(٨٨٩).

ودعاء رب العالمين خاصة من النبي ﷺ واستخدام المال لتأليف القلب منهج نبوي ينبغي أن يستعين دعاة اليوم بذلك لعل الله أن يفتح لهم القلوب المغلقة[1].



---

(١) انظر: مقال بعنوان (عظمة محمد مع أطفال غير المسلمين) رشاد لاشين، جامعة الزقازيق، الشريعة الإسلامية، الشبكة العنكبوتية ٠

٣- إسلام زيد بن سُعْنَة الحبر الإسرائيلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

هو أحد أحبار اليهود، ومن أكثرهم مالاً، أسلم فحسن إسلامه، وشهد مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مشاهد كثيرة، وتوفي في غزوة تبوك مقبلاً إلى المدينة[١].

ويقال: له سعية-بالياء، والنون-أكثر في هذا[٢].

عن عبدالله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إن الله تبارك وتعالى لـمَّا أراد هداية زيد بن سعنة، قال زيد بن سُعنة: ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في وجه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين نظرت إليه، إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً. فكنت أتلطف له لأن أخالطه فأعرف حلمه من جهله، قال زيد بن سعنة: فخرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الحجرات، ومعه علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأتاه رجل على راحلته كالبدوي، فقال: يا رسول الله، إن بُصْرى قرية بني فلان قد أسلموا ودخلوا في الإسلام، وكنت حدثتهم إن أسلموا أتاهم الرزق، وأصابتهم سنة وشدة وقحوطاً من

(١) ابن عبدالبر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص٢٨٩؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص٢٤٥؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص٥٦٦.

(٢) ابن عبدالبر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص٢٨٩.

الغيث، أصابهم شدة وقحط من العيش، فأنا أخشى يا رسول الله، أن يخرجوا من الإسلام طمعاً كما دخلوا فيه طمعاً، فإن رأيت أن ترسل إليهم بشيء تعينهم به فعلت، فنظر رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلى رجل إلى جانبه، أراه علياً، فقال: يا رسول الله، ما بقي منه شيء.

قال زيد بن سعنة: فدنوت إليه، فقلت: يا محمد؛ هل لك أن تبيعني تمراً معلوماً من حائط بني فلان إلى أجل كذا وكذا؟ فقال: (لا يا يهودي، ولكن أبيعك تمراً معلوماً إلى أجل كذا وكذا)، ولا يسمي حائط بني فلان قلت: نعم، فبايعني فأطلقت همياني، فأعطيته ثمانين مثقالاً من ذهب في تمر معلوم إلى أجل كذا وكذا، فأعطاها الرجل، فقال: اعجل عليهم، وأعنهم بها.

قال زيد بن سعنة: فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاثة، أتيته فأخذت بمجامع قميصه وردائه، ونظرت إليه بوجه غليظ فقلت له: ألا تقضني يا محمد حقي؟ فوالله ما علمتكم بني عبدالمطلب لمطل[1]، ولقد كان لي بمخالطتكم علم، ونظرت إلى عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وإذ عيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير، ثم رماني ببصره، وقال: يا عدو الله، تقول لرسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ما أسمع، وتصنع به ما أرى؟ فوالذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر قوته لضربت

---

(١) المطل: التسويف بالعِدَّة والدَّينِ، كالامْتِطال والمُمَاطَلَةِ، الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ص١٦٤١.

بسيفي رأسك. ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة وتبسم، ثم قال: «يا عمر أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا. أن تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن التباعة، اذهب يا عمر، فأعطه حقه، وزده عشرين صاعاً من تمر، مكان ما رعته».

قال زيد: فذهب بي عمر رضي الله عنه، فأعطاني حقي، وزادني عشرين صاعاً من تمر، فقلت: ما هذه الزيادة ياعمر؟ قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أزيدك مكان مارعتك. قلت: وتعرفني يا عمر؟ قال: لا، من أنت؟ قلت: أنا زيد بن سُعنة. قال: الحبر؟ قلت: الحبر، قال: فما دعاك أن فعلت برسول الله ﷺ ما فعلت، وقلت له ما قلت؟ قلت: يا عمر، لم يكن من علامات النبوة شيء إلا قد عرفتها في وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه، إلا اثنتين، لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً، فقد اختبرتهما، فأخبرك يا عمر أني قد رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمداً ﷺ نبياً، وأشهدك أن شطر مالي - فإني أكثرها مالاً- صدقة على أمة محمد ﷺ فقال عمر: أو علي بعضهم -فإنك لا تسعهم كلهم. قلت: وعلى بعضهم.

فرجع عمر وزيد إلى رسول الله ﷺ فقال زيد: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ، وآمن

به وصدقه وبايعه وشهد معه مشاهد كثيرة[1].

فزيد بن سعنة كان أحد أحبار اليهود، وقد اطلع في بعض الكتب القديمة التي أنزلها الله تعالى على بعض أنبيائه، أن نبي آخر الزمان يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً، فأراد هذا الحبر اليهودي بعد أن هاجر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة أن يعرف هل ينطبق على محمد النعت المذكور في نبي آخر الزمان، أن حلمه يسبق جهله، وأن شدة الجهل عليه لا يزيده إلا حلماً، أي أنه مهما أوذي لا يوصله إلى أذى الناس؛ بل لا يخرج عن مقتضى الحكمة، فأراد أن يمتحن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعامله بدين مؤجل إلى أجل معلوم.

ثم قبل أن يحل الأجل تعرض هذا اليهودي زيد بن سعنة لرسول الله بالمطالبة بالدين فنال من رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكلمة تهز المشاعر، فأراد بعض من الصحابة وهو عمر بن الخطاب أن ينتقم منه من شدة تغيظه عليه لأنه أساء الأدب مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكاد أن يبطش به فيقتله، فنهاه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعرف الحبر أن تلك الصفة والنعت المذكور في وصف محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منطبقة عليه، فعرف أن محمداً هذا هو ذلك النبي الذي بشر به الأنبياء، فتشهد

---

(١) الحاكم: المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص٦٠٤-٦٠٥ وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ورده الذهبي بقوله: قلت: ما أنكره.

شهادة الحق فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله.

فكان طيب المعاملة والحكمة والخلق الحسن عاملاً مؤثراً في إسلام الحبر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.



٤- إسلام الغلام اليهودي الذي كان يخدم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان غلام يهودي يخدم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمرض فأتاه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: أسلم، فنظر إلى أبيه، وهو عنده، فقال له: أطع أباالقاسم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأسلم فخرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار»[١].

وهذا يدل على رحمة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وطيب معاملته ورأفته بالناس على وجه العموم.. وإن تعجب فاعجب من موقف والده هذا؟!.

وهذا الغلام اليهودي كان من عامة أهل المدينة، ودفعته الحاجة إلى البحث عن مصدر رزق يعين به أهله، فاختار أن يعمل في بيوت يثرب وأحيائها، يقضي الحوائج، ويعين في الأعمال، راضياً بما يحصل عليه من زهيد الأجر، وينتهي المطاف بالفتى في بيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليعيش في كنفه ويتفيأ من ظلاله، فأبصر نموذجاً لم يعهده من الأخلاق السامية والخصال الفاضلة، إذ لم يسبق له أن رأى سيداً لا يضرب خادمه ولا يعنفه، ولكن يحسن إليه ويلاطفه؛ فلا عجب أن

---

(١) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي ومات، هل يصلي عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام، ج١، ص٥٣٠ ح(١٣٥٦).

شغف الفتى بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأحبه عن قرب.

وتمر الأيام كالشهد المصفى على قلب الفتى اليافع، وهو في ذلك حريص على نقل مشاهداته إلى والده، فيسرد له من أخباره عليه الصلاة والسلام وعاطر سيرته، ويسر الأب بما يلاقيه ولده من كريم المعاملة وطيبها، وتقع في نفسه أبلغ موقع، حتى أتى ذلك اليوم الذي افتقد فيه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خادمه اليهودي ولما سأل عنه جاءه الخبر بأن الفتى مريض طريح الفراش، فيهرع-عليه الصلاة والسلام-لزيارته ودخل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند الفتى وجلس عند رأسه متأملاً في ملامحه المرهقة وجسده المتعب الذي أنهكه المرض، فقال له: أسلم يريد أن ينطق بكلمة الحق، وأن يدخل في حياض الدين الإسلامي، حتى يكتب من الفائزين، والفتى منذ رأى أخلاق النبوة قد شرح الله صدره للإسلام؛ لكنه كان يخشى في الوقت ذاته من رفض والده أن يذعن للحق، فجعل يلتفت إليه تارة، وإلى النبي تارة أخرى، وينطق الأب أخيراً، أطع أباالقاسم، فيسرع الفتى بالنطق بالشهادتين فبذلك تم المقصود، وحصل المأمول، وخلع الفتى رداء اليهودية الباطلة، وأبدله بثوب الحق والهدى، ويخرج النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والبشر ظاهر علي قسمات وجهه، ولسانه لم يفتر عن حمد الله عَزَّوَجَلَّ على هذه النعمة «الحمد لله الذي أنقذه من النار».

وهذه القصة تكشف النفسية الهادئة اللطيفة في التعامل مع الكفار -مشركين ويهود- فلم يكن ثمة توتر ولا توجس، فهذا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمر بمجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين واليهود

فيجلس إليهم، ويتحدث معهم، ويدعوهم ثم يمضي، بل هو ﷺ يزورهم في بيوتهم، ويجيب دعواتهم، ويفتح بيته لزيارتهم بل ويدني فتى منهم حتى يلي هذه الخصوصية في الخدمة.

إن هذا كله مظهر قوة ووثوق، فإن هذه المخالطة أقصر الطرق لتعرِّف هؤلاء على الدين وأهله، ولهدم الحواجز التي قد توجد في نفوسهم عن قبوله أو التعرف عليه.

نتساءل: ماذا أفاد رسول الله ﷺ وأصحابه من فتى صغير أسلم ثم مات من ساعته، فلن يشهد معهم معركة، ولن يكثر لهم جمعاً، ولن يحوز لهم مالاً، ولن يخدم رسول الله ﷺ كما كان يخدمه من قبل، فبأي شيء يكون الفرح؟! إن هداية الناس واستنقاذهم من دركات النار كانت قضية النبي ﷺ التي عاش لها، وارتبطت مشاعره بها، فرحه وحزنه، غضبه ورضاه، ولذا يفرح هذا الفرح، ويحمد ربه على هذه النعمة أن بشراً قد اهتدى بعد ضلال، ونجا بدعوته من النار، وإن كان ذاك فتى أسلم ثم مات بعد من ساعته، وإن النبي ﷺ الذي فرح هذا الفرح، هو الذي حَزِن أشد الحزن، حتى كاد أن يهلك أسفاً لما أعرض عن دعوته من أعرض[1] قال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ٦﴾[2].

---

(١) عبدالوهاب الطريري، قصص نبوية، ص٦٣.

(٢) سورة الكهف، آية: ٦.

٥- إسلام الوفود التي قدمت المدينة في العهد النبوي

وفد أشجع[(١)]:

قال ابن سعد: « وقدمت أشجع على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عام الخندق، وهم مئة رأسهم مسعود[(٢)] بن رخيلة، فنزلوا شعب سلع، فخرج إليهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأمر لهم بأحمال التمر، فقالوا: يا محمد لا نعلم أحداً من قومنا أقرب داراً منا، ولا أقل عدداً، وقد ضقنا بحربك وبحرب قومك، فجئنا نوادعك، فوادعهم أحمال[(٣)].

---

(١) ينسبون إلى أشجع بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان بن مضر، الكلبي: هشام بن محمد، جمهرة النسب: (تحقيق: ناجي حسن، ط١، عالم الكتب، بيروت،(١٤٠٧هـ- ١٩٨٧)، ص٤٥٣، ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، جمهرة أنساب العرب، (تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، ط، دار المعارف، القاهرة، د ت)، ص٢٤٩، ابن الاثير: أبو الحسين علي بن محمد بن عبدالكريم الجزري، اللباب في تهذيب الأنساب، (دار صادر، بيروت، د ط، د ت)، ج١ ص٦٥، القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م)، ص٥٠.

(٢) مسعود بن رخيلة بن عابد بن مالك الأشجعي، كان قائد أشجع يوم الأحزاب، ثم أسلم فحسن إسلامه، ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٦، ص٩٠.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ج١، ص٣٠٦.

ويظهر أثر حسن تعامل رسول الله معهم ومبادرته بتقديم أصحابه التمر لهم، وقد أصابهم الجوع والخوف، وكان رسول الله قادراً على حربهم والانتقام منهم لمشاركتهم الأحزاب، غير أنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقدم السلم وحسن التعامل والدعوة على كل أمر، وكان هذا التعامل الحسن سبباً في إسلامهم.

وفد عبدالقيس[1]:

عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: إن وفد عبس القيس لما أتوا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: من القوم أو من الوفد؟ قالوا: ربيعة قال: مرحباً بالقوم أو بالوفد غير خزايا ولا ندامى. فقالوا: يا رسول الله إنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في الشهر الحرام، وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، فمرنا بأمر فصل نخبر به من وراءنا وندخل به الجنة فقال: آمركم بأربع؟ وأنهاكم عن أربع: آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تعطوا الخمس من المغنم،

---

(١) ينسبون إلى عبدالقيس بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار، قبيلة عظيمة ينسب إليها خلق كثير، ولها بطون كثيرة. كانت مواطنهم بتهامة، ثم خرجوا إلى البحرين، واستقروا بها وبقراها، ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، ج٢، ص٣١٤، كحالة: عمر رضا، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، (ط٣، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م)، ج٢، ص٢٧٦.

وأنهاكم عن أربع: عن الدباء[1]، والحنتم[2]، والنقير[3]، والمزفت[4]، فاحفظوهن وادعوا إليهن من وراءكم[5].

فعند تأمل معاملة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لوفد عبدالقيس، وذلك من خلال حُسن استقبالهم ومخاطبتهم، والترحيب بهم، ومدحهم والثناء عليهم، نجد منهجاً نبوياً عظيماً متميزاً في معاملة الوفد كان له الأثر الكبير في ثباتهم على الإسلام، بل وزيادة إيمانهم وتأليف قلوب من وراءهم للدخول في الدين الإسلامي والثبات عليه، فقد حرص صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على إكرامهم، وأوصى بهم كما في رواية الإمام أحمد أن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال للأنصار: أكرموا إخوانكم فإنهم أشباهكم في الإسلام أشبه شيئاً بكم، ولما أصبحوا سألهم عن ضيافة الأنصار

---

(١) الدباء: القرع واحدها دباءه وكانوا ينتبزون فيها فتسرع الشّدّة في الشراب. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٢، ص٩٦.

(٢) الحنتم: جرار مدهونة خضر كانت تحمل فيها الخمر إلى المدينة ثم اتسع فيها فقيل للخزف كله حنتم، وإنما نهى عن الانتباذ فيها؛ لأنها تسرع الشّدّة فيها لأجل دهنها. المصدر نفسه، ج١، ص٤٤٨.

(٣) النقير: أصل النخلة ينقر وسطه ثم ينبذ فيه التمر ويلقى عليه الماء ليصير نبيذا مسكرا. المصدر نفسه، ج٥، ص١٠٤.

(٤) المزفت: من الأوعية هو الإناء الذي طلى بالزفت. وهو نوع من القار، ثم انتبذ فيه. ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٢، ص٣٠٤.

(٥) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب أداء الخُمُس من الإيمان، ج١، ص٣١، ح(٥٣).

وإكرامهم إياهم، فأخبروه أنهم خير إخوان ألانوا فراشهم، وأطابوا مطعمهم، وباتوا وأصبحوا يعلمونهم كتاب الله وسنة نبيه، فأعجب النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ذلك وفرح به، ثم عرضوا عليه ما تعلموه من كتاب الله، والسنن والتحيات، ثم سألهم هل معهم من أزوادهم شيئاً ففرحوا، وابتدروا رحالهم، وجاء كل واحد منهم بصرة تمر ووضعوه أمام رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ثم إنه مدح تمرهم البرني، فلما رجعوا من وفادتهم أكثروا الغرس منه، وعظمت رغبتهم فيه[1] ولم تكن له تلك المنزلة قبل ذلك.

ورجع القوم إلى ديارهم بعد أن تفقهوا، وأجازهم الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كما هي عادته مع الوفود.



(١) الإمام أحمد: المسند، ج٣، ص٤٣٢.

۞ وفد حضرموت[1] ووائل بن حجر[2]:

يحكي وائل بن حجر خبر قدومه إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قائلاً: «بلغنا ظهور رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنا في بلد عظيم ورفاهية عظيمة فرفضت ورغبت إلى الله عَزَّ وَجَلَّ وإلى رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما قدمت عليه أخبرني أصحابه أنه بَشَّر بمقدمي عليهم قبل أن أقدم بثلاث

---

(١) حضرموت: إقليم عظيم مشهور من أقاليم جزيرة العرب، وهو -جغرافياً- معدود من اليمن، وهو في جنوب الجزيرة العربية، يحده شمالاً رمل الأحقاف المتصل بما يعرف اليوم بالربع الخالي، وجنوباً بحر العدل المتصل بالمحيط الهندي، وشرقاً عمان والبحر العربي، وغرباً مقاطعة عدن. عاتق البلادي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص١٠١.

(٢) وائل بن حجر: بن سعد بن مسروق بن وائل بن ضمعج بن وائل بن ربيعة الحضرمي الكندي، كان ملكاً عظيماً بحضرموت بلغة ظهور النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فترك ملكه ونهض إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسلماً فبشر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقدومه الناس قبل أن يقدم بثلاثة أيام فلمَّا قدم قرب مجلسه وأدناه ثم قال هذا وائل بن حجر أتاكم من أرض بعيدة من حضرموت طائعاً غير مكره راغبًا في الله ورسوله وفي دينه بقية أبناء الملوك اللهم بارك في وائل وفي ولده ثم أقطعه أرضاً، مات وائل بن حجر في إمارة معاوية بن أبي سفيان وذلك يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة مضت من ذي الحجة سنة أربع وأربعين ودفن في الحضارمة، وكنيته أبو هنيدة
ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي، الثقات (مراقبة: د/ محمد عبدالمعيد خان، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، الهند، ط١، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م)، ج٣، باب الواو، ص٤٢٤-٤٢٥.

ليال، فلما قدمت على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سلّمت عليه فرد علي وبسط رداءه وأجلسني عليه، ثم إنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صعد المنبر وأقعدني معه. ثم حمد الله وأثنى عليه، وقال: يا أيها الناس هذا وائل بن حجر قد أتاكم من ارض بعيدة من حضرموت طائعاً غير مكره »(١).

لقد حرص -صلوات الله وسلامه عليه- على حُسن استقباله خاصة وأنه من أسرة أقيال اليمن وملوكها.

وهذا من حسن خلقه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإنزاله الناس منازلهم، واحتوائهم احتواءً يليق بمكانتهم حتى يحصل بذلك الهدف الأسمى والغاية العظمى من تغلغل الإيمان في النفوس وثباته ثباتاً راسخاً، فما أروعها من وسيلة دعوية ناجحة لدخول المدعو في الإسلام بل ولدخول من وراء المدعو من قومه في الإسلام.



(١) البيهقي: دلائل النبوة، ج٥، ص٣٤٩؛ ابن سد: الطبقات الكبرى، ج١، ص٣٤٩.

۞ وفد ثقيف:

قدم وفد ثقيف إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد مقدمه من تبوك، وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد حاصرهم ثم انصرف عنهم، وقد لحق به منهم عروة بن مسعود[١] من زعمائهم فأسلم، ورجع إلى قومه يدعوهم فقتلوه، ثم بعد ذلك ندمت ثقيف وأدركت أنه لا طاقة لها بمحاربة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولذا عزمت على إرسال وفد إلى المدينة لمقابلة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن وفدهم: كنانة بن عبد ياليل[٢]، وعثمان بن أبي العاص[٣] وغيرهم.

فلما دنوا من المدينة، ونزلوا وادي قناة[٤]، ألفوا بها المغيرة بن

---

(١) عروة بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو الثقفي، وأمه سبيعة بنت عبد شمس. ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص٢٣٨.

(٢) كنانة بن عبد ياليل الثقفي: من سادات ثقيف في زمانه وأشرافهم الذين قدموا على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جميعاً، وقيل: أن كنانة لم يسلم، وخرج إلى نجران، ثم إلى الروم، فمات بها كافرا. المصدر نفسه، ج٥، ص٣٣١.

(٣) عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد بن دهيان بن عبدالله بن همام الثقفي، نزل البصرة وأسلم في وفد ثقيف، وأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتخذه عاملاً على الطائف، ثم أبو بكر، ثم استعمله عمر على عمان والبحرين، وتوفي في عهد معاوية سنة إحدى وخمسين وقيل: خمس وخمسين، وكان لعثمان دور بارز في منع ثقيف من الردة. المصدر نفسه، ج٤، ص٢٢١.

(٤) وادي قَنَاة: بالفتح، والقناة: القامة، ومنه: فلان صلب القناة، وكل خشبة عند العرب قنا كالعصا والرمح، وجمعها قنا، وقنى جمع الجمع، قاله ابن الأنباري، وقال =

شعبة[1] يرعى في نوبته ركاب أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكانت رعيتها نوباً على أصحابه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما رآهم ترك الركاب عند الثقفيين، وذهب يشتد، ليبشر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقدومهم عليه، فلقيه أبو بكر الصديق قبل أن يدخل على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأخبره عن ركب ثقيف أنهم قد قدموا يريدون البيعة والإسلام، وأن يشرط لهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شروطاً، ويكتتبوا من رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتاباً في قومهم وبلادهم وأموالهم، فقال أبو بكر للمغيرة: أقسمت عليك بالله لا تسبقني إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى أكون أنا أحدثه، ففعل المغيرة. فدخل أبو بكر على

= الأزهري: القناة ما كان ذا أنابيب من القصب، وبذلك سميت الكظائم التي تجري تحت الأرض قنى، والقناة: آبار تحفر تحت الأرض ويخرق بعضها إلى بعض حتى تظهر على وجه الأرض كالنهر، وبهذا سميت القنا من نواحي سنجار: وهي كورة واسعة بينها وبين البر وسكانها عرب باقون على عربيتهم في الشكل والكلام وقرى الضيف، وقناة أيضاً: واد بالمدينة وهي أحد أوديتها الثلاثة عليه حرث ومال، وقد يقال وادي قناة: قالوا: سمي قناة لأن تبعاً مرَّ به فقال هذه قناة الأرض، ياقوت الحموي: معجم البلدان، باب قناة، ج٣، ص٤٠١.

(١) المغيرة بن شعبة: بن أبي عامر بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب ابن عمرو بن سعد بن عوف بن قيس، وهو ثقيف الثقفي، يكنى أبا عبدالله، وقيل: أبا عيسى، وأمه امرأة من بني نصر بن معاوية، أسلم عام الخندق، وقدم مهاجراً، وقيل: إن أول مشاهده الحديبية، وكان المغيرة رجلاً طوالاً ذا هيبة أعور أصيبت عينه يوم اليرموك. ابن عبدالبر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص١٤٤٥.

رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأخبره بقدومهم عليه، ثم عاد المغيرة إلى أصحابه، وعلّمهم كيف يحيون رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلم يفعلوا إلا بتحية الجاهلية، ولما قدموا على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضرب لهم قبة في ناحية مسجده، وكان خالد[1] بن سعيد بن العاص، هو الذي يمشي بينهم وبين رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتى اكتتبوا كتابهم، وكان خالد هو الذي كتب كتابهم بيده، وكانوا لا يطعمون طعاماً يأتيهم من عند رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى يأكل منه خالد، حتى أسلموا وفرغوا من كتابهم، وقد كان فيما سألوا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يدع لهم الطاغية، وهي اللات، لا يهدمها ثلاث سنين، فأبى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك عليهم فما برحوا يسألونه سنة، ويأبى عليهم، حتى سألوا شهراً واحداً بعد مقدمهم، فأبى عليهم أن يدعها شيئاً مسمى، لكنه أعفاهم من هدمها وبعث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا سفيان بن حرب، والمغيرة بن شعبة ليهدماها، وقد كانوا سألوه مع ترك الطاغية أن يعفيهم من الصلاة، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فإنه لا خير في دين لا صلاة فيه، فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) خالد بن سعيد بن العاص بن أمية الأموي، أبو سعيد، صحابي مشهور، من السابقين الأولين إلى الإسلام، هاجر إلى الحبشة ثم قدموا المدينة مع جعفر بن أبي طالب، وشهد عمرة القضاء وما بعدها واستعمله النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على صدقات مذحج، وأمره أبو بكر على مشارف الشام، استشهد يوم مرج الصفر، وقيل يوم أجنادين. ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص٩١.

كتابهم، أمّر عليهم عثمان بن أبي العاص، وكان من أحدثهم سناً، وذلك أنه كان أحرصهم على التفقه في الإسلام، وتعلم القرآن، فقال أبو بكر لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا رسول الله، إني قد رأيت هذا الغلام منهم من أحرصهم على التفقه في الإسلام، وتعلم القرآن. وكان بلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يأتيهم حين أسلموا وصاموا رمضان، بفطورهم وسحورهم من عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1].

وقد خرج أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبشرونه بقدوم وفد ثقيف، بدليل أنهم كانوا يتبارون في أيّهم الأول يبشر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقدومهم.

وقد حاورهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الشروط التي حاولوا التمسك بها واشتراطها لدخولهم الإسلام مع أنها تناقض أصول هذا الدين، وقد رفض الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تلك الشروط، إلا أنه بحكمته وحسن معاملته وحلمه وأناته وإكرامه لهم تغلب على كل الصعاب في المفاوضات، حتى دخلوا في الإسلام وتخلوا عن تلك الشروط، وأعفاهم عما يمكن إعفاؤهم منه وهو تكسير الأصنام وهدم اللات حيث أرسل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أصحابه من يهدمها ويريحهم منها[2].

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٣، ص١٩٨، ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج١، ص٣١٢، الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص٩٦.

(٢) محمد باشميل: موسوعة الغزوات الكبرى، ج٢، ص١٧٠٨.

۞ وفد عذرة[1]:

قدم وفدهم على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صفر سنة تسع وعددهم اثنا عشر رجلاً، فيهم: جمرة بن النعمان العذري[2]، وسليم[3] وسعد[4] ابنا مالك، ومالك ابن أبي رباح، فنزلوا دار رملة بنت الحارث النجارية، ثم جاءوا إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسلموا بسلام الجاهلية وقالوا: نحن أخوة قصي لأمه، ونحن الذين أزاحوا خزاعة وبني بكر عن مكة، ولنا قرابات وأرحام. فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مرحباً بكم وأهلاً، ما أعرفني بكم، ما منعكم من تحية الإسلام؟ قالوا: قدمنا مرتادين لقومنا، وسألوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن

---

(١) عذرة -بضم العين وسكون الذال وفتح الراء- ينسبون إلى عذرة ابن سعد هذيم بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحافي بن قضاعة، وتتفرع قبيلتهم إلى أفخاذ كثيرة، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص٤٤٨، ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، ج٢، ص٣٣١.

(٢) جمرة بن النعمان بن هودة بن مالك بن سمعان العذري، كان أول من قدم صدقة بني عذرة إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأشار إلى وفادته. ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص٢٥٤.

(٣) سليم بن مالك العذري: وفد على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وفد بني عذرة، فأسلموا، وكانوا اثني عشر رجلاً. ابن حجر:الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣، ص١٤٥.

(٤) سعد بن مالك العذري: قدم على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وفد بني عذرة. المصدر نفسه، ج٣، ص٦٣.

أشياء من أمر دينهم فأجابهم فيها وأسلموا وأقاموا أياماً، ثم انصرفوا إلى أهليهم فأمر لهم بجوائز، كما كان يجيز الوفد، وكسا أحدهم بردة[1].

لقد كان لهدي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحسن أخلاقه ومعاملته للوفود معاملة طيبة أثراً كبيراً في تأليف قلوبهم للدخول في الإسلام وثباتهم عليه.

فقد جاءه وفد عذرة وسلموا عليه بتحية الجاهلية وبدأوا يذكر مفاخرهم ومدحهم لأنفسهم، ورحب بهم وأحسن إستقبالهم، ثم أراد أن يعرف عليه الصلاة والسلام سبب امتناعهم عن تحية الإسلام فسألهم عن ذلك، ثم شرع عليه الصلاة والسلام - بكل رحمة ورأفة- يشرح لهم تعاليم الدين حتى أسلم القوم فأغدق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليهم العطايا وأكرمهم كما كان يكرم الوفود.

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج١ ص٣٣١؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر في المغازي والسير، ج٢، ص٢٥١؛ ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد ج٣، ص٦٥٧؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ج٣، ص٢٧٢.

۞ وفد بني تميم[1]:

بعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بشر[2] بن سفيان، ويقال: النحام[3] العدوي، على صدقات بني كعب من خزاعة، فجاء وقد حل

---

(١) بنو تميم: بطن من طابخة وطابخة من العدنانية وهم بنو تميم بن مر بن أد بن طابخة، والتميم في اللغة: الشديد، قاله الجوهري: عن أبي عديم نقل فسمي به الرجل وكان لتميم من الولد زيد مناة، وعمرو بن الحارث قال في العبر: وكانت منازلهم بأرض نجد من هنالك على البصرة وإيمامه، وامتدت إلى الغري من أرض الكوفة، ثم تفرقوا بعد ذلك في الحواضر، ولم تبق منهم بادية، وورث مساكنهم غزية من طيء، وخفاجة من بني عقيل بن كعب، ومن بطونهم حنظلة، وبنو العنبر، وبنو تميم أيضاً من هذيل. القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، (تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبنانيين، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، باب التاء مع الميم، ص١٨٨.

(٢) بشر بن سفيان في الإصابة في القسم الأول بشير بن سفيان العتكي، لما توجه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى مكة عام الحديبية قدم عليه بشر، فسأله عليه الصلاة والسلام عن أهل مكة، وهل علموا بقدومه فأخبره أنهم قد علموا بقدومه، وأنهم اجتمعوا عند الكعبة وتحالفوا على صده عن البيت. ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص١٥٦.

(٣) النحام العدوي: هو نعيم بن عبدالله بن أسيد بن عوف القرشي العدوي، المعروف بالنحام، تقدم إسلامه، لكنه لم يهاجر إلا بعد فتح مكة؛ لأنه كان ينفق على أرامل بني عدي وأيتامهم، استشهد بأجنادين في خلافة عمر سنة خمس عشرة، وقيل: أنه قتل يوم مؤتة في حياة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ابن عبدالبر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص٧١٩؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٤، ص٢٤٦؛ ابن حجر: =

بنواحيهم بنو عمرو بن جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم، فجمعت خزاعة مواشيها للصدقة، فاستنكر ذلك بنو تميم وأبوا، وابتدروا القسي، وشهروا السيوف، فقدم المصدق على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأخبره فقال: من لهؤلاء القوم؟ فانتدب لهم عيينة بن بدر الفزاري(١)، فبعثه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في خمسين فارساً من العرب ليس فيهم مهاجري ولا أنصاري، فأغار عليهم فأخذ منهم أحد عشر رجلاً، وإحدى عشرة امرأة، وثلاثين صبياً فجلبهم إلى المدينة، فقدم فيهم عدة من رؤساء بني تميم، عطارد بن حاجب(٢)، والزبرقان بن بدر(١)،

= الإصابة في تمييز الصحابة، ج٦، ص٢٤٩.

(١) عيينة بن حصن الفزاري: عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو بن جويه بن لوذان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان الفزاري يكنى: أبا مالك، أسلم بعد الفتح، وقيل: أسلم قبل الفتح، وشهد الفتح مسلماً، وشهد حنيناً أو الطائف أيضاً، وكان من المؤلفة قلوبهم، ومن الأعراب الجفاة، وكان عيينة في الجاهلية من الجرارين، يقود عشرة الآلف. ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٤، ص٣١٨.

(٢) عطارد بن حاجب ب نزرارة بن عدس بن زيد التميمي، أبو عكرمة، وفد على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واستعمله على صدقات تميم وارتد عطارد مع من ارتد من بني تميم، وتبع سجاح، ثم عاد إلى الإسلام،وهو الذي قال:

أضحت نبيتنا أنثى نطيف بها ... وأضحت أنبياء الناس ذكرانا

فلعنة الله رب الناس كلهم ... على سجاح ومن بالكفر أغوانا

وذكر قصة وفادته مع بني تميم. الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص٢٤٥.

وقيس بن عاصم[2]، وقيس بن الحارث[3]، ونعيم بن سعد[4]، والأقرع بن حابس، ورياح بن الحارث[5]، وعمرو بن الأهتم[6].

ويقال: كانوا تسعين أو ثمانين رجلاً، فدخلوا المسجد وقد أذن بلال بالظهر، والناس ينتظرون خروج رسول الله ﷺ فعجلوه واستبطؤوه فنادوه: يا محمد اخرج إلينا، فخرج رسول الله ﷺ، وأقام بلال، فصلى رسول الله ﷺ الظهر ثم

---

(1) الزبرقان بن بدر بن امرئ القيس بن خلف بن بهدلة التميمي، السعدي، يقال كان اسمه الحصين ولقب الزبرقان لحسن وجهه، وهو من أسماء القمر، ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص٢٠٦؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣، ص٣.

(2) قيس بن عاصم بن سنان بن منقر بن خالد، التميمي، يكنى بأبي علي وقيل: غير ذلك، كان ممن حرم الخمر في الجاهلية، ومن سادات تميم. ابن عبدالبر: الإستيعاب في معرفة الأصحاب، ص٦١٧؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص٥٠٢؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٥، ص٢٥٨.

(3) قيس بن الحارث بن يزيد بن شبل ابن عم المقنع التميمي، ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص٤٩٢؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٥، ص٣٦٢.

(4) قال ابن حجر: نعيم بن سعيد التميمي. ذكره ابن سعد فيمن قدم في وفد تميم على النبي ﷺ. ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٦، ص٣٨١.

(5) رياح بن الحارث التميمي المجاشعي. ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص٢١٥.

(6) عمرو بن الأهتم بن سمى بن خالد التميمي المقري، أبو نعيم، ويقال: أبو ربعي، واسم أبيه الأهتم: سنان. ابن عبدالبر: الإستيعاب في معرفة الأصحاب، ص٥٦٢؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص٣٥٣؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص٢٨٥.

أتوه، فقال الأقرع: يا محمد ائذن لي فوالله إن مدحي لزين، وإن ذمي لشين، فقال له رسول الله ﷺ: كذبت، ذلك الله تبارك وتعالى، ثم خرج رسول الله ﷺ، فجلس وخطب خطيبهم وهو عطارد بن حاجب، فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس بن شماس: أجبه، فأجابه، ثم قالوا: يا محمد ائذن لشاعرنا، فأذن له، فقام الزبرقان بن بدر فأنشد، فقال رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت(1): أجبه، فأجابه بمثل شعره، فقالوا: والله لخطيبه أبلغ من خطيبنا، ولشاعره أشعر من شاعرنا، ولهو أحلم منا، وقال رسول الله ﷺ في قيس بن عاصم: هذا سيد أهل الوبر، ورد عليهم رسول الله ﷺ الأسرى والسبي، وأمر لهم بالجوائز، كما كان يجيز الوفد »(2).

---

(1) حسان بن ثابت: بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد بن عدي بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج شاعر رسول الله ﷺ المُنافخ عنه، والمناضل المؤيد بروح القدس، يُكنى: أبا عبدالرحمن، وقيل: أبا الوليد، وكان يكنى أيضاً بأبي الحسام لمناضلته عن رسول الله ﷺ بلسانه الغازي به أعراض المشركين، عاش مائة وعشرين سنة، شجاع اللسان، لم يكن ممن يشهد الوغى، ولا يهتز إلى اللقاء ليتحصن بالآطام ويناضل بالكلام، روى عنه أبو هريرة، وعائشة، وابنه.

أبو نعيم: أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن موسى الأصبهاني، معرفة الصحابة، (تحقيق: عادل يوسف الفزاري، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م).

(2) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٩٤.

إن وفد بني تميم حين حضر إلى المدينة النبوية للقاء الرسول الكريم، تعالت أصواتهم وهم ينادون رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من وراء حجراته: أن اخرج إلينا يا محمد؟ فآذى ذلك الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومع هذا خرج إليهم، فقالوا: يا محمد جئناك نفاخرك، فأذن لشاعرنا وخطيبنا، قال: قد أذنت لشاعركم ولخطيبكم، فليقل.

فَرّدد خطيب وفد تميم عطارد بن حاجب المفاهيم الجاهلية من الفخر والمدح وكذا شاعرهم، ثم أجاب عليه خطيب المسلمين ثابت بن قيس بالمفاهيم الإسلامية الراسخة وبعد أن انتهى خطيب المسلمين من قوله، قام شاعر المسلمين حسان بن ثابت من بعده فرد على شاعرهم، فاعترف وفد تميم بحسن أخلاق المسلمين وحلمهم وعلى رأسهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي تجاوز عن ما فعلوه من عدم الاستئذان، ورفع أصواتهم فوق صوت النبي، بل استقبلهم-صلوات الله وسلامه-عليه واستجاب لمطالبهم في حلم وروية، وأطلق لهم أسراهم حتى أسفر ذلك التعامل الرائع مع الوفد عن إسلامهم، فحسن الأخلاق، وطيب المعاملة تفوقت على الفخر والتعالي، وهي جديرة بأن يعيد التمسك بها للمسلمين سالف عزتهم في نشر الدين الإسلامي.



الفصل الثاني

الكرم والعطاء والوفاء

وفيه مبحثـــان:

- المبحث الأول: عطاياه يوم حـــنين.
- المبحث الثاني: أثر كرمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووفائه.

المبحث الأول

عطايـــاه يـــوم حنيـــن

وفيــــه:

تمهيد: عطاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم حنين للمؤلفة قلوبهم.

١) عطاؤه لأبي سفيان صخر بن حرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٢) عطاؤه لحكيم بن حزام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٣) عطاؤه لسهيل بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٤) عطاؤه لصفوان بن أمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٥) معاملته للنضير بن الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٦) معاملته لعيينة بن حصن الفزاوي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٧) تعامله مع الأقرع بن حابس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٨) تعامله مع العباس بن مرداس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٩) إكرامه للشيماء بنت الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وقومها.

١٠) تعامله مع مالك بن عوف النصري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

تمهيـــــد

عطاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم حنين للمؤلفة قلوبهم

كان العطاء والكرم المحمدي من مجالات الترغيب التي تؤلف القلوب، وتنزع ما فيها من غل وحسد ليحل محلها الحب والإخاء، ولقد كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعطي حينما يجد للعطاء نفعاً للإسلام ويمنع حينما يرى للمنع حكمة، فالنفوس مجبولة على حب من أحسن إليها، والعطاء يورث المحبة وكثرته تفعل الأعاجيب خاصة إذا لم يتبعه منّ ولا أذى.

فقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرغب الناس في دين الله ويحببه إليهم بالعطاء والإحسان الذي ترتاح له النفوس وتقبل نحو صاحبه بالحب والقرب.

ولعطاء المال أثر عظيم، حيث أن النفوس تحب من يجزل لها العطاء، وتتشوق إلى من يحسن إليها، فقد أعطى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غنائم حنين أشراف قريش وزاد لهم في العطاء لتأليف قلوبهم وترغيبهم في الإسلام، كما أعطى آخرين قريبي عهد بالإسلام ليزيد حُبهم للإسلام فهم مجبولون بطبعهم على حب الأموال والغنائم والمنفعة الدنيوية خاصة وأن الإيمان لم يتمكن من قلوبهم بعد.

إن سخاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإعطائه الأموال الكثيرة لأشراف قريش من المرغبات التي ترغب الضعفاء فضلاً عن الأقوياء في

الإسلام وتعاليمه، كما ترغب غير المسلمين في إمعان النظر والفكر في الإسلام وفضله؛ لأنه يجمع بين سعادة الدنيا ونعيم الآخرة[1].

فما ظنك بعطاء قوّى الإسلام وأهله وأذل الكفر وحزبه واستجلب به رؤوس القبائل والعشائر الذين إذا غضبوا غضب لغضبهم أتباعهم، وإذا رضوا رضي الاتباع لرضاهم؛ فإذا أسلم هؤلاء الزعماء لم يتخلف عنهم أحد من قومهم فلله ما أعظم موقع هذا العطاء وما أجداه وأنفعه للإسلام وأهله[2].

فهذا العطاء والكرم يهيج العواطف محبة ووداداً، ويثير النفوس تقرباً وفداء.

إنها الحكمة التي تملي على الداعية اختيار الأسلوب الذي يلامس المشاعر، ويحرك الأحاسيس، ويطيب النفوس، ويزيل الأحقاد وغلها، وفي هذا العطاء تنبيهاً إلى عظم الكرم والجود الذي اتصف به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان له أثر فعال في ميل النفوس نحوه محبة وتقديراً، وتقرباً إلى الإسلام تقرباً مرضياً.



---

(١) انظر: أسلوب الترغيب في دعوة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (رسالة ماجستير، سليمان بن عبدالعزيز الدويش، قسم الدعوة والاحتساب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية)، ص٢٤٠.

(٢) ابن القيم: زاد المعاد في هدي خير العباد، ج٢، ص١٩٢-١٩٣.

١- عطاؤه لأبي سفيان صخر بن حرب[١]

كان تاجراً يجهز التجار بماله وأموال قريش إلى الشام وغيرها من أرض العجم. ويقال: كان أفضل قريش في الجاهلية رأياً ثلاثة: عتبة، وأبو جهل، وأبو سفيان. فلمّا أتى الله بالإسلام أدبروا في الرأي، ثم قتل عتبة وأبو جهل في بدر، وبقي أبو سفيان رئيساً وزعيماً ومحارباً لله ورسوله والمؤمنين، لكن جاء الله به يوم أن باغت رسول الله قريشاً في فتح مكة، فقد أتى به العباس بن عبدالمطلب ليلة الفتح إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسأله أن يؤمنه فلما رآه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له: «ويحك يا أبا سفيان أما آن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله؟ » فقال: بأبي أنت وأمي ما أوصلك وأحلمك وأكرمك » والله لقد ظننت أنه لو كان مع الله إلهاً غيره لقد أغنى عني شيئاً بعد، فقال: « ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله » قال: بأبي أنت وأمي، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! أمَّا هذه والله فإن في النفس منها حتى الآن شيئاً. فقال له العباس: ويحك أسلم وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن تضرب عنقك. قال. فشهد شهادة الحق، فأسلم، قال العباس: قلت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل يحب هذا

---

(١) أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية الأموي رأس قريش في وقته، وكان من دهاة العرب، ومن أهل الرأي والشرف فيهم. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٣، ص١٠٦.

الفخر، فاجعل له شيئاً، قال: « نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن »[1].

وقد منَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على قريش بعد الفتح فقال: « اذهبوا فأنتم الطلقاء » وذهب مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى حنين من هؤلاء الطلقاء ألف رجل[2]، وكثير منهم قد دخل الإسلام، وقد تألف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قلوب الأفراد للدخول في الإسلام وتمكينه في قلوبهم تمكيناً ثابتاً ملازماً لقلوبهم ومن هؤلاء أبو سفيان بن حرب، وكان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتألف قلوب قومٍ ضعيف إيمانهم، أو لحداثة عهدهم، فيغدق عليهم العطايا مما كان له أثر مباشر في زيادة إيمانهم وتمسكهم بالإسلام، ويظهر هذا الأثر جلياً في تخصيص هؤلاء القوم بالعطايا أو الزيادة فيه على غيرهم كما كان ذلك بعد حنين مع أبي سفيان وغيره وقد كان أسلم من قبل، لكن هذا العطاء كان السبب المباشر في ثباته وزيادة إيمانه.

وشهد أبو سفيان حنيناً مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان ممن أغدق عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأعطاه مئة بعير وأربعين أوقية من الفضة، وأعطى ابنيه معاوية ويزيد لكل واحد منهما مئة بعير وأربعين

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٤، ص٣٤١.

(٢) المصدر نفسه، ج٤، ص٣٤٩.

أوقية[1].

والملاحظ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استخدم مع أبي سفيان التأليف المعنوي بأشهار ذكره حينما قال: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، وباستمالة قلبه في العفو عنه يوم فتح مكة، ثم بالتأليف المادي بإكرامه وأولاده بالعطاء الجزيل يوم حنين.

ولقد أشار القرآن الكريم بما لهذا الأسلوب من أثر عظيم في الدعوة إلى الله تعالى وكيف أنه بوجوده يكون الأثر العظيم، وبانتفاء هذا الأسلوب -التأليف المعنوي خاصة- يكون الأثر سلبياً على واقع الدعوة.

قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾[3].

لقد جمع الله القلوب على يديه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشمل الناس كلهم بعطفه وبره ورحمته، كان يعفو ويصفح ويتجاوز عن المسيء، ويعتذر

---

(١) الواقدي: محمد بن عمرو بن واقد، المغازي، (تحقيق: مارسدن جونس، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م)، ص٦٢٨.

(٢) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٦٣.

للمخطئ، وبهذه وتلك ألفته القلوب، وجمع الله به الشمل، ولو لم يكن ذلك لم يستقم له الأمر، ولا انفض الناس من حوله[1].

ولقد جاءت السنة النبوية مؤكدة لهذا النوع من التأليف، فقد كان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوصي أصحابه ويحثهم على التعامل مع الناس بالخلق الحسن، الذي هو أساس تأليف القلوب معنوياً، فمرة يبين منزلة صاحب الخلق الحسن، ومرة يوصي بذلك، ومما جاء في هذا الصدد وصيته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ روى الترمذي عن أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال لي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اتق الله حيثما كنت، واتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن »[2].

وبالفعل عفى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أبي سفيان وأعطاه الأمان، فكان أثره المباشر إسلامه ولكن رغبة في ثباته على الإيمان وزيادته في قلبه استعمل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معه الأسلوب المادي لتأليف قلبه فأكرمه رسول الله بالعطاء يوم حنين حتى كان ذلك سبباً في زيادة إيمانه وثباته على الحق وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ

---

(١) سليمان العودة: قضايا ومباحث في السيرة النبوية،(ط١، دار الإسلام، الرياض، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م)، ص١٠٧.

(٢) الترمذي، سنن الترمذي، كتاب: البر والصلة، باب ما جاء في معاشرة الناس، ج٤، ص٣٥٥، ح(١٩٨٧).

عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾[(١)].

وهذه الآية عامة في جواز تأليف القلوب على الإسلام وغيره من المقاصد الدعوية المؤكدة ولم تفرق الآية بين أن يكون المؤلّف مسلماً يراد تقويته على الإسلام، أوكافراً يراد هدايته أو كفاية شره[(٢)].

فقد أعطى الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تأليفاً للقلوب، ولم يفرق في عطائه بين مؤمن وكافر، ولا بين أن يكون المال الذي يتألف به القلوب من أموال الزكاة أم لا، وإنما كان منهج رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واضحاً وهو التعميم. فعن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رجلاً سأل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غنماً بين جبلين فأعطاه إياه، فأتى قومه فقال: أي قوم أسلموا فوالله إن محمداً ليعطى عطاء ما يخاف الفقر. فقال أنس: إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها[(٣)].

إن دخول المدعو في الإسلام يمثل المرحلة الأولى من مراحل دعوته، ويأتي بعد ذلك مراحل ليتقدم في إسلامه ويزداد في إيمانه

---

(١) سورة التوبة، آية: ٦٠.

(٢) السعدي: عبدالرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ص٣٠١.

(٣) النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئاً قط فقال: لا وكثرة عطائه، ج١٥، ص٧٢، ح (٥٩٧٥).

بالتعليم والتربية والعبادة، لقد أوضح شيخ الإسلام ابن تيمية حال الأعراب في سورة الحجرات فقال: « وهذا حال أكثر الداخلين في الإسلام ابتداء، بل حال أكثر من لم يعرف حقائق الإيمان، فإنه مسلم ملتزم طاعة الرسول، ولم تدخل إلى قلبه المعرفة بحقائق الإيمان، فإن هذا إنما يحصل لمن تيسرت له أسباب ذلك، إما بفهم القرآن وإما بمباشرة أهل الإيمان والاقتداء بما يصدر عنهم من الأقوال والأفعال، وإما بهداية خاصة من الله يهديه بها، والإنسان قد يظهر له من محاسن الإسلام ما يدعوه إلى الدخول فيه، وإن كان قد ولد عليه وتربى بين أهله فإنه يحبه، فقد ظهر له بعض محاسنه وبعض مساوئ الكفار...... والشواهد دالة على أن من أهم أسباب الدخول في الإسلام تأليف القلوب بالمال وغيره »[1].

وهذا هو أبو سفيان بن حرب قد جاء إلى رسول الله عند تقسيم غنائم حنين وكان بين يديه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الفضة فقال: يا رسول الله، أصبحتَ أكثرَ قريش مالاً. فتبسم رسول الله. وقال: أعطني من هذا المال يا رسول الله؟ قال: يا بلال زن لأبي سفيان أربعين أوقية وأعطوه مئة من الإبل، قال أبو سفيان: ابني يزيد أعطه. قال رسول الله: زنوا يزيداً أربعين أوقية وأعطوه مئة من الإبل، قال أبو سفيان: ابني معاوية يا رسول الله: قال: زن له يا بلال أربعين أوقية وأعطوه مئة من الإبل،

---

(١) ابن تيمية: أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام، الإيمان، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط٥، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص٥٠.

قال أبو سفيان: إنك لكريم فداك أبي وأمي ولقد حاربتك فنعم المحارب كنت، ثم سالمتك فنعم المُسالم أنت، جزاك الله خيراً[(١)].

فالعطاء على الإسلام هو المنهج النبوي حيث كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يرد سائلاً بل يغدق ويكرم ويزيد في العطاء حتى تظهر الثمرة ويبرز الأثر وهو انشراح الصدر للإسلام وتمكنه في قلب صاحبه فيكون حينئذ حب الله ورسوله أعظم من الدنيا وما فيها.



(١) الواقدي: المغازي، ص٦٢٨.

٢- عطاؤه لحكيم بن حزام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[(١)]

وكان من سادات قريش، وكان صديقاً لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل البعثة، واستمرت المودة والمحبة بعد البعثة، لكن تأخر إسلامه حتى عام الفتح[(٢)]. وكان قد شهد بدراً مع الكفار ونجا منهزماً[(٣)].

وبالنظر في شخصية حكيم بن حزام قبل إسلامه نجده في مكانة مرموقة بين سادات قريش، كما نجده على فطرته السليمة لم يتأثر بما حوله من فساد.

قال الزبير: جاء الإسلام وفي يد حكيم الرفدة، وكان يفعل المعروف ويصل الرحم وفي الصحيح أنه سأل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أرأيت أشياء كنت أفعلها في الجاهلية، ألي فيها أجر؟ فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أسلمت على ما سلف لك من خير »[(٤)].

---

(١) هو حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي الأسدي، ابن أخي خديجة أم المؤمنين زوج رسول الله. ابن عبدالبر، الاستيعاب معرفة الأصحاب، ص٢٠١؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة ج٢، ص٤٤؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص٩٧.

(٢) ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص٩٧.

(٣) ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص٤٤.

(٤) مسلم: صحيح مسلم،كتاب الإيمان،باب بيان حكم عمل الكافر إذا أسلم بعده ، ج١، ص٩٧ح(٣٤٠).

وكان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من المؤلفة قلوبهم، أعطاه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم حنين مائة بعير.

قال ابن إسحاق: أعطى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم حنين المؤلفة قلوبهم، وكانوا أشرافاً من أشراف الناس يتألفهم ويتألف بهم قومهم، وأعطى من بينهم «حكيم بن حزام مئة بعير»[1].

ولحكيم بن حزام قصة مع رسول الله تدل على تأثره بوعظ رسول الله له صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد «سأل حكيم بن حزام رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يعطيه من الغنائم فأعطاه، ثم سأله فأعطاه، ثم قال له يا حكيم، إن هذا المال خَضِرَة حُلوة، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى » قال حكيم: فقلت يا رسول الله، والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا، فكان أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يدعو حكيماً إلى العطاء، فيأبى أن يقبله منه، ثم إن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ دعاه ليعطيه، فأبى أن يقبل منه شيئاً، فقال عمر: إني أشهدكم يا معشر المسلمين على حكيم أني أعرض عليه حقه من هذا الفيء فيأبى أن يأخذه، فلم يرزأ حكيم أحداً من الناس بعد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -كما وعده- حتى توفي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[2].

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٤، ص٤١٨.

(٢) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب الزكاة، باب الإستعفاف عن المسألة، ج١، =

وأسلم حكيم بن حزام إسلاماً ملك عليه قلبه، وآمن إيماناً خالط دمه ومازج قلبه، وآلى على نفسه أن يكفر عن كل موقف وقفه في الجاهلية، أو نفقة أنفقها في عداوة الرسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بأمثال أمثالها وقد بر بقسمه رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ من ذلك أنه آلت إليه دار الندوة وهي دار عريقة ذات تاريخ، ففيها كانت قريش تعقد مؤتمراتها في الجاهلية، وفيها اجتمع سادتهم وكبراؤهم ليتآمروا برسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

فأراد حكيم بن حزام أن يتخلص منها -وكأنه كان يريد أن يسدل ستاراً من النسيان على ذلك الماضي البغيض- فباعها بمئة ألف درهم، فقال له ابن الزبير: بعت مكرمة قريش، فقال حكيم: « ذهبت المكارم إلا التقوى »[1].

وحج حكيم بعد إسلامه، ومعه مئة بدنة قد جَلّلها بالحبرة أهداها، ووقف بمئة وصيف مملوك بعرفة في أعناقهم أطواق الفضة منقوش فيها: عتقاء الله عن حكيم بن حزام، وأهدى ألف شاة، وكان جواداً فاضلاً تقياً سيداً بماله غنياً رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ وأرضاه[2].

= ص٥٨٠، ح(١٤٧٢)؛ مسلم: صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب أن اليد العليا خير من اليد السفلى وأن اليد العليا هي المنفعة وأن السفلى هي الآخذة، ج٣، ص٩٤، ح(٢٤٣٤).

(١) ابن عبدالبر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ص٢٠١.

(٢) ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص٤٤.

فهذه هي النتيجة التي كان يتوخاها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قسم الغنائم على أولئك تأليفاً لقلوبهم، نظراً لقرب عهدهم بالإسلام، وعدم تمكن معاني الإسلام من قلوبهم، ويعبر هذا الموقف عن دقة نظر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعمق معرفته بدخائل النفوس البشرية وما يقوم اعوجاجها، حيث أعطى الأعطيات السخية وبذل المنح الكثيرة لأعراب يعادونه، وطلقاء لم يتمكن الإيمان بعد من قلوبهم لعلهم يؤمنون[1].

وقد كان لوعظ رسول الله لحكيم بن حزام بعد أن أعطاه وأكرمه بالغ الأثر في نفس حكيم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.



---

(١) محمد أمحزون: منهج النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدعوة من خلال السيرة الصحيحة، (ط١، دار السلام، القاهرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)، ص٢١٩.

٣- عطاؤه لسهيل بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(١)]

وقد وقف سهيل بن عمرو أثناء كتابة الصلح مواقف صارمة متشددة استفزازية قابلها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحلمه فلم تؤثر عليه في اتخاذ قراره الصائب في إمضاء الصلح رغم ذلك كله.

ودافعه إلى ذلك رغبته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الملحة في المحافظة على حرمة مكة، وتجنب القتال فيها، ولما أرآه الله ما يترتب على هذا الصلح من مصلحة للإسلام والمسلمين، ولذلك قال-عليه الصلاة والسلام-: « لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها »[(٢)].

وقد أسر سهيل يوم بدر كافراً، وعندما أُسر سهيل بن عمرو، قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا رسول الله: انزع ثنيته يدلع لسانه فلا

---

(١) هو سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب القرشي العامري: يكنى: أبا يزيد، وكان أحد الأشراف من قريش، وسادتهم في الجاهلية، وخطيب قريش، وفصيحهم، وكان رئيس وفد قريش في مفاوضات الحديبية. ابن عبدالبر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص٣٤٤؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص٣٩٦؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص١٢٤؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣، ص١٣٩.

(٢) البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، ج٢، ص٤٩٠، ح(٢٧٣١- ٢٧٣٢).

يقوم عليك خطيباً أبداً، فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا أمثل به فيمثل الله بي وإن كنت نبياً ولعله يقوم مقاماً لا تكرهه»[1]، وظل سهيل بن عمرو على موقفه تجاه الإسلام إلى أن امتن الله على رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالنصر من غير قتال ودخل مكة فاتحاً منتصراً.

ولم يكن سهيل بن عمرو من المطلوبين للعدالة ولا من الذين أهدر الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دماءهم من أهل مكة ولكنه كان يشعر بأن إساءاته للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طوال عشرين سنة كانت بالغة فكان لذلك يخشى أن يكون عرضة للانتقام من المسلمين الذين أصبحوا سادة مكة.

ونترك سهيل بن عمرو يحدثنا عن قصته، قال: فلما دخل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكة وظهر، انقحمت ببيتي وأغلقت علي بابي، وأرسلت إلى ابني عبدالله بن سهيل أن اطلب لي جواراً من محمد، وإني لا آمن أن أقتل، وجعلت أتذكر أثري عند محمد وأصحابه، فليس أحد أسوأ أثراً مني، وإني لقيت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما لم يلقه أحد.

---

(١) المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي، إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، (تحقيق: محمد عبدالحميد النميسي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م)، ج١، ص١١٣.

ذهب عبدالله بن سهيل إلى الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله، تؤمنه؟ فقال: نعم، هو آمن بأمان الله فليظهر[1] فخرج عبدالله إلى أبيه فأخبره بمقالة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال سُهيل: كان والله براً صغيراً وكبيراً، فكان سهيل يقبل ويدبر لا يعرض له أحد، وخرج إلى حنين مع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو على شركه ثم أسلم طائعاً مختاراً بالجعرانة[2][3].

وأعطاه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يومئذ من غنائم حنين مئة من الإبل[4].

فعلاً إنه الامتلاك الحقيقي لقلب سهيل بن عمرو بهذه المعاملة الحسنة من رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهذا هو فن الدعوة إلى الله، وهذا

---

(١) الحاكم: المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص٣٨١، ح(٥١٨٥)؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ج٥، ص٢٥٠؛ الواقدي: المغازي، ص٥٦٩؛ المقريزي: أمتاع الأسماع، ج١، ص٣٩٧.

(٢) الجِعرانة: ترددت في السيرة، جمع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الغنائم والسبي من يوم حنين بالجعرانة، ومنها اعتمر، ولا زالت تعرف في رأس وادي سرف في الشمال الشرقي من مكة، يعتمد فيها المكيون، وبها مسجد، وقد عطلت بئرها اليوم، وكانت عذبة الماء يُضرب المثل بعذوبته. عاتق البلادي: المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية، ص٧٢.

(٣) الواقدي، المغازي، ص٥٦٩؛ المقريزي: إمتاع الأسماع، ج١، ص٣٩٧.

(٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦، ص٩؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣، ص١٧٩.

هو التصرف الرحيم من النبي الكريم، القدوة لنا أجمعين ولا يخفى على أحد أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ امتلك قلوب بني عامر جميعاً بتساهله وتسامحه وإكرامه لسهيل بن عمرو زعيم بني عامر.

وكان سهيل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كثير الصلاة والصوم والصدقة ويقال: إنه صام وتهجد حتى شحب لونه وتغير، وكان كثير البكاء إذا سمع القرآن[1].

وقد استشهد يوم اليرموك وقيل: بل مات في طاعون عمواس[2] رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وأرضاه[3].

---

(١) ابن عبدالبر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص٣٤٤، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص١٢٤.

(٢) طاعون عمواس: بسكون الميم وهو أول طاعون كان في الإسلام بالشام، وكان هذا الطاعون في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، سنة ثماني عشرة، ومات فيه جماعة من الصحابة، وعمواس من أسماء البقاع، وهي قرية بالشام عُرف الطاعون بها، لأنه منها بدأ، وقيل: إنما سمي طاعون عمواس، لأنه عمَّ وآسى: أي جعل بعض الناس أسوة بعض. الزبيدي: محمد بن محمد بن عبدالرزاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، (دار الهداية، د ط، د ت)، باب (ع م و س)، ج١٦، ص٢٨٧.

(٣) ابن عبدالبر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ص٣٤٤، ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣، ص١٣٩، ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص٣٩٦.

وصدق سهيل بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حين قال: والله لا أدع موقفاً وقفته مع المشركين إلا وقفت مع المسلمين مثله، ولا نفقة أنفقتها مع المشركين إلا أنفقت على المسلمين مثلها، لعل أمري أن يتلو بعضه بعضها[1].



---

(١) ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣، ص١٧٩.

٤- عطاؤه لصفوان بن أمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(١)]

كان أبوه من أشد المعاندين للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن الذين قتلوا في بدر، وورث صفوان بن أمية الكراهية للإسلام والمسلمين من أبيه، وحارب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكل طاقته، وكان ممن التف حول ظهر المسلمين في أحد هو وخالد بن الوليد[(٢)] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واشترك في قتل سبعين من شهداء الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقاتلَ في غزوة الأحزاب،

---

(١) هو صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي، يكنى أبا وهب، وقيل: أبو أمية. ابن عبدالبر: الإستيعاب في معرفة الأصحاب، ص٣٦٥؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص٤٥٢؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٤، ص١٤٨؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣، ص٣٥٨.

(٢) خالد بن الوليد: المخزومي أبو سليمان وقيل: هُو خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عُمر بن مخزوم بن يقظة بن مُرة بن كعب بن لؤي بن غالب، أمُّهُ: لبابة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن الهزم بن رؤيبة بن عبدالله بن هلال بن عامر بن صعصعة، أخت ميمونة زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أسلم قبل الفتح بعد الحديبية وشهد مؤتة والفتح، وحنيناً وجعله الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الفتح على مُقدمته وكان إسلامه مع إسلام عمرو بن العاص، وعثمان بن طلحة، ثلاثتهم أسلموا وهاجروا، فاستبشر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهم، فقال: (ألقت إليكم مكة أفلاذ كبدها) فسماه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: سيف الله المسلول على الكفار، وكان العذاب المصبوب على المنافقين والفجار، فتح الله به الفتوح، وفضَّ به الجموع، توفي بحمص سنة إحدى وعشرين. أبو نعيم: معرفة الصحابة، ج٢، ص٩٢٥-٩٢٦.

بل كان من الذين رفضوا الأمان وشاركوا في عملية القتال داخل مكة المكرمة يوم الفتح، وكان قد سبق أن دبَّر محاولة لقتل الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد قتل أبيه في بدر، وكانت هذه المحاولة بينه وبين عمير بن وهب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وكان عمير وقتها لا يزال كافراً، وفيها تعهد صفوان بن أمية لعمير بن وهب أن يتحمل عنه نفقات عياله، وأن يسدِّد عنه دينه في نظير أن يقتل عميرُ رسولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأسلم عمير بن وهب في المدينة المنورة بعد أن اخبره الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما دار بينه وبين صفوان في حجر الكعبة[1].

ومرت الأيام وجاء فتح مكة ودخلها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ظافراً منتصراً لكنه لم يفعل كما يفعل الملوك في مثل تلك المواقف من إفساد الحرث والنسل وإنما دخلها وهو ملئ حِلْماً وعفواً وصفحاً وهو يقول: « هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة » ولما تمكن من الفتح العظيم، وقبض على ناصية الجبابرة الطغاة، وهم لا يدرون ما سيفعل بهم، غير أنهم كانوا يطمعون في حلمه وكرمه كما عهدوا منه، ولهذا كان جوابهم لما قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم.

لكن صفوان بن أمية خرج من مكة هارباً يريد جُدّة ليركب منها إلى اليمن، فقال عمير بن وهب: يا نبي الله، إن صفوان بن أمية

---

(١) الصالحي: سبل الهدى والرشاد في سيرة خيرة العباد، ج٥، ص٢٤٠.

سيد قومه، وقد خرج هارباً منك، ليقذف نفسه في البحر، فأمنه يا رسول الله قال: « هو آمن » قال: يا رسول الله، فأعطني آية يُعرف بها أمانك، فأعطاه رسول الله ﷺ عمامته التي دخل فيها مكة، فخرج بها عمير حتى أدركه وهو يريد أن يركب في البحر، فقال: يا صفوان، فداك أبي وأمي، ألله الله في نفسك أن تهلكها، فهذا أمان من رسول الله ﷺ قد جئتك به، قال: ويحك! أغرب عني فلا تكلمني، قال: أي صفوان، فداك أبي وأمي، أفضل الناس، وأبر الناس، وأحلم الناس، وخير الناس، ابن عمك، عزه عزك، وشرفه شرفك، وملكه ملكك، قال: إني أخافه على نفسي قال: هو أحلم من ذاك وأكرم فرجع معه، حتى وقف به على رسول الله ﷺ فقال صفوان: إن هذا يزعم أنك قد أمنتني، قال: «صدق» قال: فاجعلني فيه بالخيار شهرين، قال: أنت بالخيار بل تسير أربعة أشهر»[1].

وحينما أراد النبي ﷺ الخروج إلى حنين وقد ذكر له أن عند صفوان بن أمية أدرعاً وسلاحاً، فأرسل إليه وهو يومئذ مشرك، فقال: « يا أبا أمية، أعرنا سلاحك هذا نلق به عدونا غداً فقال صفوان: أغصباً يا محمد؟ قال: بل عارية مضمونة حتى نؤديها إليك، قال: ليس بهذا بأس، فأعطاه مئة درع بما يكفيها من السلاح، وسأله

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٤، ص٣٥٣.

أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يكفيهم حملها، ففعل[1].

وقد خرج رجال من أهل مكة على غير دين ركباناً ومشاة ينظرون لمن تكون الدائرة فيصيبون من الغنائم، ولا يكرهون أن تكون الهزيمة لمحمد وأصحابه، فمر بصفوان رجل منهم، فقال: أبشر أبا وهب، هُزِمَ محمد وأصحابه، فقال له صفوان: إن رباً من قريش أحب إليّ من رب من هوازن[2] إن كنتُ مربوباً[3]، ومعنى مربوباً أي محكوماً.

وكان المسلمون قد غنموا بعد انتصارهم في موقعة حنين غنائم عظيمة، ورأى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يتألف الطلقاء والأعراب من هذه الغنائم لحداثه عهدهم بالإسلام، فأعطى لزعماء قريش، وغطفان[4]

---

(١) المصدر نفسه، ج٤، ص٣٧٣.

(٢) هوازن: بفتح الهاء والواو وبالزاي والنون، وهم بنو هوازن بن منصور ابن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان، وهم الذين أغار عليهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغزاهم، ومن هوازن عزبة بن جشم بن معاوية بن أبي بكر بن هوازن منهم: دريد بن الصمة، وقال في العبر: ومنازلهم مع قومهم بني جشم بالسَّروات بين تهامة ونجد، ومن هوازن أيضاً: عامر بن صعصعة وهم: بنو صعصعة بن معاوية بن هوازن. القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي، قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، (تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، ص١١٥.

(٣) انظر: الواقدي: المغازي، ص٥٩٨.

(٤) غطفان: الغطفاني بفتح الغين والطاء المهملة والفاء وبعد الألف نون، هذه النسبة إلى =

وتميم وغيرهم عطاء عظيماً، إذ كانت عطية الواحد منهم مائة من الإبل، ومن هؤلاء: صفوان بن أمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بل زاده عليهم.

وكان صفوان مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يتصفح الغنائم؛ وإذ مر بشعب فيه غنم وإبل ورعاؤُها مملوء، فأعجب صفوان وجعل ينظر إليه، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أعجبك يا أبا وهب هذا الشعب»؟ قال: نعم، قال: هو لك ومافيه، فقال صفوان: أشهد ما طابت بهذا نفس أحد قط إلا نبي، وأشهد أنك رسول الله[1].

وفي صحيح مسلم «أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعطى صفوان بن أمية مئة من النعم، ثم مئة ثم مئة»[2].

= قبيلة كبيرة من قيس عيلان وهو غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان ينسب إليه كثير من العلماء منهم ربعي بن حراش العبسي الغطفاني يروي عن عمرو حذيفة وغيرهما، وأيضاً غطفان جذام وغطفان بن قيس بن جُهينة بطن من جهينة بن زيد بن ليث، ويقال: الغطيفي بضم الغين وفتح الطاء وسكون الياء آخر الحروف وفي آخرها فاء، هذه النسبة إلى غطيف بن عبدالله بن ناجية بن مراد وهو بطن من مراد ينسب إليه خلق كثير منهم فروة بن مسيك الغطيفي المرادي له صُحبة وروى عنه كثير. ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، باب الغين والطاء المهملة، ج٢، ص٣٨٦.

(١) الواقدي: المغازي، ص٦٢٩.

(٢) النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئاً قط فقال لا وكثرة عطائه، ج١٥، ص٧٣، ح(٥٩٧٦).

وهذا الموقف الكريم منه-عليه الصلاة والسلام-كان سبباً في إسلام صفوان بن أمية وإنقاذه من النار، وقد كانت لصفوان مواقف مشهودة مأثورة بعد ذلك في فتوح الشام.

فقد تألف النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قلب صفوان بن أمية إلى الإسلام حتى أسلم، وذلك بإعطائه الأمان، ثم بتخييره في الأمر أربعة أشهر، ثم بإعطائه العطايا الكبيرة التي لا تصدر إلا من نبي، فأعطاه أولاً مائة من الإبل مع عدد من زعماء مكة، ثم أعطاه مائة أخرى ثم مائة ثالثة ثم أعطاه ما في أحد الشعاب من الغنم ورعائها حتى قال صفوان: ما طابت نفس أحد بها إلا نفس نبي، ثم أسلم مكانه.

وقد وصف صفوان بن أمية شعوره تجاه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: والله لقد أعطاني رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما أعطاني وإنه لأبغض الناس إليَّ فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليَّ[(١)].

إنه الكرم النبوي والجود المنقطع النظير الذي يراعي المصالح ويتألف القلوب على الإسلام وإنها الحكمة النبوية الرائعة.

وكرم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجوده ليس لأجل استمالة قلوبهم إلى باطل، وتزيينه في قلوبهم، وليس لأجل كسب ودهم وتعاطفهم مع شخصه بعيداً عن الوظيفة التي كلفه الله بها، وهي الرسالة السماوية

---

(١) النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله شيئاً قط فقال لا وكثرة عطائه، ج١٥، ص٧٣، ح(٥٩٧٦).

الخالدة، وإنما كان لهدف سام ومقصد غاية في النبل والنقاء، وهو تأليفهم على الحق وتقريبهم له حتى يثبتوا وتخالط بشاشته قلوبهم فصلى عليك ربي ياأكرم البشر وأنبلهم.



٥- معاملته للنضير بن الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١]

كان النضير بن الحارث هذا يكثر الشكر لله على ما منّ به عليه من الإسلام،ولم يمت على ما مات عليه أخوه وآباؤه[٢].

ويحكي النضير بن الحارث عداوته للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنه خرج مع قومه من قريش إلى حُنين، وهم على دينهم بعد، قال: ونحن نريد إن كانت دبرّه على محمد أن نغير عليه، فلم يمكننا الله من ذلك. فلما صار بالجعرانة فوالله إني لعلى ما أنا عليه إن شعرت إلا برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تلقاني، فقال: النضير؟ فقلت: لبيك، قال: هذا خير مما وددت يوم حنين مما حال الله بينك وبينه، قال: فأقبلت إليه سريعاً، فقال: قد آن لك أن تبصر ما أنت فيه توضع. قلت: قد أرى أنه لو كان مع الله غيره لقد أغنى عني شيئاً، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اللهم زده ثباتاً، قال النضير: فوالذي بعثه بالحق لكأن قلبي حجر ثباتاً في الدين وبصيرة بالحق، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الحمد لله الذي هداك[٣].

---

(١) هو النضير بن الحارث بن علقمة بن كندة بن عبد مناف بن عبدالدار بن قصي القرشي العبدري. ابن عبدالبر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص٧٢٩.

(٢) المصدر نفسه، ص٧٢٩.

(٣) البيهقي: دلائل النبوة، ج٥، ص٢٠٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٤، ص٣٦٤.

وقد أمر له رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم حنين بمئة بعير، فأتاه رجل من بني الديل يبشره بذلك، وقال له: أجزني منها، فقال النضير: ما أريد أخذها؛ لأني أحسب أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يعطني ذلك إلا تألفاً على الإسلام، وما أريد أن أرتشي على الإسلام، ثم قال: والله ما طلبتها ولا سألتها، وهي عطية من رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقبضها، وأعطى الديلي منها عشرة، ثم خرج إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فجلس معه في مجلسه، وسأله عن فرض الصلاة ومواقيتها، قال: فو الله لقد كان أحبّ إلي من نفسي، وقلت له: يا رسول الله، أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: « الجهاد والنفقة في سبيل الله »[(١)].

ثم انتقل النضير إلى المدينة فلم يزل بها حتى خرج إلى الشام غازياً، وحضر اليرموك، وقتل بها شهيداً رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وذلك في رجب سنة خمس عشرة[(٢)].



(١) الإمام أحمد: المسند، ج١، ص٤١٨.

(٢) ابن عبدالبر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٧٢٩.

٦- معاملته لعيينة بن حصن الفزاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

كان عيينة بن حصن الفزاري شخصية أعرابية عاصرت الحقبة المضيئة في تاريخ الإنسانية، وهي عصر النبي العظيم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي أخبار هذه الشخصية بعض الطرافة وكثير من الغرابة، فكيف تصدر عمن تشرف برؤية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟!

وقد أسلم قبل الفتح وشهد حنيناً والطائف[1]، وكان من المؤلفة قلوبهم.

ذكر ابن هشام، أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أذن بالرحيل -بأمر رسول الله- بعد حصاره للطائف، فلما استقل الناسُ، نادى سعيد بن عبيد[2] ألا إن الحيَّ مقيم! فقال عيينة: أجل والله، مَجَدَة كراماً، فقال له رجل من المسلمين: قاتلك الله يا عيينة! أتمدح المشركين بالامتناع عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد جئت تنصر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: إني والله ما جئت لأقاتل ثقيفاً معكم، ولكني أردت أن يفتح محمد الطائف، فأصيب من ثقيف جارية أتطئها لعلها تلد لي رجلاً،

---

(١) ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص٦٣٣.

(٢) سعيد بن عبيد بن أبي أسيد الثقفي، أحد زعماء ورجالات ثقيف. انظر: ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣، ص٩٥.

فإن ثقيفاً قوم مناكير! أي ذوو دهاء وفطنة[1].

وهذا الخبر إن صح يدل على حال عيينة في تلك الآونة، وينطبق عليه ما ينطبق على الأعراب الذين قال الله تبارك وتعالى في حقهم: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾[2].

يقول ابن إسحاق:"وأمَّا عيينة بن حصن فأخذ عجوزاً من عجائز هوازن، وقال حين أخذها: أرى عجوزاً إني لأحسب لها في الحيّ نسباً، وعسى أن يعظم فداؤها. فلمّا ردّ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السبايا بست فرائض، أبى أن يردّها، فقال له زهير أبو صُرَد: خذها عنك، فوالله ما فوها ببارد، ولا ثديها بناهد، ولا بطنها بوالد، ولا زَوْجُهَا بِوَاجِدٍ، ولا دَرُّها بماكد، فردها بست فرائض حين قال له زهير ما قال"[3].

ومع هذا قد تألف الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عيينة بن حصن يوم حنين فأعطاه مئة من الإبل[4].

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٤، ص٤١١.

(٢) سورة الحجرات، آية: ٤١.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٤، ص٤١٦.

(٤) المصدر نفسه، ج٤، ص٤١٦.

وقال سعد بن أبي وقاص[1] في ذلك: يا رسول الله أعطيت عيينه بن حصن، والأقرع بن حابس مئة، وتركت جعيل بن سراقة الضمري[2] فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « أما والذي نفسي بيده لجُعيل بن سراقة خير من طلاع الأرض كلها من مثل عيينة والأقرع ولكني تألفتهما ليسلما، ووكلت جُعيل بن سراقة إلى إسلامه» [3].

---

(١) سعد بن أبي وقاص: واسم أبي وقاص مالك بن وهيب بن عبدمناف بن زهرة بن كلابن بن مرة، ويكنى أبا إسحاق، وأمه حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، وكان أول رجل من العدل رَمَى بسهم في سبيل الله، فعن عمرو بن سلمة بن أبي بُريد، عن عمه، عن سعد بن أبي وقاص قال: (أنا أول من رمى في الإسلام بسهم، وخرجنا مع عبيدة بن الحارث في ستين راكباص)، ومات سعد بن أبي وقاص بالعقيق فحُمل إلى المدينة ودفن بها. ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٣، ص١٤٧.

(٢) جُعيل بن سراقة الضمري، وقيل: الغفاري أثنى عليه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووكله إلى إيمانه، وذلك أنه أعطى أبا سفيان من الإبل، وأعطى عيينة بن حصن مئة من الإبل، وأعطى سهيل ابن عمرو مئة من الإبل، فقالوا: يا رسول الله، أتعطي هؤلاء وتدع جعيلاً؟ فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «جعيل خير من طلاع الأرض من مثل هؤلاء ولكني أعطي هؤلاء وأتألفهم وأكل جعيلاً إلى ما جعل الله عنده من الإيمان». انظر: ابن عبدالبر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص١٤٩؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٤، ص٢٣١؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص٥٣٦؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص٦٧٤.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٤، ص٤٢١؛ الواقدي: المغازي، ص٦٣٠.

لقد كان التأليف للقلوب سمة بارزة من سمات المنهج النبوي في الدعوة إلى الله، فكان يتألف قلوب الرجال والأقوام بحسن الكلام والمعاملة وبالعطايا والأموال.

فلم يَقْصُر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عطاء غنائم حنين على الطلقاء من قريش، وإنما عم بالعطاء بعض رؤساء القبائل كعيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، وعباس بن مرداس، لخوفه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليهم من الردة، فقد أسلموا حديثاً، وراعى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عطائهم مقاصد أخرى، من إسلام قومهم وثباتهم على الحق.

عن رافع بن خديج[1] رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «أعطى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -أبا سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية، وعيينه بن حصن، والأقرع بن حابس، كل إنسان منهم مئة من الإبل، وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك فقال عباس بن مرداس:

أتجعل نهبي ونهب العبيد ... بـــين عيينـــة والأقـــرع

---

(١) رافع بن خديج: أبو عبدالله وهو رافع بن خديج بن رافع بن عدي بن زيد بن جُشم بن حارثة بن حارث بن الخزرج، كان يخضب بالصفرة ويُحفي شاربه، وكان عريف قومه، استصغر عن بدر وأُجيز يوم أحد وكان يُعدُّ في الرماة، أصيب بسهم يوم أحد في ثندوته فبقيت الحديدة في ثندوته تتحرك فتُرك فيها إلى أن توفي سنة ثلاث وسبعين بالمدينة، وكان له ست وثمانون. أبو نعيم: أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن موسى الأصبهاني، معرفة الصحابة، (تحقيق: عادل يوسف الفرازي، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م)، ج٢، ص١٠٤٤.

فــما كــان بــدر ولا حــابس يفوقان مرداس في المجمع

وما كنت دون امرئ منهما ومن تخفض اليوم لا يرفع

قال: فأتم له رسول الله مئة»[(١)].

إن عيينة والأقرع وعباساً لم يتمكن الإسلام في قلوبهم جيداً، بدليل تسمية العباس بن مرداس العطاء لهم من الغنيمة نهباً[(٢)]، ولم يسم ذلك بالاسم الشرعي، وهو « القسْم » لأن النهب هو: أخذ الشيء قهراً.

ولما رد المسلمون جميعاً ما عندهم من السبي اقتداءً برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونزولاً عند رغبته في تأليف قلوب قبيلة هوازن، أبى عيينة، والأقرع أن يردا السبي، إلا بمقابل[(٣)].

ولم يكن استئلاف رؤساء القبائل وكبار القوم مقتصراً فقط على أموال الخمس من حنين، بل كان إذا أتاه من عماله على الأمصار مالاً من زكاة وغيره يبعث إليهم كل في ناحيته.

---

(١) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب: إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام، ج٧، ص١٦١، ح(١٠٦٠)؛ البخاري: الجامع الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قول الله عَزَّ وَجَلَّ وأما عاد فأهلكوا، ج٣، ص٧، ح(٣٣٤٤).

(٢) الحارثي حمود بن جابر: دعوة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للأعراب، (ط١، دار المسلم، الرياض، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م)، ص٢٦٤.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٤، ص١٠٤.

فعندما بعث علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهو باليمن بذهيبة في تُرْبتَهَا إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قسمها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين أربعة نفر: الأقرع بن حابس، وعيينة بن بدر الفزاري، وعلقمة بن علاثة العامري[1]، ثم أحد بني كلاب، وزيد الخير الطائي ثم أحد بني نبهان، فغضبت قريش فقالوا: أيعطي صناديد نجد ويدعنا. فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إني إنما فعلت ذلك لأتألفهم..[2].

لقد أدرك الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه لن يؤمن جانب هؤلاء الأعراب إلا بترضية سخية ومجزية من الدولة الإسلامية فلو أحسوا أن حالتهم المادية استقرت، وأن أموالهم كثرت، وأن وضعهم الاجتماعي تحسن بعد انتمائهم للدولة الإسلامية، فسيحبون هذه الدولة التي حققت لهم هذا الرخاء، ويحاولون بكل طاقة أن يدعموا هذه الدولة، ليستمر وضعهم في التحسن، وهؤلاء أصحاب طمع في الدنيا، وسوف يحسن إسلامهم بعد ذلك.

نعم، الإيمان الذي يكون سببه حب المال إيمان ضعيف، لكن قد يكون هذا في البداية، ثم إذا دخل في محاضن التربية الإسلامية يبدأ الإيمان في الرسوخ تدريجياً حتى يصبح الإيمان أغلى عنده من المال،

---

(١) علقمة بن عُلاثة العامري: كان من المؤلفة قلوبهم، ثم حسن إسلامه، وكان من الفقهاء المحدثين. أبي نعيم: معرفة الصحابة، ج٤، ص٢١٧٧.

(٢) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم، ج٧، ص١٦٦، ح (١٠٦٤)

والرسول-عليه الصلاة والسلام-يعلم أن النظام القبلي المرسخ في الجزيرة العربية منذ قرون يجعل لقائد القبيلة الكلمة العليا المطلقة في قبيلته، من أجل ذلك أراد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يشتري رضا هؤلاء الزعماء واستقرار هؤلاء الزعماء بالمال، لأن هؤلاء الزعماء سوف يؤثرون تأثيراً إيجابياً على أتباعهم وبالتالي تتحقق الغاية المحمدية في نشر الإسلام وتمكينه من قلوبهم[(١)].

وأيضاً اتخذ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع عيينة بن حصن أسلوباً آخر في دعوته رجاء إسلام غيره لماله من الطاعة عليهم حيث أَمَّر عيينة بن حصن الفزاري على سرية إلى بني العنبر[(٢)] من تميم ليس معه أنصاري ولا مهاجري[(٣)].

---

(١) انظر: موقع إسلام ويب، سلسلة السيرة النبوية بين حنين والطائف، للشيخ راغب السرجاني (islamweb.net.1431).

(٢) بني العنبر: ويقال بلعنبر -بفتح الباء وسكون اللام- حي من تميم من العدنانية وهم بنو العنبر بن عمرو بن تميم، وبنو العنبر، بطن من بني يربوع بن حنظلة من العدنانية، وهم بنو العنبر بن يربوع. القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب (تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبنانيين، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، باب الألف واللام مع العين المهملة، ص٦٨-٦٩.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٤، ص٩٣؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر في المغازي والسير، ج٤، ص٩٣.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنه استأذن على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجل فقال « ائذنوا له، فبئس أخو العشيرة فلما دخل ألآن له الكلام. فقلت له: يا رسول الله قلت ما قلت، ثم ألنت له في القول، فقال: « أي: عائشة، إن شر الناس منزلة عند الله من تركه -أو ودَعَهَ- الناس اتقاء فحشه »[1].

وهذا الرجل المستأذن هو عيينة بن حصن الفزاري.

وقد أعطى الله نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحكمة وعلمه مالم يكن يعلم، فحاشاه أن يفعل شيء إلا لحكمة، وتولية بعض الأعراب الإمارة سواء إمارة الجهاد أو الإمارة على البلاد أسلوب من أساليب الدعوة، وهي بلا شك تحقق مصالح عظيمة تعود بالفائدة على الأمة والإسلام بفوائد أهمها:

١-إشباع الغريزة الفطرية وهي حب الجاه والسلطان وحب القيادة عند أولئك الزعماء.

٢-تكليف الأمير بالدعوة إلى الإسلام وتمكنه من استجلاب قومه للدخول في الدين الحنيف.

٣-الأمن من مكره ومكر قبيلته، وما يشكلونه من خطر على المسلمين.

---

(١) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب المدارة مع الناس، ج٤، ص٤٠٨،ح(٦١٣١).

٤-تمكن الإيمان من قلبه وقلوب قبيلته مع مرور الزمن وممارسة العبادة.

٥-المشاركة في نشر الإسلام والدعوة إليه، وتوطيد حكم الإسلام[١].

والعطاء المادي من مجالات الترغيب التي تؤلف القلوب وتنزع ما فيها من غل وحسد ليحل محلها الحب والإخاء، ولقد كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعطي حينما يجد للعطاء نفعاً ويمنع حينما يرى للمنع حكمة، فالنفوس مجبولة على حب من أحسن إليها، والعطاء يورث المحبة وكثرته تفعل الأعاجيب.

إن سخاء النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإعطائه الأموال الكثيرة لرؤساء القبائل والزعماء من الأعراب من المرغبات التي ترغب الضعفاء فضلاً عن الأقوياء في الإسلام وتعاليمه كما ترغب غير المسلمين في إمعان النظر والفكر في الإسلام وفضله؛ لأنه يجمع بين سعادة الدنيا ونعيم الآخرة.

والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أراد استمالة قلب عيينة رجاء دخوله في الإسلام ودفع شره ومكره عن المسلمين، وفي هذا المعنى يقول صاحب تفسير المنار: "من الكفار من يخشى شره فيرجى بإعطائه كف

---

(١) الحارثي، حمود جابر: دعوة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للأعراب، ص٢٥٦-٢٥٧.

شره وشر غيره معه"[1].

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إن قوما كانوا يأتون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإن أعطاهم مدحوا الإسلام وقالوا: هذا دين حسن، وإن منعهم ذموا وعابوا[2].

ولقد كانت حكمة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الترغيب في الإسلام بكل الوسائل المتاحة والمناسبة ووضع كل شيء في موضعه خاصة أن الإسلام كان في بدء ظهوره، يقتضي أن يرغب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمال أو الإمارة على الجهاد أو البلاد؛ لأن النفوس تميل إلى من يحسن إليها ويغدق عليها خاصة ضعاف الإيمان.



---

(١) محمد رشيد رضا: تفسير المنار، (ط٢، ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م)، ص٤٢٨.

(٢) الطبري: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، جامع البيان في تأويل آي القرآن، (تحقيق: محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م)، ج١٤، ص٣١٣.

٧- تعامله مع الأقرع بن حابس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١]

لقد أعطى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم حنين الأقرع بن حابس مئة من الإبل، وأعطى عيينة مثل ذلك، وأعطى ناساً، فقال رجل: ما أريد بهذه القسمة وجه الله، فقلت: لأخبرن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «رحم الله موسى، قد أوذي بأكثر من هذا فصبر»[٢].

وقد كان الأقرع بن حابس أحد الأربعة الذين قسم بينهم الذهب الذي بعث به علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من اليمن، فغضبت قريش فقالوا: أيعطي صناديد نجد ويدعنا.. فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إني إنما فعلت ذلك لأتألفهم»[٣].

---

(١) هو الأقرع بن حابس بن عقال التميمي المجاشعي الدارمي، اسمه فراس بن حابس، ولقب بالأقرع، لقرع كان به في رأسه. وكان شريفاً في الجاهلية والإسلام، وهو أحد المؤلفة قلوبهم في يوم حنين. ابن عبدالبر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ص٨٨؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص١٢٦؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص٩٣.

(٢) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان، ج٣، ص٤٠٣، ح(٤٣٣٦).

(٣) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، ج٧، ص١٦٦،ح(١٠٦٤).

فكان لهذه الوسيلة والكرم المحمدي تأثيرها القوي في جذب الناس للدخول في دين الله أفواجا، ولقد منَّ الله على رسوله والمؤمنين بالحصول على الغنائم التي لا تحصى ولا تعد فامتدت يوم حنين أعين قريش والأعراب نحوها، فأراد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يؤثرهم بشيء من هذه الغنائم ليتألف من أسلم منهم فيبسط يده في العطاء وأعطاهم كثيراً مما امتدت إليه أعينهم، وكان منهم الأقرع بن حابس، فهذا العطاء وذلك الكرم يهيج العواطف محبة ووداداً، ويثير النفوس تقرباً وفداء.



٨- تعامله مع العباس بن مرداس السلمي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ[١]

رغم أن الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كان بعد حنين قد غلب على تأليفه الصبغة الجماعية، إلا أنه خص منهم أفراداً وميزهم بالعطاء لمقاصد مختلفة، فقد أعطى أبا سفيان بن حرب و صفوان بن أمية ليدخلا في الإسلام، كما أعطى عيينة بن حصن والأقرع بن حابس لخوفه عليهما من الردة، وأعطى عباس بن مرداس[٢] لخوفه عليه كذلك، ثم زاده في العطاء كفاً لشر لسانه حيث أنشد بين يديه شعراً يعتب فيه على نقصه عن أمثاله من الزعماء.

فعن رافع بن خديج قال: «أعطى رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أبا سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية، وعيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، كل إنسان منهم مئة من الإبل، وأعطى عباس بن مرداس أقل من ذلك، فقال عباس بن مرداس:

---

(١) عباس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة بن عبدالسلمي، أبو الهيثم، أسلم قبل الفتح بيسير، حيث قدم على رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في ثلاثمائة من قومه فأسلموا جميعاً، وكان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ شاعراً، وشجاعاً، ثم كان على رأس ألف وقيل سبعمائة فارس من قومه يوم فتح مكة، ويوم حنين.

(٢) ابن عبدالبر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٢، ص٨٢٠؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص١٦٨.

أتجعـل نهبـي ونهـب العبيـد بـين عيينـة والأقـرع
فـما كـان بـدر ولا حـابس يفوقـان مـرداس في المجمـع
ومـا كنـت دون امـرئ مـنهما ومـن تخفـض اليـوم لا يرفـع

قال: فأتم له رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مئة»[1].

ويروي ذلك ابن إسحاق بوجه آخر فقال:

وأعطى عباس بن مرداس أباعر فسخطها، فعاتب فيها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قائلاً:

كُانَـتْ نَهاباً تَلَافيْتُهَـا بِكَـرِّي عَـلَى الْمُهْـرِ في الأَجْـرَعِ
وَإِيقَـاظِيَ الْقَـوْمَ أَنْ يَرْقُـدُوا إِذَا هَجَـعَ النَّـاس لَمْ أَهْجَـعِ
فَأَصْبَحَ نَهْبِي وَنَهْبُ الْعُبَيْدِ[2] بَـيْنَ عُيَيْنَـةَ وَالأَقْـرَعِ
وَقَـدْ كُنْـتُ فِي الْحَـرْبِ ذَا تُدْرَأٍ[3] فَلَـمْ أُعْـطَ شَـيْئاً وَلَمْ أَمْنَـعِ
إِلَّا أَفَائِـلَ[4] أَعْطِيتُهَـا عَدِيـدَ قَوَائِمِهَـا الْأَرْبَـعِ
وَمَـا كَـانَ حِصْـنٌ وَلَا حَـابِسٌ يَفُوقَـانِ شَـيْخِيَ فِي الْمُجْمَـعِ

---

(١) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام ج٧، ص١٦١، ح(١٠٦٠).

(٢) العُبيد: اسم فرس عباس بن مرداس. ابن هشام: السيرة النبوية: ج٤، ص٤١٨.

(٣) ذا تدرإ: ذا دفع عن قومي. المصدر نفسه، ج٤، ص٤١٨.

(٤) الأفائل: الصغار من الإبل، الواحد أفيل. المصدر نفسه، ج٤، ص٤١٨.

وَمَـا كُنْـتُ دُونَ امـرِئٍ مِـنْهُمَا   وَمَـنَ تَضَـعِ الْيَـوْمَ لَا يُرْفَـعِ

فقال رسول الله: « اذهبوا به فاقطعوا عني لسانه » فأعطوه حتى رضي، فكان ذلك قطع لسانه الذي أمر به رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ[1].

لقد تألف النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ القلوب بهذا العطاء، وسقى بذور الإيمان بهذا الكرم، وغذي العواطف بهذا الهدي الحكيم، وتحمل وصبر، لأن أفعاله تصدر عن وحي ونبوة، وعن حكمة بالغة، وبصيرة نافذة، وفعلا عادت هذه السياسة الحكيمة بالخير على الإسلام والمسلمين بتمكين الإسلام وتثبيته في القلوب، وتأليف قلوب الزعماء والأشراف حتى صاروا من أجلاء المسلمين وأعظمهم نفعاً، فقويت بهذه الأموال والعطايا شوكة المسلمين ومكن الله لدينه في الأرض وأعز الإسلام وأهله بسهم المؤلفة قلوبهم، فينبغي للدعاة أن يفيدوا من هذا الأسلوب النبوي لنصرة الإسلام والترغيب فيه.



(١) ابن هشام: السيرة النبوية: ج٤، ص٤١٨؛ ابن القيم: زاد المعاد في هدي خير العباد، ج٢، ص١٨٨.

٩- إكرامه للشيماء بنت الحارث رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وقومها[(١)]

قد وقعت ضمن السبايا في حنين كما ذكر الواقدي.

قال: لما هزم الله تعالى هوازن اتبعهم المسلمون يقتلونهم وقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومئذ « إن قدرتم على بجاد فلا يفلتن منكم » وقد كان أحدث حدثاً عظيماً، وكان من بني سعد وكان قد أتاه رجل مسلم فأخذه بجاد فقطعه عضواً عضواً ثم حرقه بالنار، فكان قد عرف جُرمُه فهرب فأخذته الخيل إلى الشيماء بنت الحارث بن عبدالعزى، أخت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الرضاعة، فعنفوا عليها في السياق فجعلت الشيماء بنت الحارث تقول: إني والله أخت صاحبكم ولا يصدقوها، حتى أتوا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالت: يا محمد إني أختك، قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وما علامة ذلك»؟.

فتعرفت إليه وأرته عضة، وقالت: عضضتنيها وأنا متوركتك، ونحن يومئذ برعائهم أبوك أبي، وأمُك أمي، قد نازعتك الثدي،

---

(١) الشيماء هي حُذافة بنت الحارث بن عبدالعزى بن رفاعة بن بكر بن هوازن. والشيماء لقب غلب عليها، وهي أخت رسول الله من الرضاعة؛ أمها حليمة السعدية، وكانت الشيماء تحضن رسول الله مع أمها. ابن عبدالبر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ص٨٩٩؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٥، ص٣٢٥؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٨، ص٢٢٦.

وتذكر رسول الله العلامة فوثب قائماً فبسط رداءه، ثم قال: « اجلسي عليه ورحب بها، ودمعت عيناه وسألها عن أمه وأبيه من الرضاعة فأخبرته بموتهما في الزمان ثم قال: « إن أحببت فأقيمي عندنا مُحبّة مكرمة، وإن أحببت أن ترجعي إلى قومك وَصَلْتكِ ورجعتِ إلى قومك » قالت: ارجُع إلى قومي، ثم أسلمت، فأعطاها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاثة أعبد وجارية أحدهم يقال له: مكحول، فزوجوه الجارية.

ولما رجعت الشيماء، لمنزلها كلّمها النسوة في بجاد لتشفع له عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرجعت إليه فكلمته أن يَهبُهْ لها ويعفو عنه، ففعل، ثم أمر لها ببعير أو بعيرين وسألها عن أهلها: من بقي منهم؟ فأخبرته بأختها وأخيها، وبعمها أبي برقان[1]، وأخبرته بقوم سألها عنهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأعطاها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نعماً وشاء لها، ولمن بقي من أهل بيتها[2].

ولم يتوقف إكرام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للشيماء عند هذا فحسب بل شمل ذلك بني سعد[3]، بل هوازن كلها، فإنه لمَّا انتصر عليهم يوم

---

(١) أبو برقان من بني سعد بن بكر بن هوازن، وهو عم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الرضاعة. انظر: ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٤، ص٣٨٦.

(٢) الواقدي: المغازي، ص٦٠٩؛ انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ج٤، ص٣٨٨؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص٨١.

(٣) بني سعد: السعدي بفتح السين وسكون العين وفي آخرها دال مُهملة، هذه النسبة =

حنين وغنم أموالهم ونساءهم وذراريهم انتظرهم أياماً بعد عودته من الطائف لعلهم يقدمون قبل قسم الغنائم، لكنهم تأخروا ثم جاءه وفد هوازن بالجعرانة وقد أسلموا، فقالوا: يا رسول الله، إنا أصل وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء مالم يخف عليك فامنن علينا مَنّ الله عليك، وقام خطيبهم زهير بن صرد[1] فقال: يا رسول الله، إنما في الحظائر[2] من السبايا خالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك، ولو أنا ملحنا[3]

= إلى عدة قبائل إلى سعد بن بكر بن هوازن وإلى سعد تميم وإلى سعد الأنصار وإلى سعد جذام وإلى سعد خولان وإلى سعد تجيب وإلى سعد بن أبي وقاص وإلى سعد بن عبد شمس من تميم وإلى سعد هذيم من قضاعة. ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم، اللباب في تهذيب الأنساب، (دار صادر، بيروت، د ت، د ط)، ج٢، باب السين والعين المهملة، ص١١٧.

(١) زهير بن صرد أبو صرد الجشمي السعدي، من بني سعد بن بكر وقيل يكنى: أبا جرول، كان رئيس قومه، وفد على رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في وفد هوازن إذ فرغ من حنين ورسول الله حينئذٍ بالجعرانة يميز الرجال من النساء في سبي هوازن. انظر: ابن عبدالبر: الإستيعاب في معرفة الأصحاب، ص٢٧٥؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص٢٢١؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٢، ص٤٨٤.

(٢) الحظائر: هي أماكن تجمع الأغنام والإبل، وقد جُمع السبايا في ذلك المكان. انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ج٤، ص٤١٤.

(٣) ملحنا: أرضعنا والملح الرضاع. انظر: البيهقي: دلائل النبوة، ج٥، ص١٩٤؛ ابن هشام: السيرة النبوية، ج٤، ص٤١٤.

للحارث بن أبي شمر[1]، أو للنعمان بن المنذر[2]، ثم أنزل بنا بمثل الذي نزلت به، رجونا عطفه وعائدته علينا، وأنت خير المكفولين[3]، ثم أنشد:

امنن علينا رسول الله في كرم   فإنك المرء نرجوه وندخرُ
امنن على بيضة قد عاقها قدر   ممزقٌ شملها في دهرها غيرُ
امنن على نسوة قد كنتَ   إذ فوك يملؤه من مخضها
إذ أنت طفل صغير كنتْ   وإذ يزينك ما تأتي وما تذر
لا تجعلنا كمن شالت   واستبق منا فإنا معشر زهر
إنا لنشكر للنعماء إذ كفرت   وعندنا بعد هذا اليوم مدخر[4]

قال ابن كثير: ولقد كان هذا سبب إعتاقهم عن بكرة أبيهم[5].

فقال لهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أحب الحديث إلي أصدقه، فاختاروا إحدى الطائفتين: إما السبي وإما المال، وقد كنت

(١) الحارث بن أبي شمر الغساني ملك الشام من العرب، المصدر نفسه، ج٤، ص٤١٤.
(٢) النعمان بن المنذر ملك العراق من العرب، المصدر نفسه، ج٤، ص٤١٤.
(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٤، ص٤١٤؛ المقريزي: إمتاع الأسماع، ج٢، ص٣٠.
(٤) البيهقي: دلائل النبوة، ج٥، ص١٩٤.
(٥) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٤، ص٣٥٢.

استأنيت[1] بهم» وقد كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انتظرهم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف، فلما تبين لهم أن رسول الله غير راد إليهم إلا إحدى الطائفتين قالوا: فإنا نختار سبينا. فقام رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المسلمين فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: «أما بعد، فإن إخوانكم هؤلاء قد جاؤونا تائبين، وإني قد رأيت أن أرد إليهم سبيهم فمن أحب منكم أن يطيب بذلك فليفعل، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل» فقال الناس: قد طيّبنا ذلك لرسول الله لهم، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنا لا ندري من أذن منكم في ذلك ممن لم يأذن، فارجعوا حتى يرفعوا إلينا عرفاؤكم أمركم» فرجع الناس، فكلمهم عرفاؤهم، ثم رجعوا إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبروه أنهم قد طيبوا وأذنوا»[2].



(١) استأنيت: أي انتظرت وتربصت يقال أنيت، وأنّيت، وتأنيت، واستأنيت. ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، باب (أنا)، ج١، ص٧٨.

(٢) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب الحوالات، باب إذا وهب شيئاً لوكيل أو شفيع قوم، ج٢، ص٣٠٠، ح(٢٣٠٧/ ٢٣٠٨).

١٠- تعامله مع مالك بن عوف النصري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

هو مالك بن عوف بن سعد بن ربيعة بن يربوع بن واثلة بن دهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن، النصري[١].

كان رئيس جيش المشركين يوم حنين، وكانت هوازن لما سمعت برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما فتح الله عليه من مكة تجمعت تحت قيادته واجتمع إليه من هوازن، وثقيف كلها؛ نصر وجشم كلها، وسعد بن بكر، وناس من بني هلال بن عامر بن صعصعة وكان تجمعهم بأوطاس[٢] وفيهم دريد بن الصمة[٣] قد عمي، يقاد به، فلما نزل قال:

---

(١) ابن عبدالبر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص٦٤٨؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٤، ص٣٣؛ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٥، ص٥٥٩.

(٢) أوطاس: واد في ديار هوازن، ولما نزل المشركون بأوطاس، قال دريد بن الصمة عن الوادي: نعم مجال الخيل لا حزن ضرس ولا سهل دهس، وقد لجأ إليه بعض المنهزمين من حنين، فلحق بهم أبو عامر الأشعري، فقاتلهم حتى انتصر عليهم واستشهد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٢٢٤.

(٣) دريد بن الصمة: دريد بن الصمة الجشمي البكري، من هوازن: شجاع من الأبطال، الشعراء، المعمرين في الجاهلية، كان سيد بني جشم وفارس سهم وقائدهم، وغزا نحو مئة غزوة لم يهزم في واحدة منها، وعاش حتى سقط حاجباه عن عينيه، وأدرك الإسلام، ولم يسلم، فقتل على دين الجاهلية يوم حنين، وكانت هوازن خرجت لقتال المسلمين فاستصحبته معها تيمناً به، وهو أعمى، فلما انهزمت جموعها أدركه ربيعة =

بأي واد أنتم؟ قالوا: بأوطاس قال: نعم مجال الخيل لا حزن ضرس، ولا سهل دهس، مالي أسمع رُغاء البعير، ونهاق الحمير، وبكاء الصغير، وُيعار الشاء؟ قالوا: سَاق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم قال: أين مالك؟ قيل: هذا مالك ودعي له، فقال: يا مالك، إنك قد أصبحت رئيس قومك، وإن هذا يوم كائن له مابعده من الأيام. مالي أسمع رُغاء البعير، ونهاق الحمير، وبكاء الصغير، ويعار الشاء؟ قال: سقت مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم، قال: ولم ذاك؟ قال: أردت أن أجعل خلف كل رجل منهم أهله وماله، ليقاتل عنهم، فزجره دريد. ثم قال: راعي ضأن والله! وهل يرد المنهزم شيء؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فُضِحت في أهلك ومالك[1]، فلما انهزمت هوازن فرّ مالك حتى تحصن مع ثقيف في الطائف.

ولما قدم وفد هوازن إلى الجعرانة، سأل رسول الله عن مالك بن عوف ما فعل؟

فقالوا: هو بالطائف مع ثقيف، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أخبروا مالكاً أنه إن أتاني مسلماً رددت عليه أهله وماله، وأعطيته مئة

= بن رفيع السلمي فقتله، له أخبار كثيرة، والصمة لقب أبيه معاوية بن الحارث. الأعلام: الزركلي، ج٢، ص٣٣٩.

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٤، ص٣٧١.

من الإبل، فأُتي مالك بذلك، فخرج إليه من الطائف، وقد كان مالك خائفاً من ثقيف على نفسه أن يعلموا أن رسول الله ﷺ قال له ما قال فيحبسوه، فأمر براحلته فهيئت له، وأمر بفرس له، فأتي به إلى الطائف، فخرج ليلاً فجلس على فرسه فركضه، حتى أتى راحلته حيث أمر بها أن تحبس، فركبها فلحق برسول الله ﷺ، فأدركه بالجعرانة، فرد عليه أهله وماله، وأعطاه مئه من الإبل، وأسلم فحسن إسلامه، فقال حين أسلم:

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله ... في الناس كلهم بمثل محمد
أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتُدِي ... ومتى تشأ يُخْبِرْكَ عما في غَدِ
وإذا الكتيبة عردت أنيابها[1] ... بالسمهري[2] وضرب كل مهند[3]
فكأنه ليث على أشباله ... وسط الهباءة[4] خادر[5] في مرصد[6]

وقد استعمله رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه،

---

(١) عردت أنيابها: قويت واشتدت. المصدر نفسه، ج٤، ص٤١٦.
(٢) السمهري: الرمح. المصدر نفسه، ج٤، ص٤١٦.
(٣) المهند: السيف. المصدر نفسه، ج٤، ص٤١٦.
(٤) الهباءة: الغبار يثور عند اشتداد الحرب. المصدر نفسه، ج٤، ص٤١٦.
(٥) الخادر: الأسد في عرينه، وهو حينئذ أشد ما يكون يأساً أخوفه على أشباله: يصفه بالقوة. المصدر نفسه، ج٤، ص٤١٦.
(٦) المرصد: المكان يرقب منه، يصفه باليقظة. المصدر نفسه، ج٤، ص٤١٧.

وقبائل أخرى: ثمالة وسلمة، وجهم، فكان يقاتل بهم ثقيف لا يخرج لهم سرح إلا أغار عليه حتى ضيق عليهم[1].

وهكذا هو الإسلام إذا لامس قلب الإنسان وخالطه، أزال منه كل عوامل الشر، وغرس مكانها عناصر الخير.

وهذا هو أثر التعامل الحسن والكرم والعطاء، حوّل مالكاً من عدو محارب إلى قائد يدافع عن الإسلام ويحارب أعداءه، فقد تحول مالك بعد أن تهذبت طباعة وجعل منه الإسلام إنساناً آخر، وها هو يتحول إلى سيف أرسله الله على المشركين، فصار يشن عليهم الغارات صادقاً مخلصاً للإسلام، حتى أزعجهم، وخاصة قومه ثقيف، فصار جهاده من أكبر العوامل التي مهدت الطريق لسلطان الإسلام كي يبسط ظله على ثقيف التي ظلت حتى السنة التاسعة للهجرة مستعصية تقاوم الدعوة الإسلامية وتحاربها بكل شراسة وعناد[2].

بل إن رسول الله فعل ما هو أعظم من ذلك وأرقى..!! لقد أعاد مالك بن عوف زعيماً مرة أخرى على هوازن؛ بل وكلفه بمهمة عسكرية في منتهى الأهمية وهي مهمة حصار مدينة الطائف..!!

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٤، ص٤١٦-٤١٧؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج٥، ص١٩٨؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ج٥، ص٥٨٨.

(٢) محمد باشميل: موسوعة الغزوات الكبرى، ج٢، ص١٦٩١.

لقد احترم رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إمكانيات مالك بن عوف القيادية وحفظ له سمعته ومكانته.

لقد نسي رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ماضي مالك بن عوف في لحظة واحدة، وعامله معاملة القواد المحترمين، وحول جهده من الإفساد في الأرض إلى إصلاحها، فأي خير عاد على المسلمين!! وأي خير عاد على هوازن..! وأي خير عاد على مالك بن عوف..!![1].



(١) انظر: مقال بعنوان بر الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ مع مالك بن عوف، للدكتور/ راغب السرجاني (الشبكة العنكوتية).

المبحث الثاني

أثر كرمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووفائه

وفيـــــه:

التمهيـــــــد.

1) إسلام المرأة صاحبة المزادتين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

2) إسلام أبي رافع رسول قريش إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

3) إسلام أبي العاص بن الربيع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

4) وفاء الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع مشركي قريش في صلح الحديبية، وأثر ذلك في نشر الإسلام وتمكينه.

5) إسلام الأعرابي الذي طلب منه مالاً.

* *   * ** *   * *

تمهيـــد
أثر كرمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووفائه

لئن كان الكرم جامعاً لمكارم الأخلاق، فإن الذي بعث ليتمم مكارم الأخلاق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيكون تمثل هذا الخلق فيه بالغاً مبلغ الكمال والعظمة.

وكان للكرم المحمدي أثره في تأليف القلوب، علَّ الله أن يهديهم للإسلام ويكفيه مؤنة قتالهم وعداوتهم، ليتهيأ له الانطلاق بالدعوة إلى آفاق الأرض وأرجائها.

ويدل على ذلك عطاؤه العظيم عند كل مغنم، وكل مال يجبى إليه، وما أكثر ذلك في حياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى أسلم الكثير بعد طول انتظار، فكثر بهم سواد المسلمين، وأصبحوا من حماته وجنوده.

وإلى جانب ذلك الكرم المحمدي خلق الوفاء الذي تمثل فيه كأوفى ما يكون الوفاء وأعظمه في كل أحواله: مع الله تعالى، ومع أصحابه، ومع أزواجه، ومع أقاربه، ومع أعدائه، بحيث كانت حياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلها وفاءاً وعرفاناً، قبل البعثة وبعدها.

وكم له-عليه الصلاة والسلام-من مواقف في الكرم والوفاء عظيمة، كانت عواقبها محمودة، وثمارها عظيمة جليلة كما سنرى في هذا المبحث.

١- إسلام المرأة صاحبة المزادتين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وقومها

عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت مع نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مسير له، فأدلجنا ليلتنا، حتى إذا كان في وجه الصبح عرَّسنا، فغلبتنا أعيننا حتى بزغت الشمس... ثم عجّلني في ركب بين يديه، نطلب الماء، وقد عطشنا عطشاً شديداً. فبينما نحن نسير إذا نحن بامرأة سادلة رجليها بين مزادتين[1] فقلنا لها: أين الماء؟ قالت: أيهاه، أيْهاه، لا ماء لكم[2] قلنا: فكم بين أهلك وبين الماء؟ قالت: مسيرة يوم وليلة قلنا: انطلقي إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالت: وما رسول الله؟ فلم نملكها من أمرها شيئاً حتى انطلقنا بها، فاستقْبَلْنا بها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسألها فأخبرته مثل الذي أخبرتنا، وأخبرته أنها مؤتمة[3] لها صبيان أيتام.

---

(١) سادلة رجليها بين مزادتين: السادلة (المرسلة المدنية)، والمزادة معروفة، وهي أكبر من القربة، والمزادتان: حمل البعير، سميت مزادة لأنه يزاد فيهما من جلد آخر من غيرها. النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها، ج٥، ص١٩٦، ح(١٥٦١-٣١٢).

(٢) أيهاه أيهاه لا ماء لكم: هيهات هيهات أي البعد من المطلوب واليأس منه، كما قالت بعده، لا ماء لكم، أي ليس لكم ماء حاضر ولا قريب. المصدر نفسه، ج٥، ص١٩٦، ح(١٥٦١-٣١٢).

(٣) مؤتمة: بضم الميم وكسر التاء أي ذات أيتام. المصدر نفسه، ج٥، ص١٩٦، ح(١٥٦١-٣١٢).

فأمر براويتها[1] فأنيخت، فمجَّ في العزلاوين العلياوين[2] ثم بعث براويتها، فشربنا، ونحن أربعون رجلاً عطاشاً. حتى روينا وملأنا كل قربة معنا وإداوة، وغسَّلنا صاحبنا، غير أنا لم نسق بعيراً، وهي تكاد تنضرج[3] من الماء [يعني المزادتين] ثم قال: «هاتوا ما كان عندكم» فجمعنا لها من كسر وتمر، وصَرَّ لها صُرَّةً، فقال لها: « اذهبي فأطعمي هذا عيالك، واعلمي أنا لم نَرْزَأْ من مائك[4] ».

فلما أتت أَهْلَها قَالتْ: لقد لَقِيْتُ أَسْحَرَ البشر، أو أنه لنبي كما زعم، كان من أمره ذيت وذَيتَ[5]، فهدى الله ذاك الصرم بتلك المرأة،

---

(١) فأمر بروايتها فأنيخت: الرواية عند العرب: هي الجمل الذي يحمل الماء وأهل العرف قد يستعملونه في المزادة استعارة، والأصل البعير. المصدر نفسه، ج٥، ص١٩٦، ح(١٥٦١-٣١٢).

(٢) فمج في العز لاوين العلياوين: المج: زرق الماء بالفم، والعزلاء بالمد: هو المشعب الأسف للمزادة، الذي يفرغ منه الماء، ويطلق أيضاً على فمها الأعلى. المصدر نفسه،ج ٥، ص١٩٦، ح(١٥٦١-٣١٢).

(٣) تنضرج: أي: تنشق، وهو- بفتح التاء، وإسكان النون، وفتح الضاد المعجمه، وبالجيم-، وروي، -بتاء أخرى، بدل النون-، بمعناه، والأول هو مشهور. النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، كتاب المساجد، باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها، ج٥، ص١٩٧، (١٥٦١-٣١٢).

(٤) لم نرزأ من مائك: هو بنونٍ مفتوحة، ثم راء ساكنة ثم زاء، ثم همزة، أي: لم ننقص من مائك شيئاً. المصدر نفسه، ج٥، ص١٩٧، ح(١٥٦١-٣١٢).

(٥) ذيت وذيت: بمعنى كيت وكيت، وكذا وكذا. المصدر نفسه، ج٥، ص١٩٦، ح(١٥٦١-٣١٢).

فأسلمت وأسلموا[1].

لقد كان سبب إسلام هذه المرأة المشركة أمران[2]:

١-ما رأته من أخذ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه من مزادتيها ولم ينقص ذلك من مائها شيئاً، وهذا من معجزات النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، كتاب المساجد، باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها، ج٥، ص١٩٦-١٩٧، ح(١٥٦١-٣١٢)؛ البخاري: الجامع الصحيح، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ج٣، ص١١٧، ح(٣٥٧١)؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج٤، ص٢٧٦.

(٢) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ج٦، ص٧١٤، ح(٣٥٧١)؛ النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج٥، ص١٩٧، ح(١٥٦١-٣١٢).

* اختلف في تعيين زمان الحادثة ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أنها كانت عند رجوعهم من خيبر، وفي أبي داود من حديث ابن مسعود « أقبل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الحديبية ليلاً فنزل وقال: من يكلؤنا؟ فقال بلال أنا، وفي الموطأ عن زيد بن أسلم مرسلاً عرس رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة بطريق مكة ووكل بلالاً، وفي مصنف عبدالرزاق عن عطاء بن يسار مرسلاً أن ذلك كان بطريق تبوك، ووقع في رواية لأبي داود أن ذلك كان في غزوة جيش الأمراء، وتعقبه ابن عبدالبر بأن غزوة جيش الأمراء هي غزوة مؤتة ولم يشهدها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكن يحتمل أن يكون المراد بغزوة جيش الأمراء غزوة أخرى غير غزوة مؤتة، ابن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب التيمم، باب الصعيد الطيب وضوء المسلم يكفيه من الماء، ج١، ص٥٨١، ح(٣٤٤).

التي تدل على صدق رسالته.

٢-أخلاق النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكرمه ورحمته حينما أمر أصحابه أن يجمعوا لها، فجمعوا لها طعاماً كثيراً، وخاصة أنها أخبرت أن وراءها أيتام صغار مع أنه أخبرها أنهم لم ينقصوا من مائها شيئًا وإنما رزقهم الله.

فكلا الأمرين أثرا فيها وفي قومها واستنبطوا من ذلك صدق نبوته فأتى ذلك الحي إلى رسول الله وأسلموا. وهكذا مكارم الأخلاق تفعل فعلها في النفوس البشرية فتهوي لصاحبها وتستجيب له.



٢- إسلام أبي رافع[١] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رسول قريش إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الوفاء بالعهد من شيم الفضلاء، وكرام الناس، وقد كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبُرّ ويصل ذوي رحمه، ويفي لهم بحقوقهم عليه... حتى وإن كانوا مشركين، والوقائع التاريخية تصدق ذلك ففي سنن أبي داود[٢] أن أبا رافع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بعثتني قريش إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما رأيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألقي في قلبي الإسلام، فقلت: يا رسول الله، إني والله لا أرجع إليهم أبداً، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إني لا أخيسُ بالعهد[٣]، ولا أحبس البُرُدَ[١]،

---

(١) أبا رافع: اختلف في اسمه، فقيل: إبراهيم، وقيل: أسلم، وقيل: هرمز، وقيل: ثابت وكان قبطيًا، فقيل: كان للعباس عم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوهبه لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقيل لسعيد بن العاص، توفي في خلافة عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقيل: في خلافة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو الصواب إن شاء الله تعالى. انظر: ابن عبدالبر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص٨٠؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص٢٥؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣، ص٣٢٢.

(٢) أبي داود: سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب يستجن بالإمام في العهود،، ج٣، ص٤٣٤-٤٣٥، ح(٢٧٥٢).

(٣) لا أخيس بالعهد: لا أنقضه، والعهد هنا الأمر المعهود المتعارف عليه. أبي داود: سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني. سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب يستجن بالإمام في العهود، تحقيق: محمد عوامه، ط٣، دار قرطبة، بيروت، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، ج٣، ص٤٣٤، ح(٢٧٥٢).

ولكن ارجع، فإن كان في نفسك الذي في نفسك الآن فارجع » قال: فذهبت، ثم أتيت النبي فأسلمت.

قال بكير: وأخبرني: أن أبا رافع كان قبطياً.

وقد ذكر الشارح في عون المعبود[2] أن هذا كان في زمن الهدنة التي كانت بين رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكفار قريش.

وذلك أن أبا رافع جاء رسولاً يحمل رسالة من قريش وقد وقع في قلبه الإسلام عندما قابل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأخبره بذلك، فقال له النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ارجع يعني إلى من أرسلك فإن كان في نفسك بعد العودة إلى مكة الذي في نفسك الآن وهو الرغبة في الإسلام فارجع إلينا».

وهذا التصرف من رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرر قاعدة وهي: أن الرسل لا تحبس، وهذا عرف دولي متفق عليه. وقاعدة أخرى وهي الوفاء بالعهد، فبينه وبين قريش عهد وهدنة وخشي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إن قبله وهو في هذه الحالة أن يتهم من عدوه أنه أجبره على الإسلام وهذا

---

(1) لا أحبس البُرُدُ: البُرُدُ: جمع بريد، وهو هنا الرسول. المصدر نفسه، ج٣، ص٤٣٥، ح(٢٧٥٢).

(٢) أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم أبادي: عون المعبود شرح سنن أبي داود، تحقيق: عبدالرحمن محمد عثمان، د ط، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، د ت، ج٥، ص١٩٢.

خلاف الواقع، ولهذا أمره أن يعود إلى قريش، ثم إذا رغب في الإسلام يأتي طائعاً وراغباً في الخير، وخلق الوفاء الذي لحظه أبو رافع جعله يزيد إعجاباً بوفاء ذلك الرسول الأمين حتى مالت النفس إلى الإسلام والإيمان أكثر من ذي قبل وبادر أبورافع بعد أداء الرسالة لقريش بمكة بالعودة إلى المدينة والدخول في دين الإسلام.



٣- إسلام أبي العاص بن الربيع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(١)

كان أبو العاص بن الربيع صهر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ابنته زينب، وكان زوّجه بها قبل البعثة، وبقي أبو العاص على شركه وأسلمت زينب لكنها بقيت معه بمكة، وأسر أبو العاص في بدر ثم أطلق سراحه وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أخذ عليه العهد أن يخلي سبيل زينب إليه، فهاجرت زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وأقام أبو العاص بمكة وأقامت زينب عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة، ثم فرق الإسلام بينهما، حتى إذا كان قبيل فتح مكة، خرج أبو العاص تاجراً إلى الشام، وكان رجلاً مأموناً بمال له وأموال لرجال من قريش، أبضعوها معه، فلما فرغ من تجارته، وأقبل قافلاً، لقيته سرية لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأصابوا ما معه، وأعجزهم هارباً فلما قدمت السرية بما أصابوا من ماله، أقبل أبو العاص تحت جنح الليل، حتى دخل على زينب بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) هوأبو العاص بن الربيع بن عبدالعزى بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، القرشي، صهر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زوج ابنته زينب أكبر بناته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ، وأمه هالة بنت خويلد بن أسد أخت خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لأبيها وأمها.

انظر: ابن عبدالبر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص٨١٨؛ ابن الأثير: أسد الغابة، ج٥، ص٢٣؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢، ص١٧.

فاستجار بها، فأجارته، فلما خرج رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الصبح، فكبر وكبر الناس معه، صرخت زينب من صُفّة[1] النساء أيها الناس. إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع، فلما سلم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الصلاة أقبل على الناس، فقال: « أيها الناس، هل سمعتم ما سمعت؟ قالوا: نعم، قال: أما والذي نفس محمد بيده، ما علمت بشيء من ذلك، حتى سمعت ما سمعتم، إنه يجير على المسلمين أدناهم، ثم انصرف رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فدخل على ابنته، فقال: أي بنية أكرمي مثواه، ولا يخلصن إليك، فإنك لا تحلين له »[2].

ثم بعث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى السرية الذين أصابوا مال أبي العاص فقال لهم: « إن هذا الرجل منّا حيث قد علمتم، وقد أصبتم له مالاً، فإن تحسنوا وتردوا عليه الذي له، فإنا نحب ذلك، وإن أبيتم فهو فيء الله الذي أفاء عليكم فأنتم أحق به، فقالوا: يا رسول الله بل نردها عليه، فردوه عليه، حتى إن الرجل ليأتي بالدلو[3]، ويأتي

---

(١) الصفة: السقيفة، والمراد مصلى النساء. ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص٥٧١.

(٢) الواقدي: المغازي، ص١٢٢؛ ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص٥٧٩؛ السهيلي: الروض الآنف، ج٣، ص١٠٩؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر في المغازي والسير، ص٣٠٦.

(٣) الدلو: معروف هي التي يُستقى بها، وقد تذكر والتأنيث أكثر. انظر: الزبيدي محمد مرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس، (ط١، مكتبة الحياة، بيروت)، ج١٩، ص٤١١.

الرجل بالشنة[1]، وبالإداوة[2]، حتى إن أحدهم ليأتي بالشظاظ[3] حتى ردوا عليه ماله بأسره، لا يفقد منه شيئاً.

ثم احتمل ماله إلى مكة، فأدى إلى كل ذي مال من قريش ماله، ومن كان أبضع منه، ثم قال: يا معشر قريش، هل بقي لأحد منكم عندي مال يأخذه؟ قالوا: لا، فجزاك الله خيراً، فقد وجدناك وفياً كريماً، قال: فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، والله ما منعني من الإسلام عنده إلا تخوف أن تظنوا أني إنما أردت أن آكل أموالكم، فلما أدّاها الله إليكم وفرغت منها، أسلمت[4].

هذا الوفاء والكرم المحمدي جعل أبا العاص يتأمل ويفكر ما يصنع الإسلام بالنفوس.. امرأة عملاقة في قوة النفس والخلق.. ونبي كريم وفيّ يحكم الناس بالحب والعدل والسماحة.. وأصحاب يتنافسون على البر والإحسان..

---

(١) الشنة: واحدها شن وشنة، والجمع شنان، وهي: الأسقية الخلقة، وهي أشد تبريداً للماء من الجدد. انظر: ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٢، ص٥٠٦.

(٢) الإداوة: بالكسر، إناء من جلد يتخذ للماء كالسطيحة ونحوها، وجمعها أداوى. انظر: المصدر نفسه ج١، ص٣٣.

(٣) الشظاظ: خشبة محددة الطرف تدخل في عروتي الجوالقين لتجمع بينهما عند حملها على البعير. والجمع أشظّة. انظر: المصدر نفسه ، ج٢، ص٤٧٦.

(٤) الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص٢٦٢، ح(٥٠٣٨)؛ ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص٥٧٩؛ السهيلي: الروض الآنف، ج٣، ص١٠٩.

ثم انطلق إلى مكة وهو يكتم النور في عقله وقلبه.. يريد أداء الحقوق إلى الناس دون أن يراود نفوسهم شك في أمانته، ثم يقول: أيها الناس هل بقي لكم عندي شيء؟ فانطلقت الأفواه تثنى على أمانته ووفائه وكرمه.. فالآن أُعلنها على الملأ ولو غاظتكم بعد أن اعترفتم بأني لم أطمع في أموالكم.. الآن أعلن إسلامي وأفارقكم.. فمكاني هناك بين أولئك المؤمنين المحبين المحسنين.

فهكذا يصنع حسن الخلق والكرم والوفاء بالنفوس ويقربها حتى تعتنق دين الحق وتؤمن بها.



٤- وفاء الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع مشركي قريش في صلح الحديبية وأثر ذلك في نشر الإسلام وتمكينه

لقد كان صلح الحديبية خير شاهد على وفاء الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع مشركي قريش الذي ظهرت آثاره على أرض الواقع من خلال قصة أبي جندل وأبي بصير، حيث اتضح المثال العملي من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وجوب الوفاء بالعهود، وحرمة الغدر والخيانة حتى مع الأعداء، وكان ذلك دليلاً على بعد نظره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حصول ما كان يرجوه ويطمح إليه من آثار باهرة كانت لها أهميتها كما سيتضح لنا من خلال ذكر هذه الوقائع التاريخية التي يتجلى فيها حُسن أخلاقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأثرها في انتشار الإسلام.

لقد خرج صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المدينة على رأس ألف وأربعمائة[1] من الصحابة الكرام رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وساق معه الهدي الكثير ليثبت للجميع أنه ما ذهب إلا للعمرة، وعند ذي الحليفة[2] أحرم، وأحرم معه كل

---

(١) النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، كتاب الإمارة، باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال، وبيان بيعة الرضوان تحت الشجرة، ج٣، ص٥، ح(١٨٥٦).

(٢) ذو الحليفة: موضع على مقدار ستة أميال من المدينة مما يلي مكة، وهو ميقات المدينة =

الصحابة، وانطلقوا في التلبية طوال الطريق[1].

وعسكر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالحديبية[2] استعداداً لدخول مكة لأداء نسكه هو ومن صحبه من صحابته-رضوان الله عليهم-، ولكن كفار مكة تعنتوا وأخذتهم العزة بالاثم، واستكبروا استكباراً، فأبوا على المسلمين أن يدخلوا مكة، ورفضوا أن يسمحوا لهم بالطواف بالبيت العتيق، فتأزم الموقف بين المسلمين والمشركين، وهاجت النفوس، وشاءت إرادة-الله سبحانه وتعالى-ألا يتصاعد الموقف تأزماً، وخفت حدة التأزم بأن قيض الله أناساً تداركوا الموقف، حيث جرت سفارات واتصالات بين المسلمين والمشركين؛ لاستطلاع الحقيقة، وتهدئة الأحوال، وفتح باب الحوار، فتبادل الفريقان السفراء، وطال الخطب إلى أن أتاه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سهيل بن عمرو وقد بعثته قريش وقالت له: ائت محمداً فصالحه، ولا يكن في صلحه إلا أن

= والشام، كان منزل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا خرج من المدينة الحج أو العمرة. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٢٩٥.

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٢، ص٧٣.

(٢) الحديبية: موضع على بعد (٢٢) كيلاً غرب مكة على طريق جدة القديم، وبها بويتات يعدها الناظر، ومسجد غير مسجد الشجرة يصلى فيه، وبها مخفر للشرطة، وهي خارج الحرم غير بعيدة عنه، على مرأى وملاكها الأشراف ذوو ناصر، انظر: البلادي عاتق ، معجم المعالم الجغرافية،(ط١، دار مكة، مكة المكرمة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٢م)، ص٩٤.

يرجع عنا عامة هذا، فوالله لا تحدث العرب عنا أنه دخلها علينا عنوة أبداً[1].

فجاء سُهيل بن عمرو، فقال: هات اكتب بيننا وبينكم كتاباً، فدعى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الكاتب، فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ» قال سهيل: أما الرحمن فو الله ما أدري ما هو، ولكن اكتب: باسمك اللهم كما كنت تكتب، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا « بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ» فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « اكتب باسمك اللهم »، ثم قال: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله » فقال سُهيل: والله لو كنَّا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبدالله، فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « والله إني لرسول الله، وإن كذبتموني اكتب: محمد بن عبدالله » قال الزهري: وذلك لقوله: « لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها ». فقال له النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « على أن تخلوا بيننا وبين البيت، فنطوف به »، فقال سهيل: والله لا تتحدث العربُ أنا أخذنا ضغطة[2]، ولكن ذلك من العام المقبل، فكتب، فقال سهيل:

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٤، ص٢٧٠.

(٢) ضغطة: أي قهراً أو كرهاً. البخاري: الجامع الصحيح، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، ج٢، ص٤٩٤، ح(٢٥٨٣).

وعلى أن لا يأتيك مِنّا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، قال المسلمون: سبحان الله، كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟

فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل[1] بن سهيل بن عمرو يَرْسُفُ[2] في قيوده، وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سُهيل: هذا يا محمد أول ما أُقاضيك عليه أن ترُده إليَّ، فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فأجزه لي» قال: ما أنا بمُجيزه لك، قال: «بلى فافعل » قال: ما أنا بفاعل. قال أبو جندل: أي معشر المسلمين، أُرَدُّ إلى المشركين وقد جئت مسلماً؟! ألا ترون ما قد لقيت؟ وكان قد عُذب عذاباً شديداً في الله. قال: فقال عمر بن الخطاب: فأتيت نبي الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقلت ألست نبي الله حقاً؟ قال: «بلى» قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: «بلى» قلت: فلِمَ

---

(١) أبو جندل بن سهيل بن عمرو: سهيل بن عمرو بن العاص بن عمرو أسلم بمكة فطرحه أبوه في حديد، فلما كان يوم الجمعة جاء يرسف في الحديد إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان أبوه سهيل قد كتب في كتاب الصلح أنَّ من جاءك منا ترده علينا، فخلاه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لذلك، ثم إنه أفلت بعد ذلك فلحق بأبي بصير الثقفي، وكان معه في سبعين رجلاً من المسلمين يقطعون على من مر بهم من عير قريش وتجارهم، فكتبوا منهم إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يضمهم إليه فضمهم إليه. ابن عبدالبر: الإستيعاب في معرفة الأصحاب، ص٧٨٠.

(٢) يرسف: أي يمشي مشي المقيَّد. البخاري: الجامع الصحيح، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، ج٢، ص٤٨٩، ح(٢٧٣١-٢٧٣٢).

نُعْطي الدَّنِيَّةَ فِي ديننا إذاً؟ قال: « إني رسول الله، ولست أعصيه، وهو ناصري » قلت: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: « بلى، فأخبرتك أنا نأْتيه العام؟ قال: قلت: لا، قال: فإنك آتيه ومُطَوِّف به »[1].

ثم رجع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة، فجاء أبو بصير[2]، رجل من قريش وهو مسلم، فأرسلوا في طلبه رجلين، فقالوا: العهد الذي جعلت لنا؟ فدفعه إلى الرجلين، فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة فنزلوا يأكلون من تمر لهم، فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيداً، فاستله الآخر، فقال: أجل، والله إنه لجيد، لقد جربت ثم جربت، فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه، فأمكنه منه، فضربه حتى بَرَدَ، وفَرَّ الآخرُ حتى أتى المدينة، فدخل المسجد يَعْدُو، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين رآه: « لقد رأى هذا اذُعْراً[3] » فلما انتهى إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: قُتِلَ والله صاحبي، وإني لمقتول.

---

(١) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، ج٢، ص٤٨٩، ح(٢٠٧٣-٢٧٣٢).

(٢) أبو بصير: هوعتبة بن أسيد بن جارية ابن أسيد بن عبدالله بن سلمة بن عبدالله بن غيرة بن عوف بن قيس، وهو رجل من قريش .قال ابن هشام: هو ثقفي وله قصة في المغازي عجيبة، ذكرها ابن إسحاق وغيره في قصة القضية عام الحديبية. ابن عبدالبر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص٧٦٦ .

(٣) اذعراً: الأمر المخوف. الزبيدي: تاج العروس، (باب ذعر)، ج١١، ص٣٧١.

فجاء أبو بصير فقال: يا نبي الله، قد والله أوفى الله ذمتك، قد رددتني إليهم، ثم أنجاني الله منهم، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « ويل أمه مِسعَرَ حرب[1] لو كان له أحد »، فلما سمع ذلك عَرَفَ أنه سَيَرُدُّه إليهم، فخرج حتى أتي سيف البحر[2]، قال: ويَنفَلِتُ منهم أبو جَندل بن سُهَيل فلحق بأبي بصير، حتى اجتمعت منهم عصابة، فو الله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها، فقتلوهم وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تناشده بالله والرحم لَمَّا أَرسَل إليهم، فمن أتاه فهو آمن، فأرسل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليهم[3].

فمن هذه الوقائع التاريخية يظهر لنا فيها وفاؤه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمشركي قريش في صلح الحديبية ببنود الصلح التي اتفقوا عليها مع ما

---

(١) المِسْعر: هو ما يحرك به من النار من آلة الحديد. وكأنه يصفه بالإقدام في الحرب والتسعير لنارها. البخاري: الجامع الصحيح، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، ج٢، ص٤٩٥، ح(٢٧٣١-٢٧٣٢).

(٢) سيف البحر: أي ساحله، وكان طريق أهل مكة إذا قصدوا الشام. وقال ابن حجر: وهو يحاذي المدينة إلى جهة الساحل. ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج٨، ص٢٨٣.

(٣) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب الشروط، بابا الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، ج٢، ص٤٩٤- ٤٩٥، ح(٢٧٣١-٢٧٣٢).

في هذه البنود والشروط من صعوبة نفسية عليه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى أصحابه؛ إلا أنه بوحي من الله أمضى هذه الشروط وتغلب عليها، ووفيّ بها لعلمه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن عاقبتها ستكون خيرًا، وأن الوفاء من الأخلاق الربانية التي أمر الله بها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأنه لا يأمر إلا بما فيه الخير للإنسانية جميعاً وللمسلمين على وجه الخصوص فكم من دماء حقنت، وأنفس أسلمت بسبب وفائه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -كما رأينا- يتنازل عن كتابة البسملة كاملة في أول العهد، ويتنازل عن كتابة وصف نفسه بالرسالة، ويَقبَلُ أن يعود من هذا العام فلا يطوف بالبيت، ويقبل أن يرُدَّ من جاءه مسلماً من أهل مكة إذا طلب أولياءه ذلك.. بل ويتفاقم الأمر جداً عندما يأتي أبو جندل بن سهيل بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وهو في حالة شديدة من الإعياء والإجهاد والمعاناة يطلب النصرة من المسلمين، فيطلبه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من سهيل بن عمرو - وهو أبو أبي جندل- فيرفض سهيل، ويعلق نجاح المفاوضات بكاملها على أخذ لهذا الفتى المسلم المعذب، وأمام مخاطر فشل المعاهدة يوافق رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أجل أن يتم الصلح برغم كل ما نراه من أزمات ومعوقات، وبرغم اعتراض كثير من الصحابة، وفي مقدمتهم عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ...إنه يكفي للدلالة على هذا الوفاء في الصلح أن نذكر بعد ذلك قصة أبي بصير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فعندما سمع رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قول الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ويل أمه مسعر حرب لو كان له أحد» أدرك أن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيرده إلى المشركين لكي لا تشتعل الحرب، فخرج من المدينة مسرعاً، حتى أتى منطقة سيف البحر، وعسكر هناك، وبدأ يقطع الطريق على قوافل قريش، وقريش لا تقدر عليه، ولا تستطيع أن تلوم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه ليس تحت سيطرته، وسمع بمكانه آخرون في مكة، فقرروا أن يلتحقوا به ليكونوا له عوناً على قطع قوافل مكة، فلحق به أبو جندل سهيل بن عمرو، ولحق به عدد من المسلمين الذين لا يستطيعون اللحاق بالمدينة لشروط المعاهدة، ولا يستطيعون البقاء في مكة لتعذيب الكفار لهم، وازدادت حدة الصدام بشدة بين هذه المجموعة المسلمة وبين قوافل قريش...

حتى اضطرت قريش أخيراً إلى أن تذهب إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وترجوه أن يلحق هؤلاءبه، فإنه قبل ذلك، وضمهم اليه رحمة بهم .

إن المصلحة المترتبة على الوفاء بالعهد في هذا الصلح هي ما ظهر من ثمراته الباهرة، وفوائده المتظاهرة التي كانت عاقبتها فتح مكة وإسلام أهلها كلهم، ودخول الناس في دين الله أفواجاً.

وذلك أنهم قبل الصلح لم يكونوا يختلطون بالمسلمين، ولا تظهر عندهم أمور النبي كما هي، ولا يخلون بمن يعلمهم بها مفصلة، فلما حصل صلح الحديبية اختلطوا بالمسلمين، وجاءوا إلى المدينة وذهب

المسلمون إلى مكة، وخلوا بأهلهم وأصدقائهم وغيرهم ممن يستنصحونه، وسمعوا منهم أحوال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعجزاته الظاهرة وأعلام نبوته المتظاهرة، وحسن سيرته، وجميل طريقته، وعاينوا بأنفسهم كثيراً من ذلك، فمالت نفوسهم إلى الإيمان، حتى بادر خلق منهم إلى الإسلام، قبل فتح مكة، فأسلموا بين صلح الحديبية وفتح مكة، وازداد الآخرون ميلاً إلى الإسلام، فلما كان يوم الفتح أسلموا كلهم، لما كان قد تمهد لهم وممن سبق بإسلامه الفتح خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة وغيرهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، وكانت العرب من غير قريش في البوادي ينتظرون بإسلامهم إسلام قريش، فلما أسلمت قريش أسلمت العرب في البوادي(1).

فأقبل الناس على هذا الدين في ظل هدنة الحديبية لأمنهم عن الحرب والدليل على ذلك كما يقول الزهري: أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة ثم خرج في عام الفتح في عشرة آلاف(2).



---

(1) انظر: القسطلاني: المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ج١، ص٥٠٢.

(2) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٤، ص٢٧٣.

٥- إسلام الأعرابي الذي طلب منه مالاً

كان جوده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مضرب المثل، فلم يعرف العرب في تاريخهم رجلاً أكرم منه عليه الصلاة والسلام، إذ كان يؤثر على نفسه، ولا يلتفت إلى الدنيا وهذا غاية الكرم والسخاء...

فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «ما سئل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، قال: فجاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع إلى قومه، فقال: يا قوم أسلموا، فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة» (١).

وفي رواية أخرى عن أنس: «أن رجلاً سال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غنماً بين جبلين، فأعطاه إياهُ فأتى قومه، فقال: أي قوم! أسلموا، فوالله إن محمداً ليعطي عَطَاءً ما يخافَ الفقر. فقال أنس: إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها» (٢).

---

(١) النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئاً قط فقال: لا وكثرة عطائه، ص٧٢، ح(٥٩٧٤-٥٧).

(٢) المصدر نفسه: كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئاً قط فقال: لا وكثرة عطائه، ج١٥، ص٧٢، ح(٥٩٧٤-٥٧).

ومن أجل المواقف عطاياه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يوم حنين، والذي يدل دلالة واضحة على عظيم كرم رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فقد غنم صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ هو وأصحابه مغانم -في هذا اليوم- فاقت الوصف كثرة، حتى إن جبير بن مطعم أثناء عودته من حنين قال: علقت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ الأعراب يسألونه، حتى اضطروه إلى سمرة، فخطفت رداءه، فوقف رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فقال: « أعطوني ردائي، لو كان عدد هذه العِضَاه نَعَماً لَقَسمْتُه بينكم، ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذوباً، ولا جباناً»[1]، فلم يكتنز رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ الأموال لنفسه، ويوزع الفتات القليل منها على جنوده، ولكنه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يعلم جيداً أن المال وسيلة وليست غاية، فاستخدمه في تأليف قلوب زعماء مكة كأبي سفيان وحكيم بن حزام، والحارث بن هشام أخو أبي جهل، والنضير بن الحارث الذي كان من ألدّ[2] أعداء رسول الله، وكما أعطى زعماء القبائل من الأعراب كعيينة بن حصن زعيم قبيلة بني فزارة، والأقرع بن حابس زعيم بني تميم وغيرهم[3]

---

(١) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب الشجاعة في الحرب والجبن، ج٣، ص٥٣٥، ح(٢٨٢١).

(٢) ألدّ: الخصم الجدل الشحيح الذي لا يزيغ إلى الحق. الزبيدي: تاج العروس، باب لدد، ج٩، ص١٣٨.

(٣) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان، ج٣، ص٤٠٣، ح(٤٣٣٦).

فكان جوده وكرمه سبباً من أسباب رسوخ الإسلام في قلوب هؤلاء، وغدت كلمة أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خير دليل على حالهم: « إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها »[1].



(١) النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئاً قط فقال: لا وكثرة عطائه، ج١٥، ص٧٢، ح(٥٩٧٥-٥٨).

الفصل الثالث

العفــو والمــنّ والصفــح

وفيه مبحثــان:

- المبحث الأول: عفوه عمّن أساء.
- المبحث الثاني: المنّ والعفو عن الأسارى.

المبحث الأول

عفـــوه عمـــن أســـــاء

وفيــــــــه:

- التمهيـــــــــــــد.
- المطلب الأول: العفو عن عمير بن وهب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
- المطلب الثاني: العفو عن الأعرابي الذي أراد قتله.
- المطلب الثالث: العفو عن أهل مكة.
- المطلب الرابع: العفو عن بعض من هجاه من الشعراء.
- المطلب الخامس: العفو عن شيبة بن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

* * * ** * * *

تمهيـــد

لقد كان لحلمه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعفوه من الأثر في جذب الناس إلى الإسلام والتسليم برسالته ونبوته، ومفارقة قراباتهم الذين غلبت عليهم شقوتهم، أو الذين لم تنشرح صدورهم للإسلام بعد، مع علمهم بما سينالونه من الإيذاء والعداوة والبغضاء، من أقوامهم خاصة ومن الناس عامة، فلم يمنعهم ذلك عن الدخول في الإسلام والتضحية بالنفس، والنفيس من أجله، لما رأوا في رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من دلائل الصدق وعظيم الأخلاق مالم يعهدوا مثله، وكان حلم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسرع أثراً، وأوضح دلاله على ما للأخلاق الكريمة من ثمرات إيجابية كبيرة.

وقد كان عفوه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قائماً على منهج اتخذه لنفسه، وهو إسقاط حق نفسه عن المؤاخذة مهما كانت الإساءة، ولا يقوم إلا لحق الله تعالى، قالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا :« ما ضرب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئاً قط بيده، ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله عَزَّ وَجَلَّ »[1].

---

(١) النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، كتاب الفضائل، باب مباعدته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للآثام، واختياره من المباح أسهله، وانتقامه لله عند انتهاك حرماته، ج١٥، ص٨٢ ح(٦٠٠٤-٧٩-٦).

فإن هذا الحديث يدل على أنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقدم العفو والصفح فيسقط حق نفسه عمن يؤذيه في حياته، ولم يصبح مهتماً إلا بدين الله عَزَّ وَجَلَّ وحرماته، فإنه لا يتهاون فيها إذا انتهكت أو أهملت.

وهذا المنهج هو الذي دلت عليه الوقائع التاريخية في حياته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدعوية، حيث برز فيها عفوه حتى عن أعدائه فتحولت تلك العداوة إلى محبة ومودة والدخول في الإسلام، اعتزازاً به ورغبة فيه، وسوف يتضح لنا ذلك من خلال بعض الوقائع التاريخية الدالة على ذلك.



المطلب الأول: العفو عن عمير بن وهب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1]

انتهت معركة بدر بالانتصار الحاسم للمسلمين، الذي تدهورت له سمعة قريش العسكرية والسياسية في بلاد العرب.

ففي مكة انطوى أهلها على أنفسهم، يندبون قتلاهم، ويداوون جراح قلوبهم، بعد أن مرغت الهزيمة كبرياءهم وجدعت أنف غرورهم، ولكنهم مع هذا لم يستكينوا فبعد أن أفاقوا من هول الصدمة أخذوا يواصلون الاجتماعات، ويعقدون اللقاءات للنظر في الطريقة التي يغسلون بها عار الهزيمة التي أنزلها المسلمون بهم، والتي لم تزدهم إلا حقداً على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبغضاً للإسلام.

فإن كان انتصار المسلمين في غزوة بدر عَزز مركزهم في المدينة أكثر من أي وقت مضى، حيث أصبحت وما حولها خاضعة لنفوذهم، إلا أنهم أصبحوا أكثر من ذي قبل عرضة لشتى الدسائس والمؤامرات

---

(١) هو عمير بن وهب بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح، يكنى أبا أمية، كان له قدر وشرف في قريش، وشهد بدراً كافراً، وكان من أبطال قريش وشيطاناً من شياطينها، وهو الذي مشى حول عسكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من نواحيه ليحزر عددهم يوم بدر، وأسر ابنه وهب بن عمير يومئذ، أسلم بعد وقعة بدر، وشهد أحداً مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعاش إلى صدر خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انظر: ابن عبدالبر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص٥٨٤.

والاستفزازات، حيث كانت مكة ضدهم تغلي كالمرجل، تهدد وتتوعد حيث أعلنت التعبئة العامة لغسل عار الهزيمة بغزو محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عقر داره.

بل لقد بلغ الغيظ والحقد إلى أبعد من هذا، فقد قرر بعض زعماء مكة اختصار الطريق للتخلص من النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدبّر مؤامرة لاغتياله في المدينة.

وقد اختار لتنفيذ هذه المؤامرة الخطيرة فارساً من فرسان قريش المشهورين بعدائهم الشديد وبغضهم العارم للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودينه، وهو عمير بن وهب الجمحي، الذي زاده كرهاً للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحقداً عليه أن أسر المسلمون ابنه وهباً يوم بدر.

فقد اتفق مع صفوان بن أمية الذي قُتل أبوه وأخوه يوم بدر على أن يقوم باغتيال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المدينة[١].

لقد جلس صفوان بن أمية مع عمير بن وهب في الحِجر عند الكعبة بعد مصاب أهل بدر بيسير، وكان عمير بن وهب شيطاناً من شياطين قريش، وممن كان يؤذي رسول الله وأصحابه ويلقون منه عناء وهم بمكة، وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر، فتذاكرا أصحاب القليب[٢] ومصابهم، فقال صفوان: والله مافي العيش بعدهم

---

(١) انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص٥٨٢.

(٢) القليب: البئر. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، فصل القاف، ص١٢٧.

خير، قال له عمير: صدقت والله، أما والله لولا دين عليَّ ليس له عندي قضاء وعيالي أخشى عليهم الضيعة بعدي لركبت إلى محمد حتى أقتله، فإن لي فيهم علَّه، ابني أسير في أيديهم، فقال: عليَّ دينك أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا، لا يسعني شيء ويعجز عنهم، فقال له عمير: فاكتم عليَّ شأني وشأنك قال: سأفعل، ثم أمر عمير بسيفه فشحذ له وسُمّ، ثم انطلق حتى قدم المدينة، فبينما عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر ويذكرون ما أكرمهم الله به وما أراهم في عدوهم، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب وقد أناخ على باب المسجد متوشحاً السيف فقال: هذا عدو الله عمير بن وهب ما جاء إلا لشر، وهو الذي حرش بيننا، وحزرنا للقوم يوم بدر، ثم دخل عمر على رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فقال: يا نبي الله، هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه، قال: فأدخله علي » قال: فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه، فلببه بها، وقال لمن كان معه من الأنصار: ادخلوا على رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فاجلسوا عنده، واحذروا عليه من هذا الخبيث فإنه غير مأمون، ثم دخل به على رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فلما رآه رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وعمر آخذ بحمالة سيفه في عنقه، قال: أرسله يا عمر، ادن يا عمير، فدنا ثم قال: أنعموا صباحاً، وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم، فقال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: « قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير، بالسلام، تحية أهل الجنة قال: أما والله يا محمد إن كنت

بها لحديث عهد، قال: فما جاء بك يا عمير، قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه، قال: فما بال السيف في عنقك؟ قال: قبّحها الله من سيوف! وهل أغنت عنا شيئاً؟ قال: أصدُقني ما الذي جئت له؟ قال: ما جئت إلا لذلك، قال: بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحِجْر فذكرتما أصحاب القليب من قريش، ثم قلت: لولا دين عليَّ وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمداً، فتحمَّل لك صفوان بن أمية بدينك وعيالك على أن تقتلني له، والله حائل بينك وبين ذلك.

فقال عمير: أشهد أنك رسول الله، قد كنا يا رسول الله نكذّبك، بما كنت تأتينا به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام، وشهد شهادة الحق، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ « فقهوا أخاكم في دينه، وعلموه القرآن، وأطلقوا أسيره »[1].

وكانت النتيجة العظمى تجاه هذه المعاملة الحسنة من رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بالعفو والتجاوز عنه رغم أنه جاء لقتله بل وأطلق ولده الأسير، وهكذا فشلت المؤامرة الخبيثة، وبدلاً من أن يعود بطلها إلى

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص٥٨٣؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٣، ص٣١٣؛ المقريزي: إمتاع الأسماع، ج١، ص١١٨؛ أكرم العمري: السيرة النبوية، ص٢٩؛ الصلابي: السيرة النبوية، ص٤٣٥؛ أحمد الحداد: أخلاق النبي في القرآن والسنة، ج٢، ص٦٠٠.

مكة مبشراً رؤوس الكفر بقتل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عاد إليهم مسلماً، يتحدى مكة كلها بإسلامه، فقد جاهر أهل مكة بأنه قد أسلم، وكان شجاعاً مهيباً، ولذلك لم يجرؤ أحد من أشراف مكة على التعرض له عندما قام يدعو إلى الإسلام علناً في مكة، حيث كان من المحظور التظاهر بالإسلام فضلاً عن الدعوة إليه وخاصة بعد معركة بدر.

قال ابن كثير في تاريخه[1]: إن عمير هذا بعد أن هداه الله للإسلام استأذن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في العودة إلى مكة ليكون داعياً إلى الإسلام قائلاً: « يا رسول الله، إني كنت جاهداً على إطفاء نور الله شديد الأذى لمن كان على دين الله، وأنا أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام لعل الله يهديهم، وإلا آذيتهم في دينهم كما كنت أوذي أصحابك في دينهم ».

لقد كان حلمه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعفوه عن عمير رغم عزمه على قتل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واستعداده لذلك مع ما رأى من دلائل النبوة حيث أخبره رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأمر لم يطلع عليه إلا هو وصفوان بن أمية مما دفعه للمسارعة لإعلان إسلامه بين يدي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج٣، ص٢١٤؛ ابن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص٥٨٤.

المطلب الثاني: العفو عن الأعرابي الذي أراد قتله

لما كان-عليه الصلاة والسلام-في غزوة قبل نجد تُسمَّى غزوة (ذات الرقاع)[(١)]، أدركته القائلة[(٢)] في واد كثير العضاة[(٣)]، فنزل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتفرَّق الناس في العضاة يستظلون بالشجر، ونزل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحت سمرة[(٤)]، فعلق بها سيفه، يقول جابر بن عبدالله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا[(٥)]: فنمنا نومة ثم إذا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعونا،

---

(١) وكانت في السنة الرابعة من الهجرة، وسميت بذلك؛ لأنهم كانوا يعصبون الخرق على أرجلهم لما نقبت أقدامهم وسقطت أظفارهم، وقيل غير ذلك، انظر: السهيلي: الروض الآنف، ج٣، ص٢٥٣.

(٢) القائلة: وسط النهار وشدة الحر، ابن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة ذات الرقاع، ج٧، ص٥٣٣ ح(٤١٣٥).

(٣) العضاة: كل شجر شوك، الواحدة عضاهة، وهي ما عظم، وما صغر من الشوك، فهو العض، وفي الشوك الضهياء، والقتاد، والغاف، والضال، والعتم، والرند، والعزب، والشوحط، والشريان، والشقب، والسراء، والنشم، والعجرم، والإسحل، والتالب، والغرف. أبو إسحاق الحربي: إبراهيم بن إسحاق، غريب الحديث، (تحقيق: سليمان إبراهيم العايد، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٥هـ/)، باب عضه، ج٣، ص٩٢٦.

(٤) سمرة: أي شجرة كثيرة الورق، المصدر نفسه، ج٧، ص٥٣٣، ح(٤١٣٥).

(٥) هوجابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام بن سلمة الأنصاري، أحد المكثرين عن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، منعه أبوه من شهود بدر وأحد، وقتل أبوه في أحد، فشهد ما بعدها، يروي كثيراً من أحاديث المعجزات، مات بالمدينة بعد السنة السبعين. ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص٢١٤.

قال: فجئناه، فإذا عنده أعرابي جالس، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن هذا اخترط سيفي[1]، وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتاً[2]، فقال لي: من يمنعك مني؟ قلت: الله، فها هو ذا جالس، ثم لم يعاقبه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »[3].

وفي رواية أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له: من يمنعك مني؟ فقال: كن خير آخذ، قال: أتشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله » قال: لا، غير أني لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك فخلى سبيله، فجاء إلى قومه فقال لهم: جئتكم من عند خير الناس[4].

الله أكبر ما أعظم هذا الخلق وما أكبر أثره في النفس! أعرابي يريد قتل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم يعصمه الله منه، ويمكنه من القدرة على قتله، ثم يعفو عنه، إن هذا لخلق عظيم وصدق الله العظيم إذ يقول

---

(١) اخترط سيفي: أي سله من غمده، المصدر السابق، ج٧، ص٥٣٣، ح(٤١٣٥).

(٢) صلتا: بفتح الصاد، وسكون اللام، أي مجرداً من غمده . المصدر نفسه، ج٧، ص٥٣٣، ح(٤١٣٥).

(٣) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب الجهاد، باب من علَّق سيفه بالشَّجَر في السَّفَرِ عند القائلة، ج٢، ص٥٦٦-٥٦٧، ح(٢٩١٠)؛ النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة الخوف، ج٦، ص٣٦٧، ح(١٩٤٦-٣١١/٨)؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٢، ص٢٤٩.

(٤) الإمام أحمد: المسند، ج٣، ص٣٦٥، ح(١٤٣٣٥)، الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص٢٩.

للنبي: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[(1)]، وهذا الخلق الحكيم قد أثر في حياة الرجل، وأسلم بعد ذلك، فاهتدى به خلق كثير[(2)].



---

(١) سورة القلم، آية: ٤.

(٢) انظر: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة ذات الرقاع، ج٧، ص٥٣٣، ح(٤١٣٥)، النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة الخوف، ج٦، ص٣٦٧، ح(١٩٤٦- ٣١١/ ٨) وذكر ابن حجر والنووي في هذا الموضع أن اسم الأعرابي: غورث بن الحارث.

المطلب الثالث: العفو عن أهل مكة

لقد كان لأخلاقه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ العظيمة أثر بالغ في جذب الناس إلى الإسلام، تبيَّن ذلك من عامة أخلاقه، ولاسيما في حلمه وعفوه وصفحه عن كثير من الناس في مواقف كثيرة ومناسبات عديدة، فكانت عظمة أخلاقه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ سبباً مباشراً في إسلامهم وهدايتهم، وما كان لهم أن يسلموا لو لم يتأثروا بتلك الأخلاق العظيمة، وذلك لما كانوا عليه من النفور والإباء والحمية الجاهلية، فكانت معاملته لهم بتلك الأخلاق مفتاح هدايتهم[1].

ومن أشهر مواقفه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في العفو والصفح ما قام به عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ من العفو عن أهل مكة.

فإن الكلمات الخالدة التي قالها الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لأهل مكة يوم فتحها ينبغي أن تكتب بماء من ذهب، فهي إنما تنبئ عن معدن نفيس نقيٍّ غاية النقاء.

قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: « ما تقولون وما تظنون؟ قالوا: نقول: ابن أخ، وابن عم، حليم، رحيم، فقال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: أقول كما قال يوسف: ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ

---

(١) أحمد الحداد، أخلاق النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في القرآن والسنة، ج٣، ص١٤٣٥.

ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[1]، قال: فخرجوا كأنما نشروا من القبور، فدخلوا في الإسلام»[2].

وبهذا البيان التاريخي العظيم أصدر النبي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عفواً عاماً عن كل الذين ناصبوه العداء، وحاربوه طويلاً، وكان قادراً على أن يذيقهم العذاب ألواناً، ولكنه قَدِر فعفا، فحل العفو من النفوس، محل البلسم من الجراح الأليمة، وهدأت بذلك النفوس المتوترة، وسكنت القلوب الواجفة، وساد الناس الحب والبر والوفاء، وكانت هذه المعاملة الرحيمة الحانية الكريمة التي عامل بها الرسول الظافر المنتصر على قومه المنهزمين، سبباً في إسراع أهل مكة رجالاً ونساءً وأحراراً وموالي إلى الإسلام طواعية واختياراً، وبدخول مكة تحت راية الإسلام دخل الناس في الإسلام أفواجاً[3]، وبايع الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الناس جميعاً الرجال والنساء، والكبار والصغار فأخذ عليهم البيعة على الإسلام والسمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوه[4] عدا أفراد صدرت منهم جرائم ضد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والإسلام فهربوا ثم رجعوا بعد إرسال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العفو عنهم فأسلموا وكان من أبرز أولئك:

---

(١) سورة يوسف: آية (٩٢).

(٢) البيهقي: دلائل النبوة، ج٥، ص٥٧-٥٨.

(٣) الوكيل، محمد السيد، تأملات في سيرة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (ط١، دار المجتمع، جدة، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م)، ص٢٦٢.

(٤) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٦٢.

۞ ١- عبدالله بن سعد بن أبي سرح[١] :

عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان عبدالله بن سعد بن أبي سرح يكتب لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأزله الشيطان، فلحق بالكفار، فأمر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقتل يوم الفتح، فاستجار له عثمان، فأجاره رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٢].

وعن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: لمَّا كان يوم فتح مكة اختبأ عبدالله بن سعد بن أبي سرح عند عثمان بن عفان، فجاء به حتى أوقفه على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله بايع عبدالله، فرفع رأسه، فنظر إليه ثلاثاً، كل ذلك يأبى، فبايعه بعد الثلاث، ثم أقبل على أصحابه فقال: « أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رآني كففت يدي عن بيعته فيقتله؟ فقالوا: ما ندري يا رسول الله

---

(١) هوعبد الله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث بن حبيب بن جذيمة بن نصر بن مالك ابن حسل بن عامر بن لؤي القرشي العامري، يكنى: أبا يحيى، أسلم قبل الفتح، وهاجر، وكان يكتب الوحي لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم ارتدّ مشركاً وصار إلى قريش بمكة، فقال لهم: إني كنت أصرف محمداً حيث أريد، كان يملي عليَّ عزيز حكيم، فأقول: « أو عليم حكيم، فيقول: نعم، كل صواب » انظر: ابن عبدالبر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص٤٥٨، ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص٦١٠؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص٨٨.

(٢) الإمام أبي داود: سنن أبي داود، كتاب الحدود، باب الحكم فيمن ارتد، ج٥، ص٨٣ ح(٤٣٥٨).

ما في نفسك، ألا أومأت إلينا بعينك قال: إنه لا ينبغي لنبيّ أن تكون له خائنة الأعين »[1].

فقد كان لعفو النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عن عبدالله بن أبي سرح الأثر الواضح في حياته رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، فقد حسن إسلامه بعد ذلك، وهو أحد العقلاء الكرماء من قريش، وقد ولاه عثمان بعد ذلك مصر كلها، وشارك رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ في ثلاث معارك كبرى:

معركة أفريقية، ومعركة ذات الصواري، ومعركة الأسود من أرض النوبة. وأبلى فيهن بلاء حسناً، ودعا عبدالله بن سعد فقال: «اللهم اجعلْ خاتمة عملي الصلاة». فصلى الصبح فقرأ في الركعة الأولى بأم القرآن والعاديات، وفي الثانية بأم القرآن وسورة، وسلم عن يمينه، ثم ذهب يسلم عن يساره فتوفي رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ وأرضاه[2].

---

(١) الإمام أبي داود: سنن أبي داود، كتاب الحدود، باب الحكم فيمن ارتد، ج٥، ص٨٣ ح(٤٣٥٩).

(٢) ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص٦١٠.

۞ ٢- عكرمة بن أبي جهل[(١)]:

كان عكرمة من أشد أعداء رسول الله ﷺ في الجاهلية، وقد شرب العداوة جُلّ هذه المدة الطويلة من أبيه فرعون هذه الأمة وألدَّ أعداء الإسلام أبي جهل.

وهرب يوم فتح مكة فلحق باليمن، ولحقت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام[(٢)]، تبحث عنه حتى وصلت إليه وقالت له: « يا ابن عم، قد جئتك من عند أَوْصَلِ الناس، وأبرِّ الناس، وخير الناس... لا تُهلك نفسك، إني استأمنت لك محمداً ﷺ ». فقال لها: أنت قلت هذا؟ قالت: نعم[(٣)].

وقال ﷺ لأصحابه -قبل قدوم عكرمة عليه- كلمات

---

(١) هوعكرمة بن أبي جهل بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم القرشي، كان كأبيه من أشد الناس على رسول الله ﷺ، أسلم عام الفتح. انظر: ابن عبدالبر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص٥٢٤، ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص٢٦٩؛ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص٥٣٨.

(٢) هي: أم حكيم بنت الحارث بن هشام، زوج عكرمة بن أبي جهل، ابن عمها، أسلمت يوم الفتح، واستأمنت النبي ﷺ لزوجها عكرمة، وكان عكرمة قد فرّ إلى اليمن وخرجت في طلبه فردته حتى أسلم ولبث على نكاحها. ابن عبدا لبر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص٩٢٨.

(٣) الصالحي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد،، ج٥، ص٣٧٧.

جميلة.. قال: « يأتيكم عكرمة بن أبي جهل مؤمناً مهاجراً، فلا تسبوا أباه، فإن سب الميت يؤذي الحي، ولا يبلغ الميت»[1].

أي أخلاق كريمة وهبها اله لرسوله؟! لقد كان أبو جهل فرعون هذه الأمة في شدة عداوته وأذاه للمسلمين، ومع ذلك فالرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمر الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بألا يلعنوا أبا جهل أمام ابنه عكرمة، لكي لا يؤذوا مشاعره.

ودخل عكرمة بن جهل مكة المكرمة، ومن بعيد رآه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فماذا فعل؟!

هل تذكر أبا جهل؟ هل استعاد بذاكرته الغزوات التي شارك فيها عكرمة صادًّا عن سيبل الله؟! هل نظر إلى حالة الضعف والهوان الشديد التي جاء بها عكرمة، فأراد أن يُلقنُه درساً يعرف به قوة الدولة الإسلامية؟!

إنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يفعل أياً من هذه الأمور المتوقعة من أي سياسي!!

لقد وثب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى عكرمة وما عليه رداء فرحاً به، وجلس عكرمة بين يدي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال: يا محمد، إن هذه أخبرتني بأنك أمنتني!

---

(١) المصدر نفسه، ج٥، ص٣٧٧.

فقال الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: « صَدَقت فأنت آمن »

وقال عكرمة: إلام تدعو يا محمد؟

فقال له: أدعو إلى أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتفعل وتفعل حتى عد خصال الإسلام.

فقال عكرمة: ما دعوت إلا إلى الحق وأمر حسن جميل!!

قد كنت والله فينا تدعو إلى ما دعوت إليه، وأنت أصدقُنا حديثاً، وأبرُّنا بِرًّا، فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبدالله ورسوله[1].

وفي لحظة واحدة انتقل عكرمة من معسكر الكفر إلى معسكر الإيمان!!

ووهب حياته للجهاد في سبيل الله سواء في حروب الردة، أو في فتوح الشام، حتى قتل شهيداً في اليرموك[2].

فأنظر كيف بدل الله عَزَّوَجَلَّ حياته كاملة بحسن معاملة الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وعفوه عنه وبتأمينه إياه، وبغفرانه له كل التاريخ الأسود

---

(١) الواقدي: المغازي ص٥٧٢؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ج٥، ص٣٧٣.

(٢) ابن عبدالبر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص٥٢٤.

الذي كان له مع المسلمين، وصدق رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القائل: «لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم »[1].

۞ ٣- العفو عن صفوان بن أمية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[2]:

صفوان بن أمية بن خلف كان من أكبر سادات المشركين وأشدهم عداوة لرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو الذي شجع خطة اغتيال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. في المدينة بعد معركة بدر، وحرض عمير بن وهب أحد شياطين قريش وشجعها بتنفيذها، غير أن المحاولة فشلت وأسلم عمير بن وهب في المدينة بعد أن أخبره الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما دار بينه وبين صفوان في حجر الكعبة، ولم يكن صفوان بن أمية من المطلوبين الذين أهدر الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دماءهم إلا أنه لشعوره بعظيم ما كان يرتكب من آثام في الجاهلية في

---

(١) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ج٣، ص١٧٠ ح(٣٧٠١).

(٢) هوصفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي الجمحي، وأمه أيضاً جمحية، يكنى أبا وهب، وقيل: يكنى، أبا أمية، وهما كنّيتان له مشهورتان، قتل أبوه أمية بن خلف ببدر كافراً، وقتل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمه أبي خلف بأحد كافراً طعنه فصرعه، فمات من جرحه ذلك، وهرب صفوان يوم الفتح، ثم رجع إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فشهد معه حنيناً والطائف وهو كافر وامرأته مسلمة، أسلمت يوم الفتح قبل صفوان بشهر، ثم أسلم صفوان فأقرهما رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على نكاحهما، ابن عبدالبر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص٣٦٥ .

حق النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لم يطمئن على حياته، فخاف القتل، فهرب من مكة يوم الفتح يريد جُدة ليركب منها إلى اليمن، فقال عمير بن وهب: يا نبي الله إن صفوان بن أمية سيد قومه، وقد خرج هارباً منك، ليقذف نفسه في البحر، فأمنه، صلى الله عليك، قال: « هو آمن » قال: يا رسول الله، فأعطني آية يعرف بها أمانك، فأعطاه رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عمامته التي دخل فيها مكة، وخرج بها عمير حتى أدركه وهو يريد أن يركب في البحر، فقال: يا صفوان، فداك أبي وأمي، الله الله في نفسك أن تهلكها، فهذا أمان من رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قد جئتك به، قال: ويحك، أغرب عني فلا تكلمني، قال: أي صفوان، فداك أبي وأمي، أفضل الناس، وأبر الناس، وأحلم الناس، وخير الناس، ابن عمك، عزه عزك، وشرفه شرفك، وملكه ملكك، قال: إني أخافه على نفسي قال: هو أحلم من ذاك وأكرم فرجع معه، حتى وقف به على رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فقال صفوان: إن هذا يزعم أنك قد أمنتني، قال: صدق، قال: فاجعلني فيه بالخيار شهرين، قال: «أنت بالخيار فيه أربعة أشهر»[1].

ثم إن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ تعامل مع صفوان بن أمية بكل ثقة ولمَّا خرج إلى حنين استعار منه أدرعاً وسلاحاً على سبيل العارية،

---

(١) الواقدي: المغازي، ص٥٧٤؛ ابن هشام: السيرة النبوية، ج٤، ص٣٥٣؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٢، ص٣١٢؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ج٥، ص٣٤٩،

وخرج صفوان وشهد حنين وأعطاه رسول الله من غنائم حنين مالاً كثيراً مما قوى جسر المحبة والثقة واستمال قلبه فأسلم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صادقاً طائعاً مختاراً، وكان ذلك العفو والتسامح هو جسر المودة والرغبة في الإسلام.

۞ ٤- العفو عن هند بنت عتبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[١]:

في موقعة بدر الكبرى قَتَل حمزة بن عبدالمطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عتبة بن ربيعة (والد هند) ، وشيبة بن ربيعة (عمها)، وأيضاً قُتِل في هذه المعركة أخوها (الوليد بن عتبة)[٢] وحزنت عليهم حزناً شديداً، وراحت ترثيهم مر الرثاء.

وكانت من أشد المشركين كرهاً للإسلام والمسلمين، وفي يوم أحد خرجت مع المشركين من قريش، وهي تحرضهم على القتال، وتقول:

---

(١) هي هند بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ابن عبد مناف، أم معاوية، أسلمت عام الفتح بعد إسلام زوجها أبي سفيان بن حرب بن أمية فأقرهما رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على نكاحهما، وكانت امرأة لها نفس وأنفة، شهدت أحد كافرة، كما شهدت معركة اليرموك بعد إسلامها وتوفيت في خلافة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انظر: ابن عبدالبر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ص٩٢٣.

(٢) الواقدي:المغازي ص٥٧١؛ ابن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص٥٥٢؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ج٥، ص٣٨٠.

نحـــن بنــات طــارق نمشـــي عـــلى الـــنمارق[1]

إن تقبلـــوا نعـــانق أو تـــــدبر نفـــــارق

فــــــراق غيــــر وامــــق[2]

ووقفت هند بنت عتبة، والنسوة اللاتي معها من نساء المشركين يحرضن على القتال ونسب لهن التمثيل بجثث الشهداء ومنهم حمزة مع أن الأخبار في ذلك ليس لها أسانيد يعتمد عليها ومما نسب لها من الشعر قولها:

نحـــن جزينـــاكم بيـــوم بـــدر والحرب بعد الحرب ذات سعر

مـا كـان عـن عتبـة لي مـن صـبر وَلَا أَخِـــي وعَمِّـــهِ وَبِكْـــرِي

شـفيت نفسي- وقضـيت نـذري شفيت وحشي غليل صدري

فشـــكر وحشيـ عـــلى عُمْـــرِي حَتَّـى تـرِم أَعْظُمِـي فِي قَـبْرِي[3]

---

(١) النمارق: "اشتريت نمرقه" أي وسادة، وهي بضم النون والراء وبكسرهما، وبغيرها، وجمعها: نمارق ومنه حديث هند يوم أحد:

نحن بنات طارق نمشي على النمارق

ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، باب النون مع الميم، ج٥، ص١١٨؛ الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص١٧٦١.

(٢) الوامق: المحب. ابن هشام: السيرة النبوية، ج٣، ص٦١.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٣، ص٧٩.

وقد شرح الله صدرها للإسلام يوم فتح مكة عندما أعلن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العفو العام، حيث اجتمع الناس بمكة لبيعة رسول الله على الإسلام وبعد أن بايع االرجال الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بايع النساء فجاء وفدهن فأسلمن وبايعن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان من بينهن: هند بنت عتبة وعرفها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال: إنك لهند بنت عتبة، فقالت: أنا هند بنت عتبة، فاعف عما سلف عفا الله عنك[1]. فعفا عنها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقالت هند بنت عتبة بعد ذلك للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ما كان على ظهر الأرض من أهل خباء[2] أحب إليَّ أن يَذلُّوا من أهل خِبَائِكَ، ثمَّ ما أصبَحَ اليومَ على ظَهر الأرض أهلُ خِباءٍ أحبُّ إليَّ أن يَعِزُّوا من أهل خِبائِك، قال: وأيضاً والذي نفسي بيده[3].

(١) الواقدي: المغازي ص٥٧١؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٣، ص٦٢؛ الصالحي: سبل الهدى الرشاد في سيرة خير العباد، ج٥، ص٣٨٠-٣٨١.

(٢) خباء: بكسر المعجمة وتخفيف الموحدة مع المدهي خيمة من وبرأ وصوف ثم أطلقت على البيت كيف ما كان. ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب ذكر هند بنت عتبة، ج٧، ص١٧٩.

(٣) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب مناقب الأنصار، باب ذكر هند بنت عتبة بن ربيعة، ج٣، ص٢٠٨، ح(٣٨٢٥).

فسرعان ما تحول الكفر إلى الإيمان والبغض إلى محبة ومودة، ولا يكون ذلك إلا بتأثير عظيم رائع من حبيبنا وسيدنا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي استطاع بعفوه وصفحه النبيل أن يلامس هذه القلوب ويزيل ما علق بها من شوائب الكفر والحقد الدفين حتى أعلنت تلك النفوس إسلامها ومحبتها فما أروعه من سلوك أخلاقي جميل انفرد به سيد البشر صلوات الله عليه وسلامه.

۞ ٥- هبار بن الأسود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[1]:

هو الذي عرض لزينب بنت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سفهاء من قريش، حين بعث بها أبو العاص زوجها إلى المدينة فروَّعها هبار بالرمح وهي في هودجها وكانت حاملاً، فلما روعت طرحت ما في بطنها[2] فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إن وجدتم هباراً فأحرقوه

---

(١) هبار بن الأسود بن عبدالمطلب ابن أسد بن عبدالعزى بن قصي القرشي الأسدي، أسلم بعد الفتح، وحسن إسلامه، انظر: ابن عبدالبر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ص٧٣٤.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٣، ص٥٧٧.

بالنار ثم قال: اقتلوه فإنه لا يعذب بالنار إلا رب النار» [1].

وقد وصف الواقدي قصة إسلامه عن طريق محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن جده، قال: كنت جالساً مع النبي صَلَّى ٱللَّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أصحابه منصرفه من الجعرانة، فطلع هبار بن الأسود من باب رسول الله صَلَّى ٱللَّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلما نظر القوم إليه قالوا: يا رسول الله هبار بن الأسود، قال رسول الله صَلَّى ٱللَّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قد رأيته، فأراد بعض القوم القيام إليه، فأشار النبي صَلَّى ٱللَّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن أجلس.

ووقف هبار، فقال السلام عليك يا رسول الله، إني أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، ولقد هربت منك في البلاد وأردت اللحوق بالأعاجم، ثم ذكرت عائدتك وفضلك وبرك وصفحك عمن جهل عليك، وكنا يا رسول الله أهل شرك فهدانا الله عَزَّ وَجَلَّ بك، وأنقذنا من الهلكة فاصفح عن جهلي، وعما كان يبلغك عني، فإني مقر بسوء، فعلى، معترف بذنبي، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « قد عفوت عنك، وقد أحسن الله بك حيث هداك للإسلام والإسلام يجب ما كان قبله »[2].

---

(١) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب الجهاد، باب لا يعذب بعذاب الله، ج٢، ص٦٠٥ ح(١٤٩).

(٢) الواقدي، المغازي ص٥٧٥-٥٧٦، المقريزي، إمتاع الأسماع، ج١، ص٤٠٠، الصالحي: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ج٥، ص٣٤٠.

إنه عفو نبوي وصل إلى أعلى درجاته فهذا هبار بن الأسود الذي يعتبر مسؤولاً عن ما حدث لزينب حين ضربها بالرمح، حتى أسقطت جنينها، وعلى الرغم من ذلك كله وإهدار دمه إلا أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ارتقى في أعلى درجات العفو والتسامح والصفح عن ما أقدم عليه هبار من ذنب شنيع في حق ابنته زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وكانت النتيجة لتلك المعاملة الحانية إسلام هبار بن الأسود، وندمه على ما فعله ندماً شديداً، وقد هداه الله للإسلام وشرح صدره، والإسلام يجب ما قبله كما وضح له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذلك ليطمئن قلبه ويذهب عنه الخوف من تبعة ما عمل في جهله وكفره.

۞ ٦- العفو عن وحشي قاتل حمزة بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

لقد أصيب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أحد إصابات كثيرة من أعدائه اللئام، حيث شجَّوا وجهه الشريف، وكسروا رباعيته في ذلك اليوم، بنفسي هو وبأبي وأمي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومع ذلك راوده أصحابه أن يدعو الله تعالى عليهم فقال: « إني لم أبعث لعَّاناً، ولكني بعثت داعياً ورحمة، اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون »[1].

---

(١) البيهقي، دلائل النبوة، ج٣، ص٢١٤ من حديث سهل بن سعد، وأصله في الصحيحين، البخاري في باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ج٤، ص٢١٤، ومسلم في الجهاد، باب غزوة أحد برقم (١٧٩٢) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كأني أنظر إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحكي نبياً من الأنبياء وضربه قومه، فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون».

والأدهى والأمر في ذلك اليوم كان استشهاد عمه حمزة بن عبدالمطلب[(١)] ووقوفه على جثته وقد قتل فإنه أشق على نفس رسول الله مما أصابه حيث قتله وحشي[(٢)] مولى جبير بن مطعم، بل ومثلوا به رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حيث قطعوا كبده وأنفه، وقطعوا أذنيه، وبقروا بطنه، ولمَّا رأى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حمزة قتيلاً بكى وعندما رأى ما مثّل به شهق[(٣)(٤)].

---

(١) حمزة بن عبدالمطلب بن هاشم عم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقال له: أسد الله، وأسد رسول الله، يكنى: أبا عمارة وأبا يعلى، أسلم في السنة الثانية من المبعث، وكان أخا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الرضاعة أرضعتهما ثويبة، وشهد بدراً وأبلى فيها بلاءً حسناً، وشهد أحد بعد بدر فقتل شهيداً قتله وحشي بن حرب الحبشي مولى جبير بن مطعم بن عدي. انظر: ابن عبدالبر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص٢٠٣.

(٢) وحشي بن حرب الحبشي، مولى جبير بن مطعم بن عدي، يكنى: أبا دسمة وهو الذي قتل حمزة بن عبدالمطلب عم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أحد، وكان يومئذ وحشي كافراً، استخفى له خلف حجر، ثم رماه بحربة كانت معه، وكان يرمي رمي الحبشة فلا يكاد يخطئ، واستشهد حمزة حينئذ، ثم أسلم وحشي بعد أخذ الطائف، وشهد اليمامة ورمي مسيلمة بحربته التي قتل بها حمزة فقتله. انظر: ابن عبدالبر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص٧٤٩.

(٣) شهق: كمتع وضرب وسمع، شهيقاً وشُهاقاً، بالضم، وتشهاقاً، بالفتح: تردَّدَ البكاء في صدره. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص٩٤٥.

(٤) ابن عبدالبر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ص٧٤٩.

وأمكنه الله منهم يوم الفتح العظيم، وقبض على ناصية الجبابرة الطغاة، الذين أمر بإهدار دمائهم وكان من بينهم وحشي بن حرب.

وقد أفرد البخاري في صحيحه[1] باباً أسماه (باب قتل حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ).

وجاء فيه عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري قال: خرجت مع عبيد الله بن عدي بن الخيار، فلما قدمنا حمص، قال لي عبيد الله: هل لك في وحشي نسأله عن قتل حمزة؟ قلت: نعم... إن حمزة قتل طُعَيمة بنَ عَدِيّ بن الخِيار[2] ببدرٍ، فقال لي مولاي جُبَيرُ بن مُطعم: إن قتلت حمزة بعمي فأنت حُر، قال: خرجت مع الناس إلى القتال، فلما اصطفوا للقتال خرج سباع[3] فقال: هل من مُبارز؟ قال: فَخَرَجَ إليه حمزةُ بن عبدالمطَّلِبِ فقال: يا سِباعُ، يا ابن أم أنمار مُقطعة البُظُور[4]، أتُحادّ الله ورسولَه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قال: ثمَّ شدَّ عليه فكان كأمس

---

(١) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب المغازي، باب قتل حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ج٣، ص٣٠٦ ح(٤٠٧٢).

(٢) لم أجده.

(٣) هو سباع بن عبدالعزى الخزاعي، وأمه أم أنصار وكانت تختن النساء بمكة، البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المغازي، باب قتل حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ج٣، ص٣٠٦ ح(٤٠٧٢).

(٤) مقطعة البظور: أي التي تختن النساء، والعرب تقول ذلك في معرض الذم والشتم. المصدر نفسه، ج٣، ص٣٠٧ ح(٤٠٧٢)..

الذّاهب[1]، قال: وكمنت لحمزة تحت صخرة، فلمَّا دنا مني رميته بحربتي، فأضعها في ثنته[2]، حتى خرجت من بين وركيه، قال: فكان ذاك العهد به. فلما رجع الناس رجعت معهم، فأقمت بمكة حتى فشا فيها الإسلام، ثم خرجت إلى الطائف، فأرسلوا إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسلاً، فقيل لي: إنه لا يَهيجُ الرُّسُل[3]، قال: فَخَرَجْتُ معهم حتَّى قدمت على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلما رآني قال: أنت وحْشِي؟ قلت: نعم، قال: « أنت قَتَلْتَ حمزة » قلت: قد كان مَن الأمِر ما بَلَغَكَ، قال: فهل تستطيعُ أنْ تُغَيِّب وجهَكَ عنّي؟ قال: فخرجت[4].

فهذا موقف يتبين لنا فيه كيف كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكظم غيظه فأي كظم للغيظ هذا؟ بل أيّ حلم وعفو هذا الذي يلقى

---

(١) كأمس الذاهب: كناية عن قتله، أي قتله فلحق بالماضي،المصدر نفسه، ج٣، ص٣٠٧، ح(٤٠٧٢).

(٢) ثنته: أي عانته، وقيل: ما بين السرة والعانة، المصدر نفسه، ج٣، ص٣٠٧، ح(٤٠٧٢)؛ ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، باب الثاء مع النون، ج١، ص٢٢٤

(٣) لا يهيج الرسل: أي لا يزعجهم ولا ينالهم بمكروه، المصدر نفسه، ج٣، ص٣٠٧، ح(٤٠٧٢).

(٤) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب المغازي، باب قتل حمزة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ج٣، ص٣٠٦ ح(٤٠٧٣)؛ ابن هشام: السيرة النبوية، ج٣، ص٦٤؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ج٤، ص٣١٩-٣٢٠.

به رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قاتل عمه الأثير وصديقه النصير، وشريكه في الجهاد وكان رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قادراً على أن يثأر لعمه؛ بل كان كثير من الصحابة الكرام ينتظر إشارة من رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فيقتل بها وحشي ليتشفى غيظ نبيه محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لكن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عفى عنه ابتغاء وجه الله تعالى، وفي هذا بيان لأمته أن تتعلم العفو والصفح الجميل الذي كان من أهم آثاره إسلام وحشي بن حرب الذي قتل بحربته التي قتل بها حمزة مسيلمة الكذاب(١) شر عباد الله وكان يقول: قتلت بحربتي هذه خير الناس وشر الناس(٢).



---

(١) مسيلمة الكذاب: مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي، أبو شامة، متنبئ، من المعمرين، وفي الأمثال (أكذب من مسيلمة)، ولد ونشأ باليمامة، في القرية المسماه اليوم بالجبيلة، بقرب (العيينة) بوادي حنيفة، في نجد، وتلقب في الجاهلية بالرحمن، وعُرف برحمان اليمامة، وأخذ يطوف في ديار العرب والعجم يتعلم الأساليب التي يستطيع بها استغفال الناس واستجرارهم لجانبه، وكان مسيلمة يدعي النبوة ورسول الله بمكة، وخلص المسلمون إلى مسيلمة لعنه الله في زمن أبي بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ إذ قتله وحشي بن حرب مولى جبير بن مطعم بحربته فأصابه، وخرجت من الجانب الآخر وسارع إليه أبو دجانة سماك بن خرشة فضربه بالسيف فسقط. الصلابي: الإنشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق، (دار التوزيع، القاهرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)، ص٢٧٢.

(٢) ابن عبدالبر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص٧٤٩.

المطلب الرابع: العفو عن بعض من هجاه من الشعراء

كان الشعراء من الكفار قد ألبوا على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى الإسلام والمسلمين لكن عدداً منهم تراجع لمَّا انتشر الإسلام. ولا غرو أن يفد الشعراء على الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لإعلان إسلامهم وتوبتهم، فإن عفو النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأخلاقه السمحة، وانتصارات المسلمين المستمرة كل ذلك دفع الشعراء إلى الوفود على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإعلان التوبة بين يديه، لعلمهم بأخلاقه وعفوه وتسامحه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع من يرجى إسلامه أو يأتي مسلماً.

واتخذ هؤلاء الشعر وسيلة للوفود على الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والاعتذار إليه، فمدحوا الدعوة وأنصارها وذموا الجاهلية وأمورها في أسلوب مقارنة واضحة، وندم حزين على ما كان منهم من عداء للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودعوته(1).

ومن الشعراء الوافدين على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد فتح مكة:

---

(1) انظر: عبدالله الفالح، الشعر ودوره الدعوي، (رسالة ماجستير، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية)، ص١٠٠.

۞ ١-عبد الله بن الزبعرى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[١] :

وكان قد هرب إلى نجران[٢]، فهجاه حسان ثابت ببيت واحد ما زاد عليه[٣]:

---

(١) هوعبدالله بن الزبعرى بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم، القرشي، السهمي، الشاعر، أمه عاتكة بنت عبدالله بن عمرو بن وهب بن حذافة بن جمح، كان من أشد الناس على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى أصحابه بلسانه ونفسه، وكان من أشعر الناس وأبلغهم، أشعر قريش قاطبة، وأبرعهم شعراً، كان يهاجي حسان بن ثابت وكعب بن مالك، ثم أسلم عبدالله بن الزبعرى بعد أن هرب يوم الفتح إلى نجران، فرماه حسان بن ثابت ببيت واحد ما زاد عليه. انظر: ابن عبدالبر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ص٤٥٠.

(٢) نجران: على وزن فعلان، وهي مدينة عريقة عرفت منذ أن عرف للعرب تاريخ، تتكون من مجموعة مدن صغيرة في وادٍ واحد، ولذا فكلما اندثرت مدينة من تلك المدن حملت الأخرى اسم نجران، وهي وادٍ كبير كثير المياه والزرع، يسيل من السراة شرقاً حتى يصب في الربع الخالي، وتقع على الطريق بين صعدة وأبها، على قرابة (٩١٠) أكيال جنوب شرقي مكة، في الجهة الشرقية من السراة، وتربطها بكل من مكة والرياض وشرورى -في الربع الخالي- طريق معبدة، ولها مطار، وفيها آثار أهمها مدينة الأخدود وما كا يعرف بكعبة نجران، كان قوم أهلها في الجاهلية وصدر الإسلام بنو الحارث بن كعب من مذحج، وقوام أهلها اليوم قبيلة يام الهمدانية، ولها ذكر كثير في السيرة. البلادي، عاتق غيث، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص٣١٤.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٤، ص٣٥٤.

لَا تعْدِمَن رَجُلاً أَحَلَّكَ بغضهُ   نَجْـرَان في عَـيشٍ أَحَـذِّ[1] لئـيم

فلما جاء ابن الزبعرى شعر حسان تأثر، ثم قرر الوفود على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتى جاء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو جالس في أصحابه فلما نظر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليه قال: « هذا ابن الزبعرى، ومعه وجه فيه نور الإسلام، فلما وقف على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: السلام عليكم أَيْ رَسُولِ الله شهدت أن لا إله إلا الله، وأنك عبده ورسوله، والحمد لله الذي هداني للإسلام لقد عاديتك وأجلبت عليك، وركبت الفرس والبعير، ومشيت على قدمي في عداوتك، ثم هربت منك إلى نجران، وأنا أريد ألا أقرب الإسلام أبداً، ثم أرادني الله عَزَّ وَجَلَّ بخير فألقاه في قلبي وحببه إليَّ، وذكرت ما كنت فيه من الضلالة، واتباع مالا ينفع ذا عقل من حجر يعبد، ويذبح له لا يدري من عبده ومن لا يعبده، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « الحمد لله الذي هداك للإسلام إن الإسلام يجُبّ مَا كان قبله »[2].

ثم أنشد:

يـا رسـول المليـك إن لسـاني   راتق[3] ما فتقت[1] إذ أَنَا بُورُ[2]

(١) أَحَذّ: القليل المنقطع وقد يجوز أن يكون معناه في عيش لئيم جداً. ابن هشام: السيرة النبوية، ج٤، ص٣٥٤.

(٢) الواقدي: المغازي، ص٥٧٠؛ انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣، ص٣١٣.

(٣) الراتق: الساد، تقول: رتقت الشيء، إذا سددته. وقال تعالى: ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾.ابن هشام: السيرة النبوية، ج٤، ص٣٥٤.

إذ أَبادي[3] الشيطان في سنن[4] ومـــن مـــال ميلـــه مثبـــور[5]

آمـــن اللحـــم والعظـــام لـــربي ثـــم قلبـــي الشـــهيد أنـــت النـــذير

إننـــي عنـــك زاجـــر ثـــمَّ حَيًّـــا مـــن لـــؤي وكلهـــم مغـــرور[6]

ونلاحظ أن شعره تملؤه العاطفة الصادقة الجياشة المؤثرة، يعلن فيه التوبة والأسى على عدائه للدعوة فيما مضى، ويصف حاله حين ذاك بإتباع الشيطان والجري خلف سنن الغي، ثم يعلن تغلغل الإسلام في كيانه، وسعادته بذلك وإقرار قلبه بكل ما أتى به النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[7].

وقد حرص النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالبيان له أن الإسلام يجب ما قبله حتى يتناسى الماضي الذي كان فيه ويبدأ حياة جديدة في ظلال الإسلام والدعوة إليه.

---

(1) فتقت: يعني في الدين، فكل إثم فتق وتمزيق، وكل توبة رتق، ومن أجل ذلك قيل للتوبة نصوح، من نصحت الثواب إذا خطته، والنصاح الخيط. المصدر نفسه، ج٤، ص٣٥٤.

(٢) بور: هالك. يقال: رجل بور وبائر، وقوم بور، المصدر نفسه، ج٤، ص٣٥٤.

(٣) أبادي: أجاري وأعارض، المصدر نفسه، ج٤، ص٣٥٤.

(٤) السنن: وسط الطريق، المصدر نفسه، ج٤، ص٣٥٤.

(٥) مثبور: هالك. المصدر نفسه، ج٤، ص٣٥٤.

(٦) المصدر نفسه، ج٤، ص٣٥٤.

(٧) عبد الله الفالح، الشعر ودوره الدعوي، ص١٠٠.

۞ ٢- أبو سفيان بن الحارث[(١)]:

كان أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب ابن هاشم القرشي الهاشمي، ابن عم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان أخا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الرضاعة، أرضعته حليمة أيّاماً، فلما بُعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عاداه وهجاه وهجا أصحابه، فمكث عشرين سنة عدواً لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مباعداً للإسلام شديداً على من دخل فيه، ولم يتخلف عن موضع تسير فيه قريش لقتال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما ضرب الإسلام بُجْرانَه بعد صلح الحديبية وتحرك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى مكة عام الفتح قذف الله في قلب أبي سفيان الإسلام

---

(١) هو أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب ابن هاشم، القرشي، الهاشمي، ابن عم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان أخا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الرضاعة، وأمه غزية بنت قيس بن طريف من ولد فهر بن مالك ابن النضر بن كنانة، كان أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب من الشعراء المطبوعين، وكان قد سبق له هجاؤ في رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإيَّاه عارض حسان بن ثابت بقوله:

ألا أبلـــغ أبــــا ســـفيان عنــــي مغلغلـــة فقـــد بـــرح الخفــــاء

هجـــوت محمـــداً فأجبـــتُ عنـــه وعنـــــــد الله في ذاك الجـــــــزاءُ

ثم أسلم فحسن إسلامه، فيقال: إنه ما رفع رأسه إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حياء منه، وكان إسلامه عام الفتح قبل دخول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكة، وشهد مع رسول الله فتح مكة ويوم حنين والطائف هو وابنه جعفر، انظر: ابن عبدالبر، الاستيعاب، ص٨٠٥.

فخرج من مكة مهاجراً فلقي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الطريق ومعه ابنه جعفر بن أبي سفيان مُقنعين، فلما انتهيا إليه قالا:

السلام عليك يا رسول الله، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «اسْفِروا تَعرّفوا ». فانتسبوا له وكشفوا عن وجوههم وقالوا: نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فقال رسول الله: « أي مَطْرَدٍ طردتني يا أبا سفيان، أو متى طردتني يا أبا سفيان؟ قال: لا تثريب يا رسول الله، قال: «لا تثريب يا أبا سفيان» وقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعلي بن أبي طالب: « بَصِّر ابن عمك الوضوء والسنة ورُحْ به إليّ ». فعلمه علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الوضوء ثم راح إلى رسول الله فصلى معه، فأمر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علي بن أبي طالب أن ينادي في الناس: (ألا إن الله ورسوله قد رضيا عن أبي سفيان فارْضَوْا عنه)[1].

فهذا الذي سعى جاهداً بقوله وفعله ضد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والدين الذي جاء به مع قرابته نسباً عندما يأتي مسلماً يعفو عنه رسول الله بل يعلن رضاء الله عنه وينادي بذلك بين المسلمين، مما كان له عظيم الأثر في نفس أبي سفيان بن الحارث فيستحي من رسول الله، ولا يستطيع أن يرفع إليه بصره، ثم كانت له مواقف مشرفة من الثبات يوم حنين مما يؤكد صدق إيمانه وأثر المعاملة النبوية في نفسه.

---

(١) الواقدي: المغازي، ص٥٤٧؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٤، ص٣٧.

وأنشد أبو سفيان أبياتاً يعتذر فيها عن عدائه للدعوة، وَسفّه أعماله حين ذاك ومدح النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال أبو سفيان:

لَعَمـرك إنّي يَـوْمَ أَحْمِـلُ رايَـةً ... لتَغْلبَ خَيْلُ اللاّتِ خيلَ محمدِ

لكـا لِمـدْلجِ الحَـيرانِ أظلَـم ليلُـهُ ... فهذا أواني اليوْمَ أَهْدى واهْتدي

هـداني هادٍ غَير نَفْسي وَدَلّني ... عـلى الله مَـن طـرّدْت كـلّ مُطـرَّدِ

أفِـرُّ وأنـأى جاهـداً عـن محمـدٍ ... وَأَدْعَى وَإنْ لم أنْتَسِبْ بمُحمدٍ[1]

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٤، ص٣٧.

۞ ٣-كعب بن زهير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١]:

بعد فتح مكة ودخول الناس في دين الله أفواجاً، لم يجد من عادى الله وروسوله ملاذاً، وكان منهم كعب بن زهير، فما كان من أخيه بجير بن زهير[٢] وقد هداه الله للإسلام إلا أن بعث رسالة إلى أخيه كعب بن زهير يخبره فيها أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قتل عدداً من الشعراء المعادين للدعوة، وهرب بعضهم، ويدعوه فيها إلى الإسلام وإلى الوفود على رسول الله فإن محمداً لا يقتل أحداً جاءه تائباً، وإن أنت لم تفعل فاهرب واضرب في الأرض وأبعد عن متناول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهرب كعب ولكن ضاقت عليه الأرض بما رحبت،

---

(١) هو كعب بن زهير: بن أبي سلمى واسم أبي سلمى: ربيعة بن رباح المزني من مزينة بن أدّ ابن طابخة بن إلياس بن مضر، كان كعب بن زهير شاعراً مجوداً كثير الشعر، مقدماً في طبقته، هووأخوه بجير وكعب أشعرهما، وأبوهما زهير فوقهما ابن عبدالبر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ص٦٢٦؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٣، ص٥٢٨.

(٢) هو بجير بن زهير بن أبي سلمى واسم أبي سلمى: ربيعة بن رباح بن قرط بن الحارث ابن مازن بن ثعلبة بن ثور بن هدمة بن لاطم ابن عثمان بن مزينة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر المزني، أسلم قبل أخيه كعب بن زهير، وكان شاعراً محسناً هو وأخوه كعب، وأما أبوهما فأحد المبرزين الفحول من الشعراء، وكعب بن زهير يتلوه في ذلك. ابن عبدالبر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ص١٠٧؛ ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص١٩١.

فأجمع الوفود على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معلناً التوبة[1] طالباً الصفح عما كان منه، مادحاً رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومشيداً بمحامد الدعوة، وأتباعها، ومسفهاً أعماله أيام الغواية، وعداء الدعوة، ونظم في ذلك قصيدته اللامية، وأهداها إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث سُرَّ بها[2]، ودعى الناس إلى الإنصات والاستماع لها، لما فيها من معاني الفخر والاعتزاز والمديح للدعوة وأنصارها، كما أن كعب وفِّق في تصوير مشاعر الخوف والوجل، وما ينتظره من خبر صارم لقاء معاداته للدعوة، ثم حديثه عن أخلاق النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المتمثلة في سماحته وعفوه، فإنه من خلال ذلك يغري أعداء الدعوة بأنه يمكنهم تدارك الأمر بالوفود إليه، وإعلان الندم عما كان منهم من عمل معادي.

وبلغ من إعجاب الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقصيدة كعب أن ألقي عليه بردته[3]، وأهداه إياها، لإشعاره بالطمأنينة والأمن والراحة النفسية وكانت نتيجة تلك المعاملة الرائعة والعفو والتسامح النبوي أن الشاعر كعب بن زهير أعلن إسلامه وبذلك حصل مقصود رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال كعب بن زهير في قصيدته الاعتذارية إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والتي مطلعها[4]:

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٤، ص٤٢٤.

(٢) الإمام أحمد: المسند، ج٢١، ص١٨٦.

(٣) المصدر السابق، ج٢١، ص١٨٧.

(٤) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٤، ص٤٣٥؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٤، ص٣٧١؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر في المغازي والسير، ص٣٨٣-٣٨٤.

بَانَت سُعَادُ فَقَلْبِي الْيَومَ مَتبُولُ ... مُتَــيَّم إِثْرَهَــا لم يُفــدَ مكبُــولُ

إلى أن قال:

نبئــت أن رســول الله أوعــدني ... والعفو عند رسول الله مأمول

مهلاً هَدَاك الذي أعطاك نافلة ... القرآن فيها مواعيظ وتفصيل

ثم قال:

إنَّ الرَّسُولَ لنُورٌ يُستَضَاءُ بِهِ ... مُهَنَّدْ مِنْ سَيُوفِ الله مَسْلُولُ

فِي عُصبة منْ قُرَيْش قَالَ قَائِلهُمْ ... بِبَطْنِ مَكَّة لَـمَّا أَسْلَمُوا زُولُوا

زَالوا فَما زَالَ أنْكاسُ ولا كشفُ ... عِنْدَ اللّقَاء ولا مِيلٌ مَعَازيلُ

شُمُّ العَرَانِين أبْطَالٌ لبُوسُهُمُ ... منْ نسجِ داوُدَ في الْهَيْجَا سَرَابيلُ

بيضُ سَوَابغُ قَدْ شُكت لهَا حَلَق ... كأنّها حلقٌ القَفْعَاءِ مجْدَولُ

لَيْسُوا مَفَاريح إنْ نَالَتْ رِمَاحُهُمُ ... قَوماً ولَيْسُوا مجَازيعا إذا نيلُوا

يَمْشَونَ مَشي الجِمَالِ الزُّهْرِ ... ضَرْبُ إذا عَردَ السُّودُ التَّنَابيلُ

لاَ يَقُعُ الطَّعْنُ إلاَّ فِي نُحُورِهِم ... ومَالهُمْ عنْ حِيَاضِ المَوْتِ تهْلِيلُ

وقد خص كعب بن زهير بمدحه المهاجرين من أصحاب رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فغضبت الأنصار عليه ثم إنه تدارك ذلك بقصيدة أخرى خص فيها الأنصار ومدحهم فقال:

مــن سره كــرم الحيــاة فــلا ... في مقنب من صالحي الأنصار

ورثوا المكارم كابراً عن كابر إن الخيــار هــم بنــو الأخيــار

والبــائعين نفوســهم لنبــيهم للمــوت يــوم تعــانق وكــرار[1]

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٤، ص٤٣٥-٤٣٦.

۞ ٤-العفو عن أنس بن زنيم الدِّيلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[١] :

خرج عمرو بن سالم الخزاعي[٢] في أربعين راكباً من خزاعة[٣]

---

(١) هو أنس بن زنيم بن عمرو بن عبدالله بن جابر بن عبد عدي بن الديلي بن بكر بن عبد مناة بن كنانة الكناني الديلي، أهدر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دمه، فلما كان يوم الفتح أسلم أنس وأتى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعتذر إليه مما بلغه، وكلمه فيه نوفل بن معاوية الديلي، وقال: وأنت أولى الناس بالعفو فعفا عنه. ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص١٤٥؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص١١١.

(٢) عمرو بن سالم بن كلثوم الخزاعي، خرج مستنصراً من مكة إلى المدينة حتى أدرك رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأنشد يقول:

يا رب إني ناشد محمداً ... حلف أبيه وأبينا ألا تلدا

إن قريشاً أخلفتك الموعدا ... ونقضوا ميثاقك المؤكدا

وزعموا أن لست تدعوا أحدا ... وهم أذل وأقل عددا

إلى آخر الأبيات، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نصرت يا عمرو بن سالم. ابن عبدالبر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص٥٦٧-٥٦٨.

(٣) خزاعة: بضم الخاء وفتح الزاي المعجمتين وألف ثم عين مهملة وهاء في الآخر وهم: بنو عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن مزبقياء بن مازن بن الأزد، وقال أبو عبيد: وعمر وهذا أبو خزاعة كلها، ومنه تفرقت بطونها، وسموا خزاعة لأن بني مازن بن الأزد لَمَّا تفرقت الأزد من اليمن في البلاد نزل بنو مازن على ماء يقال له غسان، وأقبل بنو عمرو فانخزعوا عن قومهم، فنزلوا مكة، ثم أقبل بنو أسلم ومالك وملكان فانخزعوا عن قومهم أيضاً، فسمي الجميع خزاعة، وكانت =

يستنصرون رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على قريش وبني بكر الذين غدروا بهم وقتلوهم في زمن الحديبية ثم إنهم أخبروا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن أنس بن زنيم الدِّيلي قد هجاك، فأهدر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دمه، فبلغ أنس بن زنيم ذلك، فخاف ثم أرسل إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معتذراً عما بلغه فقال:

أَنْتَ الّذِي تُهْدَى مَعَدٌّ بِأَمْرِهِ ... بَلِ الله يَهْدِيهِمْ وَقَالَ لَكَ أَشْهِدِ

وَمَا حَمَلْت مِنْ نَاقَةٍ فَوْقَ رَحْلِهَا ... أَبَرَّ وَأَوْفَى ذِمَّة مِنْ مُحَمَّدِ

أَحَثَّ عَلَى خَيْرٍ وَأَسْبَغَ نَائِلاً ... إِذَا رَاحَ كَالسَّيْفِ الصَّقيلِ الْمهَنَّدِ

وَأَكْسَى لِبُرْدِ الْخَالِ قَبْلَ ابتذاله ... وَأَعْطَى لِرَأْسِ السَّابِقِ الْمتَحَرِّدِ

تَعَلَّمْ رَسُولَ الله أَنَّكَ مُدْرِكِي ... وَأَنَّ وَعِيداً مِنْكَ كَالْأَخْذِ بِالْيَدِ

تَعَلَّمْ رَسُولَ الله أَنَّكَ قَادِرُ ... عَلَى كُلِّ صِرْمٍ مُتْهِمِينَ وَمُنْجِدِ

تَعَلَّمْ بِأَنَّ الرِّكْبِ رَكْبَ عُوَيْمِرِ ... هُمُ الْكَاذِبُونَ الْمُخْلِفَو كُلِّ مَوْعِدِ

وَنَبَّوْا رَسُولِ الله أَنِّي هَجَوْتهُ ... فَلَا حَمَلَتْ سَوْطِي إِلَيَّ إِذَنْ يَدِي

سِوَى أَنَّنِي قَدْ قُلْتُ وَيْلُ أَمّ فِتْيَةٍ ... أُصِيبُوا بِنَحْسٍ لَا بِطَلْقٍ وَأَسْعَدِ[1]

= مواطنهم مكة ومرّ الظهران وما بينهما، وكانوا حلفاء قريش، وكان لهم ولاية العهد بعد جرهم، وبقايا خزاعة بأرض الحجاز وغزة. القلقشندي: قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، ص٩٨-٩٩.

(١) الواقدي: المغازي، ص٥٣٥؛ ابن هشام: السيرة النبوية، ج٤، ص٣٥٩،

وبلغت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قصيدته واعتذاره فيها.

وكلّمه نوفل بن معاوية[(١)] الديلي فقال: يا رسول الله أنت أولى الناس بالعفو ومن منّا لم يعادك ويؤذك، ونحن في جاهلية لا ندري ما نأخذ وما ندع حتى هدانا الله بك من الهلكة، فقال رسول اله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عفوت عنه[(٢)].

هذه هي أخلاق النبوة، وهذا هو نبينا بخلقه الرائع فقد ترك الفرصة لأنس بن زنيم لإعلان اعتذاره والندم والتوبة، وتأكيد العزم في العودة إلى الرشد، وبالفعل كان حدوث النتيجة المرضية بإسلام أنس بن زنيم وندمه على ما صدر منه أيام جهله.

---

(١) هو نوفل بن معاوية بن عروة، وقيل: نوفل بن معاوية بن عمرو الديلي، من بني الديّل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، ثم أحد بن نفاثة بن عدي بن الدّيل أسلم، وشهد مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتح مكة، ونزل المدينة حتى توفي بها أيام يزيد بن معاوية. ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٤، ص٢٦٣-٢٦٤.

(٢) الواقدي: المغازي ص٥٣٥، ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص١٤٥؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص١٠٩.

۞ ٥- العفو عن أسيد بن أبي أناس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1]:

قدم على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفد بني عبيد بن عدي، وقالوا: إنا لا نريد قتالك، ولو قاتلت غير قريش لقاتلنا معك، ثم أسلموا واستأمنوا لقومهم سوى رجل منهم أهدر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دمه يقال له: أَسَيْد بن أبي أناس، فتبرأوا منه، فبلغ أسيداً ذلك، فأتى الطائف. فلما كان عام الفتح خرج سارية ابن زنيم[2] إلى الطائف فقال له أسيد: ما وراءك؟ قال: أظهر الله نبيه ونصره على عدوه، فأخرج يا ابن أخي إليه، فإنه لا يقتل من أتاه.

فحمل أسيد امرأته وخرج بها وهي حامل، فلما وصل عند قرن الثعالب[3] وضعت امرأته، ثم سار حتى قدم على أهله بمكة فلبس

---

(١) هوأسيد ابن أبي أناس بن زنيم بن عمرو بن عبدالله بن جابر بن محمية بن عبد بن عدي، بن الدئل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة الكناني الدئلي، ابن أخي سارية، كان أسيد شاعراً، فأهدر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دمه، ثم أتاه عام الفتح فأسلم وصحبه. ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج١، ص١٠٥؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص٧٣.

(٢) هوسارية بن زنيم بن عبدالله بن جابر بن محمية بن عبد بن عدي بن الدئل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة الدئلي. ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣، ص٤.

(٣) قرن الثعالب: هو قرن المنازل ميقات أهل نجد، وهو ما يعرف اليوم باسم السيل الكبير، يبعد من مكة ثمانين كيلا على طريق الطائف، الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٢٣٢، البلادي: معجم المعالم الجغرافية، ص٢٥٤.

قميصاً واعتم ثم أتى رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وسارية قائم بالسيف عند رأسه، فأقبل أسيد حتى جلس بين يدي رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقال: يا محمد أنذرت دم أسيد؟ قال: نعم، قال: أفتقبل منه إن جاءك مؤمناً؟ قال: نعم، فوضع يده في يد النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقال: يا محمد هذه يدي في يدك أشهد أنك رسول الله وأن لا إله إلا الله[1]. فعفا عنه رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حينما جاء مسلماً.

والعفو والتسامح صفتان أساسيتان في الإسلام وكان واضع هذا الأساس محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فبعفوه وتسامحه وضع أصول التعامل الأخلاقي بين المسلمين واستطاع جذب العديد من الناس للدخول في الإسلام وتعامله مع أسيد بن أبي أناس يترجم حقيقة ذلك الأمر.



---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج١، ص٣٠٦؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ج٦، ص٤١١.

المطلب الخامس: العفو عن شيبة بن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1]

كان طلحة بن عثمان العبدري قد أسلم في زمن هدنة الحديبية ووفد على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المدينة، ولـمَّا فتح الله مكة لرسوله طلب منه مفتاح الكعبة ثم دخلها رسول الله بعد أن طُهِّرت من آثار الجاهلية، ثم أعاد رسول الله المفتاح له وقال: خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم، أما ابن عمه شيبة بن عثمان فقد انطوت نفسه على الحقد والغدر برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولنتركه يحدث عن نفسه بقوله:

لـمَّا غزا رسول الله حنيناً قلت أسير مع قريش إلى هوازن، فعسى إن اختلطوا أن أصيب من محمد غرة، وتذكرت أبي وقد قتله حمزة، وعمي وقَتَلهُ علي بن أبي طالب، فقلت: اليوم أدرك ثأري من محمد، وأكون أنا الذي قمت بثأر قريش كلها، وأقول: لو لم يبق من العرب والعجم أحد إلا اتَّبع محمداً ما تبعته أبداً، فكنتُ مرصداً لما خرجتُ له، لا يزداد الأمر في نفسي إلا قوة، فلما اختلط الناسُ، واقتحم رسول

---

(١) شيبة بن عثمان بن أبي طلحة بن عبدالعزى بن عثمان بن عبدالدار بن قصي القرشي العبدري الحمجي المكي: يكنى أبا عثمان، وقيل: أبا صفية، وأبوه عثمان بن أبي طلحة قتله علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم أحد كافراً، أسلم شيبة يوم حنين، وكان ممن صبر معه يومئذ، وكان من خيار المسلمين، انظر: ابن عبدالبر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص٣٦٢.

الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن بغلته. وانهزم أصحابه جئته من يمينه فإذا العباس قائم عليه درع بيضاء فقلت: عمه لن يخذله، فجئته عن يساره، فإذا بأبي سفيان بن الحارث فقلت: ابن عمه لن يخذله، فجئته من خلفه، فلم يبق إلا أن أسَورِّة بالسيف إذ رفع إليَّ فيما بيني وبينه شواظ من نار كأنه برق، فخفت أن يتمحشني فوضعت يدي على بصري، خوفاً عليه، ومشيت القهقري، وعلمت أنه ممنوع فالتفت إليَّ وقال: « يا شيب ادن مني » فدنوت منه، فوضع يده على صدري وقال: « اللهم اذهب عنه الشيطان ».

فرفعت إليه رأسي وهو أحبَّ إليَّ من سمعي وبصري وقلبي، ثم قال: « يا شيبة قاتل الكفار » قال: فتقدمت بين يديه أُحب -والله- أن أقيه بنفسي كل شيء فلما انهزمت هوازن رجع إلى منزله ودخلت عليه فقال: « الحمد لله الذي أراد بك خيراً مما أردت » ثم حدثني بما هممت به صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1].

لقد كان لصبره وصفحه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن هذا الذي أراد قتله أعظم الآثار في نجاح الدعوة، فقد رقق قلبه للإسلام، ورغبه فيه، بالدعاء له والعفو والتجاوز عنه، ولو كان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شديداً زاجراً

---

(١) الواقدي: المغازي، ص٦٠٧؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ج٥، ص٤٧٣؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر في المغازي والسير، ص٣٧٠؛ المقريزي: أمتاع الأسماع، ج٢، ص١٧.

ومعاقباً له، لأعرض عن الإسلام، ولما استجاب، بتلك السهولة، ولم يكن للدعوة هذا الانتشار وهذا النجاح، قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[1].



(١) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

المبحث الثاني

العفو والمن على الأسارى

وفيـــــه:

التمهيـــــد.

1) إسلام الحكم بن كيسان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد العفو عنه.

2) المن على بعض أسارى بدر.

3) إسلام بني المصطلق لمَّا أطلق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسراهم.

4) العفو عن أسرى الحديبية.

5) إسلام هوازن لما مَنّ على أسراهم.

6) عفو النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ثمامة بن أثال الحنفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وإسلامه.

7) إسلام سَفّانة بنت حاتم الطائي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

* * * *** * * *

تمهيـــد

لم يخرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن طبيعته الأخلاقية أبداً في أي أمر من أمور حياته، لذا لم يكن مستغرباً أن يتعامل مع أسرى الحرب بنفس الأخلاق النبيلة، والآداب الرفيعة، وما أكثر النصائح التي وجَّهها إلى أمته يدعوها ليس فقط إلى عتق الأسرى بل إلى بذل الجهد في ذلك، حتى أصبح هذا العتق قربة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ يفعله المسلم لينال به رضاه سبحانه.

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فكوا العاني[1] وأطعموا الجائع، وعودوا المريض»[2].

وهناك الكثير من الأمثلة والوقائع التاريخية التي تظهر رحمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأسرى ومنَّه عليهم.

وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمر أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسارى فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء، بل لم يقتصر

---

(١) فكوا العاني: هو الأسير واصله الخضوع ومنه قوله تعالى: (وعنت الوجوه للحي القيوم)، يقال منه عنًّا يعنوا وعنى يعنا ومنه اشتقاق العنوه. أبو الفضل اليحصبي السبتي: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، (المكتبة العقيقة ودار التراث، د ط، د ت)، باب (ع ن ي)، ج٢، ص٩٣.

(٢) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب فكاك الأسير، ج٢، ص٦١٩ ح(٣٠٤٦).

الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على إطعام الأسرى من المشركين، بل إنه كان يقدم لهم الملابس وهذا ثابت في الصحيح، فقد جعل البخاري باباً في الصحيح سماه باب الكسوة للأسارى، وذكر فيه أن جابر بن عبدالله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: « لما كان يوم بدر أتى بأسارى وأتى بالعباس ولم يكن عليه ثوب فنظر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له قميصاً فوجدوا قميص عبدالله بن أبي يقدر عليه فكساه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إياه »[(١)].

وكان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ يوفر المأوى المناسب لهم فيجعلهم في أحد مكانين إما المسجد وهو أشرف مكان عند المسلمين، وإما بيوت الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ولم يكن اهتمام رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأسرى عن طريق راحتهم البدنية فقط، وإنما كان يحرص تمام الحرص على راحتهم النفسية كذلك، فيتعامل معهم بالرفق واللين، ويرد على استفساراتهم، ولا يسأم من أسئلتهم مما يوحي بسعة صدره، وعمق رحمته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فكانت نتيجة تلك المعاملة الحسنة والرحمة بالأسرى إعلان إسلامهم في كثير من الوقائع التاريخية في السيرة النبوية كما سنوضحها في هذا المبحث.

---

(١) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب كسوة الأسرى، ج٢، ص٦٠٢، ح(٣٠٠٨).

١ - إسلام الحكم بن كيسان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ(١) بعد العفو عنه

أسر المسلمون في سرية عبدالله بن جحش وكانت في رجب من السنة الثانية للهجرة اثنين من المشركين هما:

الحَكم بن كيسان، وعُثمان بن عبدالله، فأما -الحكم- فنظراً لَمَّا وجده من المعاملة الكريمة فإنه أسلم وحسُن إسلامه، وأما عثمان بن عبدالله فلحِق بمكة فمات بها كافراً(١).

فعن المقداد بن عمرو قال: أنا أسرتُ الحكم بن كيسان فأراد أميرنا ضرب عنقه فقلت: دَعْهُ! نقدم به على رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقدمنا فجعل رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يدعوه إلى الإسلام فأطال أول الأمر حتى قال بعض الصحابة دعنا نضرب عنقه.

وقال الحكم: وما الإسلام؟ قال: تعبد الله وحده لا شريك له وتشهد أن محمداً عبده ورسوله، فقال: قد أسلمت، فالتفَتَ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلى أصحابه فقال:«لو أطعتكم فيه آنفاً فقتلته دخل النار».

---

(١) للاستزادة عن سرية عبدالله بن حجش، انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص٥٣٣.

وقال عمر: فأسلم والله فحسن إسلامه، وجاهد في الله حتى قُتل شهيداً ببئر معونة[1].

لقد تميزت سرية عبدالله بن جحش بمعاملة متميزة للأسيرين من قبل رسول الله ﷺ مع أنهما أول أسيرين يظفر المسلمون بهما بعد العناء والتعذيب من مشركي مكة الذين ينتسب لهما هذان الأسيران، إلا أن ذلك لم يكن دافعاً لرسول الله ﷺ أن يمسَّهما بأذى، بل اتسمت معاملته بالرحمة والإكرام والصفح عنهما على الرغم من اختلاف المعتقد، فلا تعذيب أو تخويف أو غيرهما من وسائل القهر النفسي وإنما اعتمد الحوار الهادئ البناء والرحمة في أجلّ صورها التي تمثلت في رفضه الطلب بقتل الحكم بن كيسان بل ما زال يعرض عليه الإسلام حتى لامس في شخصية النبي ﷺ الرحمة والتعامل الحسن ومن ثم أعلن إسلامه رضي الله عنه وهذا ما كان يرجوه نبي الرحمة لإنقاذه من النار.



(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٤، ص١٠٢.

٢- المن على بعض أسارى بدر

كانت غزوة بدر هي المعركة الأولى بين المسلمين والمشركين، وقد تم النصر فيها للمسلمين مع قلة عددهم وعدَّتهم، وأسروا من المشركين سبعين، كما في رواية الإمام مسلم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين[١].

ولما بلغ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصفراء[٢] في طريق عودته إلى

---

(١) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الأمر بالملائكة، ج٣، ص١٣٨٤، ح(١٧٦٣)؛ البخاري: الجامع الصحيح، كتاب المغازي، ج٤، ص١٤٦٤، ح(٣٩٨٦) من حديث البراء بن عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) الصفراء: من اللون الأصفر، جاءت في قول هند بنت أثاثة ترثي عبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب:

لقد ضُمن الصفراء مجداً وسُؤدداً　　وحلماً أصيلاً وافر اللبِّ والعقلِ
عبيدة فابكيــه لأضيافه غُربــة　　وأرملة تهوي لأشعث كالجــذل

والصفراء قرية، تعرف اليوم باسم الواسطة، ثم أعطت اسمها لوادي يليل، وهذا العطاء قديم جداً حيث نجد مضيق الصفراء وغيرها، وكأن الاسم أصيل للوادي وأن القرية كانت قرية الصفراء، غير أن الخبر الوارد في غزاة بدر سمَّى القرية الصفراء، وهو أول خبر عنها وعن الوادي، ووادي الصفراء من أودية الحجاز الفحول، كثير القرى، كثير الخيوف، وإن كان أكثرها اندثر اليوم، إذا خرجت من المدينة فتجاوزت الفريش فانت في أول نواشغ وادي الصفراء، ثم تسير فيه ماراً بالمسيجيد والخيف والواسطة حتى تتجاوز بدراً، أي إنه يلقاك على (٥١) كيلاً من =

المدينة أمر علياً رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بقتل النضر بن الحارث[1]، وفي منطقة عرق الظبية[2] أمر بقتل عقبة بن أبي معيط[3]، وذلك لعداوتهما الشديدة للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يقتل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أسرى بدر غيرهما، وكان هذان الرجلان من أشد عباد الله كفراً وعناداً، وبغياً وحسداً وكانا من أكبر دعاة الحرب ومثيريها ضد الإسلام، وبلغ

= المدينة، ثم يفارقك على (١٦٣) كيلاً منها، ثم يدفع في البحر على آثار مدينة الجار التاريخية، ومن كان هذا الوادي اليوم بنو سالم من حرب، لا يخالطهم فيه إلا نزيل، وكان قديماً لغفار من كنانة، ويبدو أن بني غفار انصهرت في حرب، وكثير من القبائل تفعل ذلك حفاظاً على أوطانها وأملاذكها. البلادي: عاتق غيث، ص١٧٦.

(١) هو النضر بن الحارث بن علقمة من بني عبد الدار، كان من شجعان قريش ووجوها ومن شياطينها، وهو ابن خالة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولما ظهر الإسلام استمر على الجاهلية، وآذى الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صاحب لواء المشركين يوم بدر، أسره المسلمون وقتله علي بن أبي طالب صبرًا. ابن هشام: السيرة النبوية، ج٣، ص٦٢٤؛ الزركلي: الأعلام، ج٨، ص٣٣.

(٢) عرق الظبية: موضع بالصفراء، ويعرف اليوم بالظبية، وهو قبل الروحاء بـ(٣٠)كم، وعمر الطريق إلى المدينة بقربه تراه من الروحاء شمالاً لا شرقياً، انظر: محمد بن محمد حسن شراب: المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، (ط١، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ١٤١١هـ)، ص١٨٣.

(٣) هو عقبة بن أبان بن زكوان بن أمية بن عبد شمس، كنيته أبو اليد، والده أبو معيط، من مقدمي قريش في الجاهلية، كان شديد الأذى للمسلمين عند ظهور الإسلام، أسر يوم بد وقتلوه ثم صلبوه، قتله عاصم بن ثابت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وقيل: علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فكان أول مصلوب في الإسلام. ابن هشام: السيرة النبوية ج٣، ص٣٦٤.

أذاهما شخص رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو في مكة[1].

أما بقية الأسرى فاستوصى بهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيراً، قال أبو عزيز[2] أخو مصعب بن عمير كنت في الأسارى يوم بدر فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: استوصوا بالأسرى خيرا[3].

وقد استشار النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وزيراه أبي بكر وعمر في شأنهم، قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: فلما أسروا الأسارى قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي بكر وعمر ما ترون في هؤلاء الأسارى؟ فقال أبو بكر: يا نبي الله هم بنوا العم والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام. فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما ترى يا ابن الخطاب، قلت: لا والله يا رسول الله ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم، فتمكن علياً من عقيل[4] فيضرب عنقه، وتمكني من فلان نسيباً لعمر

---

(١) انظر: باشميل، موسوعة الغزوات الكبرى، ج١، ص١٣٩.

(٢) اسمه: زرارة بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبدالدار العبدري، يكنى بأبي عزيز، وهو بكنيته أشهر، أمه أم خناس بنت مالك من بني لؤي، أسر يوم بدر مع من أسر من المشركين وقد أسلم. ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٧، ص٢٧٤.

(٣) الطبراني: المعجم الكبير، ج٢٢، ص٣٩٣ ح(٩٧٧).

(٤) هو: عقيل بن أبي طالب بن عبد مناف القرشي الهاشمي، يكنى أبا يزيد، تأخر إسلامه إلى عام الفتح، وقيل: أسلم بعد الحديبية، وهاجر في أول سنة ثمان، وكان =

فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها. فهوى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما قال أبو بكر ولم يهو ما قال عمر[1].

وقد نزل القرآن الكريم بعد هذا يعاتب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه أخذ الفداء[2] من الأسرى، قال تعالى: ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾[3]، لكنه أجاز تصرف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

= أسره يوم بدر ففداه عمه العباس، وشهد غزوة مؤتة، وكان عالماً بأنساب قريش ومآثرها ومثالبها، توفي في خلافة معاوية، وقيل: في أول خلافة يزيد قبل الحرة. ابن عبدالبر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ص١٠٧٨؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص٥٣١.

(١) النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، كتاب الجهاد والسير، باب الإعداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم، ج١٢، ص٣٠٧، ح(٤٥٦٣-٥٨).

(٢) الفداء بالكسر والمدّ، والفتح مع القَصْر: فكاك الأسير، يقال: فداه يفْدِيه فِداءً وفدى، وفاداه يُفاديه مُفاداةً إذا أعطى فداءه وأنقذه، وفدّاه بنفسه وفداه إذا قال له: جُعلت فداك، والفدية: الفداء.

وقيل: المفاداة: أن تفتك الأسير بأسير مثله، وفيه: فاغفر فداءً لك ما افتفينا

إطلاق هذا اللفظ مع الله تعالى محمول على المجاز والإستعارة؛ لأنه إنما يُفدى من المكاره من تلحقه، فيكون المراد بالفداء التعظيم والإكبار، لأن الإنسان لا يُفدى إلا من يعظمه، فيبذل نفسه له، ويروى "فِداء" بالرفع على الابتداء، والنصب على المصدر. ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، باب الفاء مع الدال، ج٣، ص٤١٩.

(٣) سورة الأنفال، الآيات: ٦٧، ٦٨.

واجتهاده، وقد استمر صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إعفائهم من القتل، وقبول الفدية ممن يستطيع منهم، وقد تفاوت مقدار هذه الفدية ونوعها بحسب حالة كل أسير.

* من كان ذا مال: فكان فداؤه أربعة آلاف درهم، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: فادى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسارى بدر، وكان فداء كل رجل منهم أربعة آلاف[(١)] وممن أخذ منه أربعة آلاف درهم أبو وداعة[(٢)]، أما فداء العباس فمئة أوقية[(٣)]، وقيل ثمانين أوقية، وآخرون أخذ منهم أربعين أوقية[(٤)].

---

(١) أبي داود: سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في قتل الأسير صبراً، ج٣، ص٦٠، ح(٢٦٨٦).

(٢) هو: الحارث بن سعيد بن سعد بن سهم القرشي السهمي، أبو وداعة، أسر يوم بدر وهو أول أسير فدي من بدر، أسلم يوم فتح مكة. ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٧، ص٤٥٨.

(٣) أوقيه: فيه لا صدقة في أقل من خمس أواقٍ، الأواقيّ جمع أوقية، بضم الهمزة وتشديد الياء، والجمع يشدد ويخفف، مثل أثقية وأثافيّ وأثافٍ، وربما يجيء في الحديث وقية، وليست بالعالية، وهمزتها زائدة، وكانت الأوقية قديماً عبارة عن أربعين درهماً، وهي في غير الحديث نصف سدس الرطل، وهو جزء من اثني عشر جزءاً وتختلف باختلاف اصطلاح البلاد. ابن الأثير: النهاية في غري الحديث والأثر، باب الهمزة مع الواو، ج١، ص٨٠.

(٤) ابن حجر: فتح الباري، شرح صحيح البخاري، ج٧، ص٣٢٢.

* ومنهم من أطلق سراحه مقابل إطلاق سراح أحد المسلمين، فأطلق سراح عمرو بن أبي سفيان مقابل إطلاق سراح سعد بن النعمان[1]، الذي أسره أبو سفيان وهو يعتمر[2].

* ومن لم يكن لديهم مقدرة على الفداء وكانوا يعرفون الكتابة، كان فداؤهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: (كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء، فجعل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة)[3].

* ومنهم من قبل ما عنده عند تعذر المطلوب، فقد أرسلت زينب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قلادة لها لتفدي بها زوجها أبو العاص بن الربيع[4] فردوها لها، وأطلقوا أسيرها من غير فداء.

---

(١) الصحابي الجليل: سعد بن النعمان بن زيد بن أكال الأنصاري، الأوسي، أخذه أبو سفيان بن حرب أسيراً، ففدى به ابنه عمرو بن أبي سفيان. انظر ترجمته في: ابن عبدالبر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص٣١٧؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣، ص٨٧.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٣، ص٢٠١؛ مهدي رزق الله: السيرة النبوية، ص٣٥٩.

(٣) الإمام أحمد بن حنبل: المسند، ج٤، ص٤٧ ح(٢٢١٦).

(٤) أبو العاص بن الربيع بن عبدالعزى بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي، وأمه هالة بنت خويلد أخت خديجة صهر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زوج ابنته زينب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، وكان ممن شهد بدراً مع كفار قريش واسر، وأسلم في السنة السابعة للهجرة، توفي في خلافة أبي بكر سنة اثنتي عشرة من الهجرة. انظر ترجمته في: ابن عبدالبر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ص٨١٩.

* ومن لم يقدر على الفداء مَنَّ عليهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدون فداء، منهم المطلب بن حنطب[1]، وصيفي بن رفاعة، وأبو عزة الشاعر[2] [3].

وأسلم أغلب هؤلاء الأسارى على فترات مختلفة قبل فتح مكة وبعدها، وكان للمعاملة الحسنة والمن عليهم من القتل وأخذ الفداء أثر في قلوبهم مما دفعهم للإسلام[4].

لقد كانت القاعدة العامة التي قررها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أول غزوة أخذ فيها المسلمون أسرى هي: استوصوا بالأسرى خيراً[5] وهذه القاعدة التي أمر بها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم تكن مجرد قانون

---

(١) المطلب بن حنطب الحارث بن عبيد بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي، أسر يوم بدر ثم أسلم . انظر ترجمته في: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٣، ص١٣٢ .

(٢) أبو عزة الشاعر: هو عمرو بن عبدالله، كان يحضِّض على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأسر يوم بدر، فقال: يا محمد: إني رجل مُعيل، ولي بنات فامنن عليَّ، فمنَّ عليه، فقال: لا أقاتل محمداً أبداً!.

الأزدي: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، الإشتقاق، (تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل، لبنان، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م)، ص١٣١ .

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٣، ص٢١١؛ مهدي بن رزق الله، السيرة النبوية، ص٣٦٠.

(٤) للاستزادة في معرفة أسمائهم يراجع السهيلي، الروض الآنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام.

(٥) الطبراني: المعجم الكبير، ج٢٢، ص٣٩٣.

نظري ليس له تطبيق في واقع الحياة، وإنما تمثلت في مظاهر كثيرة تنبئ عن قلوب ملأتها الرحمة.

وقد تجلى حرص رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تعاملاته مع الأسرى في الاهتمام بمأكلهم وكسوتهم، فقد قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسارى، وكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء» (١).

بل كانوا ينتقون لهم أجود ما لديهم من طعام، ويقدمونه لهم عملاً بوصية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم وها هو أحد الأسرى أبو عزيز شقيق مصعب بن عمير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يروي ما حدث له بقوله: كنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر، فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصوني بالخبز، وأكلوا التمر لوصية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إياهم بنا، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحني بها، فأستحي فأردها فيردّها علي مَا يمسَّها قال ابن هشام: وكان أبو عزيز هذا صاحب لواء المشركين ببدر بعد النضر بن الحارث(٢).

فالرجل لم يكن شخصية عادية، بل كان من أشد المشركين على المسلمين، فلا يحمل اللواء إلا شجعان القوم وسادتهم! ولكن هذا لم يغير من الأمر شيئا، لأن الرحمة بالأسير أصل من أصول التعامل لا

---

(١) انظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص٥٨٤.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٢، ص١٥؛ ابن كثير: السيرة النبوية، ج٢، ص٤٧٥.

يجوز التخلي عنه تحت أي ظرف من الظروف.

ولم يقتصر المسلمون على إطعام أسراهم من المشركين، بل كانوا يقدمون لهم الملابس أيضاً، وهذا ثابت في الصحيح، فقد جعل البخاري رحمه الله باباً في الصحيح سماه: باب الكسوة للأسارى ذكر فيه أن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: لمَّا كان يوم بدر أتي بأسارى، وأتي بالعباس، ولم يكن عليه ثوب فنظر النبي صلى الله عليه وسلم له قميصاً فوجدوا قميص عبدالله بن أبي يقدُر[1] عليه فكساه النبي صلى الله عليه وسلم إياه[2].

وهذا أبوا لعاص بن الربيع يحدثنا قال: كنت في رهط من الأنصار جزاهم الله خيراً كنا إذا تعشينا أو تغدينا آثروني بالخبز، وأكلو التمر، والخبز معهم قليل، والتمر زادهم، حتى إن الرجل لتقع في يده كسرة فيدفعها إليَّ. وكان الوليد بن المغيرة يقول مثل ذلك ويزيد، وكانوا يحملوننا ويمشون[3].

---

(١) يقدر عليه: -بضم الدال-، وإنما كان ذلك لأن العباس كان بَيِّن الطول، وكذلك كان عبدالله بن أبي. انظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج٦، ص١٤٢.

(٢) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب كسوة الأسرى، ج٢، ص٦٠٢ ح(٣٠٠٨).

(٣) انظر: المغازي، الواقدي ص١١٩.

ولا يمكن أن نستقصي جميع تعاملات رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي تظهر حقيقة سريرته، وحسن خلقه في سلمه وحربه وتعاملاته كلها، ولكننا اكتفينا ببعض هذه المواقف، والتي تدل دلالة واضحة على كمال أخلاقه، مما كان لها الأثر في إسلام أكثر أسرى بدر، وقد ذكر المؤرخون أسماء عشرين رجلاً ممن أسلم من الأسارى وهذا ليس على سبيل الحصر[1].

لقد سرت دعوة الإسلام إلى قلوبهم وطهرت بحسن المعاملة نفوسهم، وعاد الأسرى إلى بلادهم وأهليهم، يتحدثون عن محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومكارم أخلاقه، وعن محبته وسماحته وعن دعوته وما فيها من البر والتقوى، والإصلاح والخير، إن هذه المعاملة الكريمة للأسرى شاهد على سمو الإسلام في المجال الأخلاقي، حيث نال أعداء الإسلام من معاملة الصحابة أعلى درجات مكارم الأخلاق التي تتمثل في خلق الإيثار والرحمة والعفو، مما كان له الأثر في قبول الكثيرين للإسلام.



---

(١) انظر: السهيلي: الروض الآنف، ج٣، ص١٨٠؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر في المغازي والسير ص١٩٤.

٣- إسلام بني المصطلق[١]
لمَّا أطلق رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسراهم

بلغ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن بني المصطلق يجمعون له، وقائدهم الحارث بن أبي ضرار[٢] فلما سمع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهم خرج إليهم، حتى لقيهم على ماء يقال له: المريسيع[٣] من ناحية قديد إلى الساحل، فتزاحف الناس واقتتلوا، فهزم الله بني المصطلق،

---

(١) قال الواقدي: كانوا ينزلون ناحية الفرع، وهم حلفاء بني مدلج، وكان رأسهم وسيدهم الحارث بن أبي ضرار، وقال أبو عبيد عن هشام بن محمد السائب الكلبي: إنما سموا خزاعة، لأن بني مازن بن الأزد لَمّا تفرقت الأزد من اليمن في البلاد، وأقبل بنو عمرو بن لحي، فانخزعوا من قومهم فنزلوا مكة. انظر: الواقدي، المغازي، ص٣٠٣.

(٢) هو الحارث بن أبي ضرار المصطلقي -الخزاعي- وهو والد جويرية بنت الحارث زوجة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكانت من ضمن سبايا بني المصطلق، حيث وقعت في السهم لثابت بن قيس بن شماس وأقبل أبوها الحارث بن أبي ضرار لفداء ابنته، وأسلم الحارث، وأسلم معه ابناه وناس من قومه. انظر: ابن عبدالبر، الإستيعاب في معرفة الأصحاب، ص١٦٥.

(٣) المريسيع: جزء من وادي "حورة" أحد روافد ستارة، فيه آبار زراعية، ونزل من بني سليم، وماؤه غيل يسيح على وجه الأرض، وأهله يقولون:
"المريصع" وهي عادة البادية في قلب أمثاله لتقارب مخارج الحروف، وستارة وقُديد وادٍ واحد، إنما الذي أو هم في تحديده حتى ظنه كثير من الباحثين من الساحل، هو قول ابن إسحاق "إلى الساحل" والواقع أنه داخل عن الساحل، فبينه وبين سيف البحر قرابة (٨٠) كيلاً، بين جبال تهامة، وأهله اليوم سليم، ولا ذكر لخزاعة في هذه النواحي في يومنا هذا. البلادي: عاتق غيث، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص٢٩٠.

وقتل من قتل منهم.

وكان رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قد أصاب منهم سبياً كثيراً، فقسمه في المسلمين، وكان فيمن أصيب يومئذ من السبايا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار[1].

قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير، عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالت: لما قسم رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ سبايا بني المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن الشماس[2]، أو لابن عم له، فكاتبته على نفسها، وكانت امرأة حلوة ملاحة، لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه فأتت رسول الله

---

(١) جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن عائذ بن مالك بن جذيمة، وجذيمة هو المصطلق من خزاعة زوج النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، سباها رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يوم المريسيع وهي غزوة بني المصطلق في سنة خمس من التاريخ، وقيل: في سنة ست، وكانت قبله تحت مسافع بن صفوان المصطلقي، وكانت امرأة جميلة حفضت جويرية عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وروت عنه، وتوفيت في ربيع الأول سنة ٥٦هـ. ابن عبدالبر: الإستيعاب في معرفة الأصحاب، ص٨٦٨.

(٢) ثابت بن قيس بن شماس بن ظهير ابن مالك بن امرئ القيس بن مالك بن الأغر ابن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج، وكان ثابت بن قيس خطيب الأنصار، ويقال له: خطيب رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، كما يقال لحسان بن ثابت: شاعر رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، شهد أحداً وما بعدها من المشاهد، وقتل يوم اليمامة شهيداً في خلافة أبي بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. ابن عبدالبر: الإستيعاب في معرفة الأصحاب، ص١٣٠.

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تستعينه في كتابتها، قالت عائشة: فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتي فكرهتها، وعرفت أنه سيرى منها صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما رأيت فدخلت عليه، فقالت: يا رسول الله، أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، سيد قومه، وقد أصابني من البلاء مالم يخف عليك، فوقعتُ في السهم لثابت بن قيس بن الشماس، فكاتبته على نفسي، فجئتك استعينك على كتابتي، قال: فهل لك في خير من ذلك؟ قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال: أقضي عنك كتابتك وأتزوجك، قالت: نعم يا رسول الله، قال: قد فعلت.

قالت: وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد تزوج جويرية ابنة الحارث بن أبي ضرار، فقال الناس: أصهار رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأرسلوا ما بأيديهم، قالت: فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق،٥٦ فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها(١).

وتعتبر غزوة بني المصطلق (المريسيع) من الغزوات الفريدة المباركة التي أسلمت عقبها قبيلة بأسرها وكان زواج

---

(١) الواقدي: المغازي، ص٣٠٣-٣٠٤، وانظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ج٤، ص٢٥٢-٢٥٣؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج٤، ص٥٢؛ المقريزي: أمتاع الأسماع، ج١، ص٢٠٥-٢٠٦؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر في المغازي والسير، ص٢٩٩؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ج٤، ص٤٩٠؛ مهدي رزق الله: صفوة السيرة النبوية في سيرة خير البرية، ص٣٠٢-٣٠٣.

النبي ﷺ من جويرية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا بنت زعيم القوم ذا مقصد عظيم مما أدى ثماره مباشرة، إذ استكثر الصحابة على أنفسهم، أن يكون أصهار رسول الله ﷺ تحت أيديهم أسرى، فأعتقوهم جميعاً فكان هذا دافعاً لإسلامهم، وهذه صورة من صور الحب والأدب من الصحابة مع رسول الله ﷺ أدت إلى إسلام القبيلة كلها..

وإن مرد هذا الحدث التاريخي هو حسن خلق رسول الله وحب الصحابة للنبي ﷺ وتكريمهم إياه، وإكبارهم شخصه العظيم، وتأسيهم بأخلاق قائدهم في معاملة الأسرى التي عهدوها منه.

فهذا الموقف العظيم يبين لنا مدى رحمة النبي ﷺ بالأسرى ويكشف الستار عن شخصية بلغت من السمو والرفعة مبلغاً بعيداً، شخصية تُحرك الأفئدة نحوها بفيض عارم من الرحمة والعفو والسماحة.



٤- العفو عن أسرى الحديبية

قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾[(١)] .

قال القرطبي عند تفسير هذه الآية، روى يزيد بن هارون قال: أخبرنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن ثمانين رجلاً من أهل مكة هبطوا على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من جبل التنعيم[(٢)] متسلحين يريدون غرة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، فأخذناهم سِلْما فاستحياهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾[(٣)] وقال عبدالله بن مغفل المزني[(٤)]: كنا مع النبي

---

(١) سورة الفتح، آية: ٢٤.

(٢) التنعيم: جاء ذكره في مواضع من السيرة، وقد يقال وادي التنعيم، وهو وادٍ خارج الحرم من الشمال، ينحدر من الثنية البيضاء، فيتجه شمالاً محاذياً الطريق العام المتجه إلى المدينة فيصب في وادي يأجج الذي يذهب سيله إلى مرّ الظهران شمال غربي مكة على قرابة (٢٠) كيلاً. البلادي: عاتق غيث، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص٦٥.

(٣) القرطبي: أبي عبدالله محمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن (ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٧-٢٠٠٦م)، ج١٦، ص٢٥٦.

(٤) هو عبدالله بن مغفل بن عبد غنم، ويقال: ابن عبد نهم بن عفيف بن سحيم بن ربيعة بن عدي بن ثعلبة بن رويد بن سعد بن عداء بن عثمان بن عمرو المزني، كان من أصحاب الشجرة، سكن المدينة، ثم تحوّل عنها إلى البصرة، وابتنى بها داراً قرب المسجد الجامع، وهو أحد البكائين في غزوة تبوك، وشهد بيعة الشجرة، وهو أحد العشرة =

صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالحديبية في أصل الشجرة التي قال الله في القرآن، فبينا نحن كذلك إذ خرج علينا ثلاثون شاباً عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا فدعا عليهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخذ الله بأبصارهم إليهم فأخذناهم، فقال لهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هل جئتم في عهد أحد أو هل جعل لكم أحد أماناً قالوا: اللهم لا، فخلى سبيلهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾[1].

فهذا عفو في موقف عجيب، فالمسلمون ممنوعون من دخول مكة، وقريش قد أعدت العدة لحربهم، ومع ذلك لا يأخذ الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هؤلاء الأسرى رهينة بل يمن عليهم بغير فداء، ولا يجعلهم ورقة ضغط على المشركين حتى في هذا الموقف الصعب.

إنها الرحمة في أرقى صورها.

= الذين بعثهم عمر ليفقهوا الناس بالبصرة، وتوفي بالبصرة سنة ٦٠هـ. انظر: ابن عبدالبر: الإستيعاب في معرفة الأصحاب، ص٤٧٨؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص١٩٦.

(١) النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، كتاب الجهاد والسير، باب قول الله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾، ج١٢، ص٣٩٢، ح(٤٦٥٦/ ١٣٣). الإمام أحمد بن حنبل: المسند، ج٤، ص٨٦، النسائي: سنن النسائي، كتاب التفسير، ح(٥٣١)؛ ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج٥، ص٣١٥، أخرجه أحمد والنسائي من حديث عبدالله بن مغفل بسند صحيح، وأصله في صحيح مسلم ح (١٧٨٤) بنحوه مختصراً.

وبالفعل كان من نتائج هذا العفو توقيع صلح الحديبية، هذا الصلح الذي كان نقطة تحول للمسلمين، فقد كفى الله المسلمين شر قريش، وبذلك كانت الفرصة متاحة لدعوة القبائل الأخرى، وبالفعل زاد عدد المسلمين أضعافاً، فبينما كان عددهم في عمرة الحديبية لا يتجاوز الألف وأربعمائة، وأصبح عددهم -بعد سنتين- في فتح مكة عشرة آلاف، وهذا العفو منه يدل على بعد نظره وكمال خلقه وكانت المحصلة النهائية دخول الآلاف في الإسلام.

يقول الإمام ابن شهاب الزهري رحمه الله[1] في ذلك: فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، إنما كان القتال حيث التقى الناس، فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب أوزارها، وأمن الناس وكلم الناس بعضهم بعضا والتقوا فتفاوضوا في الحديث، فلم يُكَلّم أحدٌ بالإسلام

---

(١) هو: محمد بن مسلم بن عبيدالله بن عبدالله بن شهاب بن عبدالله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، الإمام، العلم، حافظ زمانه، أبو بكر القرشي، الزهري، المدني، نزيل الشام. قال المديني: له نحو من ألفي حديث. وقال أبو داود: حديثه ألفان ومائتا حديث، النصف منها مسند، وقال عنه الليث بن سعد: ما رأيت عالماً قط أجمع من ابن شهاب، يحدث في الترغيب فتقول: لا يحسن إلا هذا، وإن حدث عن العرب والأنساب، قلت: لا يحسن إلا هذا، وإن حدث عن القرآن والسنة، كان حديثه، وكان الزهري يوصف بالعبادة حتى أنه يُرى بين عينيه أثر السجود، ومن أقوال الزهري: لا يرضى الناس قول عالم لا يعمل، ولا عمل عامل لا يعلم. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٦، ص٦٩.

يعقل شيئاً إلا دخل فيه، ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر[1].



(١) انظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ج٤، ص٢٧٤.

٥- إسلام هوازن لما مَنّ على أسراهم

لم تكن المعارك التي خاضها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمسلمون بهدف التشفي أوالانتقام من المشركين الذين مارسوا مع المسلمين شتى أنواع الأذى، وحاولوا إبادتهم في كثير من الأحايين، لكن المسلمين احتسبوا كل ذلك عند الله عَزَّ وَجَلَّ، ويؤكد هذا الأمر، أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كثير من المواقف كان يستطيع من دون شك أن يقتل من يريد من المشركين، ولكنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يتعامل بالحسنى والعفو والصفح، بل وينكر وبقوة على من يخالف هذا الأمر.

ومعلوم أن قبيلة هوازن مع أولاد عمومتهم ثقيف قد قاموا بجمع أكبر عدد من المقاتلين بعد فتح مكة في حركة استباقية قبل أن يأتيهم المسلمون في دارهم فتقدموا نحو مكة حيث كانت موقعة حنين[1] الخطيرة، ولكن الله عَزَّ وَجَلَّ شاء أن يكتب النصر للمسلمين بعد هزَّة سرعان ما تماسكوا بعدها، وبعد المعركة غنم المسلمون غنائم

---

(١) حنين: وادٍ من أودية مكة، يقع شرقها بقرابة ثلاثين كيلاً، يسمى اليوم وادي الشرائع، وأعلاه الصدر وصدر حنين - وماؤه يصب في المغمس فيذهب في سيل عرفة إذا كنت خارجاً من مكة إلى الطائف على طريق اليمانية، لقيت الشرائع على بعد (٢٨) كيلاً من المسجد الحرام، وهي عين وقرية نسب الوادي إليها كانت عينها تسمى المشاش، وقد أجرتها زبيدة إلى مكة، ثم انقطعت عن مكة. ولا يعرف اليوم اسم حُنين إلا الخاصة من الناس، عاتق البلادي، معجم المعالم الجغرافية، ص١٠٧.

كثيرة من الإبل والشياه، وأسروا عدداً كبيرًامن أولاد المشركين ونسائهم بلغ في بعض الروايات ستة آلاف[1]، وكان رسول الله ﷺ عقب عودته من حصار الطائف انتظر حوالي شهراً في الجعرانة لم يقسم السبايا من هوازن على الجيش الإسلامي، بأمل أن يأتي وجوه هوازن وزعماؤها ويطلبون تحرير نسائهم وأطفالهم، ولكن هوازن توانت في القدوم إلى الرسول ﷺ وألحّ عامة الجيش الإسلامي المنتصر على رسول الله ﷺ طالبين منه تقسيم الغنائم بما في ذلك السبي، فقسم الرسول ﷺ على الجند؛ لأن ذلك حق من حقوقهم كما تقضي بذلك قوانين الحرب في الإسلام[2].

وكما كان الرسول ﷺ يتوقع، فقد بعثت هوازن بوفد من كبار زعمائها لمقابلة الرسول ﷺ وإعلان إسلامهم ويقدم التماساً إليه يطلب فيه المنّ على السبي وتحريرهم.

وقد ورد خبر قدومهم في صحيح البخاري[3]: أن رسول الله ﷺ قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين، فسألوه أن يرد إليهم

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٤، ص٤١٤.

(٢) انظر: باشميل: موسوعة الغزوات الكبرى، ج٢، ص١٦٨٤.

(٣) البخاري:الجامع الصحيح، كتاب المغازي، باب قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا﴾، ج٣، ص٣٩٤ ح(٤٣١٨/ ٤٣١٩).

أموالهم وسبيهم، فقال لهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَعي مَن تَرَوْنَ، وأَحَبُّ الحديث إليَّ أصدَقُه، فاخْتاروا إحدَى الطّائفَتَينِ: إمّا السَّبْيَ، وإمّا المالَ، وقد كنتُ استأْنيتُ بكُم، وكانَ أنظَرَهم رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بضْعَ عَشْرةَ لَيلَةً حينَ قَفَل منَ الطّائفِ، فلمَّا تَبَيَّن لهم أنَّ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غيرُ رادٍّ إليهم إلا إحدَى الطّائفَتَينِ، قالوا: فإنا نختارُ سبْينَا، فقام رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المسلمين فأثنى على الله بما هو أهلُه، ثم قال: أمّا بَعْدُ، فإنَّ إخْوانَكُم قد جاؤونا تائبِينَ، وإني قد رأيتُ أن أَرُدَّ إليهم سَبْيَهُم، فمَن أحَبَّ مِنكُم أنْ يُطَيِّبَ ذلكَ فَلْيَفْعَل ومن أَحَبَّ مِنكم أنْ يكونَ على حَظِّه حتَّى نُعْطِيَه إيّاه من أوَّلِ ما يُفِيءُ الله علينا، فلْيفعل، فقال الناسُ: قد طُيِّبنا ذلكَ يا رسول الله، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنّا لا نَدْرِي مَن أذِنَ مِنكُم في ذلكَ ممَّن لم يَأْذَنْ، فارِجعوا حتَّى يَرْفَعَ إلينا عُرَفاؤُكُم أمَركُم فرَجَعَ النّاسُ، فَكَلَّمَهم عُرَفاؤُهمْ، ثمَّ رَجَعوا إلى رسولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبَرُوه أنَّهم قد طَيَّبوا وأَذِنُوا[1].

وعند الواقدي تفصيل أكثر قال: قدم وفد هوازن، وكان في الوفد عمَّ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الرضاعة، قال يومئذ: يا رسول الله، إنما في هذه الحظائر من كان يكْفلُكُ منْ عَمّاتِك وخَالاتِك وَحَواضِنِك وقد حَضَنّاك في حُجُورِنا، وَأَرضَعْنَاك بثدينا، ولقد رأيتك مرضعاً فما

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٤، ص٤١٤-٤١٥.

رأيت مرضعاً خيراً منك ورأيتك فطيماً فما رأيت فطيماً خيراً منك، ثم رأيتك شاباً فما رأيت شاباً خيراً منك، وقد تكاملت فيك خلال الخير ونحن مع ذلك أهل وعشيرة، فامنن علينا مَنّ اللهُ عَليك، فقال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «قد استأنيت بكم حتى ظننت أنكم لا تقدمون وقد قسم السبي وجرت فيهم السهمان» [(١)].

ويؤكد الواقدي إسلام الوفد وإسلام من خلفهم من هوازن وأنهم جاؤوا بإسلام الجميع فيقول: وقدم عليه أربعة عشر رجلاً من هوازن مسلمين، وجاءوا بإسلام من وراءهم من قومهم، فكان رأس القوم والمتكلم أبو صرد زهير بن صرد ثم أنشد أمام رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قصيدة ذكرها الواقدي في المغازي.

ثم قام رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في الناس خطيباً، فقال: «إنّ هَؤُلاءِ القوم جاءوا مسلمين، وقد كنت استأنيت بهم فخيرتهم بين النساء والأبناء والأموال فلم يعدلوا بالنساء والأبناء فمن كان عنده منهن شيء فطابت نفسه أن يرده فليرسل ومن أبى منكم وتمسك بحقه فليرد عليهم، وليكن فرضاً علينا ست فرائض من أول ما يفيء الله به علينا قالوا: يا رسول الله رضينا وسلمنا، قال: فمروا عرفاءكم أن يرفعوا ذلك إلينا حتى نعلم» [(٢)].

---

(١) انظر: الواقدي: المغازي، ص٦٣١.

(٢) انظر: المصدر نفسه، ص٦٣١.

وهكذا حرر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من كان في السبي من هوازن في حنين فأعتقهم جميعاً ومنع أن يجري عليهم الرق[1].

وبهذا وصل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع هوازن إلى هذا الحل، بإعادة نسائهم وأبنائهم، مع إشعارهم أنه معهم قلباً وقالباً، واقنع المسلمين في ذات الوقت بترك الأسرى والسبي ابتغاء مرضاة الله عَزَّ وَجَلَّ، أو يعوضهم مما يفيء الله عليه في المستقبل وترك لهم الغنائم.

وما فعله الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو منتهى الحكمة، وبه انتهت مشكلة هوازن، ودخلت في الإسلام بنفس راضية، وقد تيقنت أنها تتعامل مع رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وليس مجرد زعيم أو قائد، وما اعتقد أن في تاريخ الأمم مثل هذا الرقي في التعامل مع العدو بعد النصر ولم يكن هذا ليحدث لولا أن إسلام القوم كان أحب إلى قلب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أموالهم وغنائمهم، ولولا أن القتال كان خالصاً لله عَزَّ وَجَلَّ، فما أعظم عفوك يا رسول الله[2]!



---

(١) انظر: باشميل، موسوعة الغزوات الكبرى، ج٢، ص١٦٨٨.

(٢) انظر: راغب السرجاني، أخلاق الحروب في السنة النبوية، ص١٧٢، (ط١، مؤسسة اقرأ، القاهرة، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م)، ص١٧٢.

٦- عفو النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ثمامة بن أثال الحنفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(١)] وإسلامه

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (بعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خيلاً قبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له: ثُمامةُ بن أُثَالٍ، فربطُوه بساريةٍ من سواري المسجد، فخرج إليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: « ما عندَكَ يا ثُمامةُ؟ فقال: عِنْدي خَيرُ يا محمَّدُ، إنْ تَقْتُلْني تَقْتُلْ ذا دَمٍ، وإنْ تُنعِم تُنعم على شاكِرٍ، وإن كنت تُرِيدُ المَال فسَلْ منه ما شِئْتَ، فتركه حتَّى كانَ الغَدُ، ثمَّ قال له: ما عندك يا ثُمامةُ؟ قال: ما قلتُ لَكَ. إن تُنعِم تُنعِم على شاكِرٍ، فَتَرَكَه حتَّى كانَ بعدَ الغَد، فقال: ما عندَكَ يا ثُمامةُ؟ فقال: عِنْدي ما قلتُ لَكَ. فقال: أطلِقوا ثُمامةَ فانطَلَق ثُمامةَ إلى نَخلٍ قَرِيبٍ منَ المسجِد، فاغتَسَلَ ثمَّ دَخَلَ المسجدَ، فقال: أشهَدُ أنْ لا

---

(١) هو ثمامة بن أثال بن النعمان بن مسلمة بن عتبة بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدؤل بن حنيفة الحنفي، أبو أمامة اليمامي، أسلم وقدم مكة معتمراً فقال: "والذي نفسي بيده لا تأتيكم حبة من اليمامة -وكانت ريف أهل مكة- حتى يأذن فيها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"، وقد ثبت على إسلامه لَّما ارتد أهل اليمامة، وارتحل هو ومن أطاعه من قومه، وذكر له مقاماً حسناً في الردة، والإذكار على بني حنيفة في أبيات وهي:

اهم يترك القــول ثــم يردني   إلى القــول إنعامُ النبي محمد
شكرت له فكي من الغل بعدما   رأيت خيالاً من حُسام مهند

انظر: ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص٣٦١-٣٦٢.

إِلَه إِلَّا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، يا محمَّدُ، والله ما كان على الأرض وجُه أبغَضَ إليَّ من وجِهكَ، فقد أصبَحَ وجهُكَ أحَبَّ الوجوه إليَّ، والله ما كان من دِينٍ أبغَضَ إليَّ من دِينكَ، فأصبَحَ دِينُكَ أحَبَّ الدِّين إليَّ، والله ما كان من بَلَدٍ أبغَضَ إليَّ من بَلَدِكَ، فأصبَحَ بَلَدُكَ أحَبَّ البِلاد إليَّ، وإنَّ خَيلَكَ أَخَذْتني وأنا أُرِيدُ العُمْرَة، فماذا تَرَى، فَبشَّرَه رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأَمَره أَنْ يَعْتَمِرَ، فلما قدم مكة قال له قائل: صَبَوْتَ؟ قال: لا، ولكنْ أسلَمْتُ معَ محمَّدٍ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،ولا الله لا يأتيكُم من اليَمامِة حَبّةُ حِنْطةٍ حتَّى يَأْذَنَ فيها النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) [(١)].

قال ابن حجر: وفي قصة ثمامة من الفوائد، ربط الكافر في المسجد، والمنَّ على الأسير الكافر، وتعظيم أمر العفو عن المسيء؛ لأن ثُمامةُ أقسم أن بغضه انقلب حباً في ساعة واحدة لما أسداه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليه من العفو والمن بغير مقابل.. وفيه الملاطفة مع من يرجى إسلامه من الأسارى إذا كان في ذلك مصلحة للإسلام، ولاسيما من يتبعه على إسلامه العدد الكثير من قومه[(٢)].

---

(١) البخاري: الجامع الصحيح، كتاب المغازي، باب وفد حنيفة وحديث ثمامة بن أثال، ج٣، ص٤١٨، ح(٤٣٧٢).

(٢) ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج٨، ص٨٨.

فهذه المعاملة الكريمة من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تركت في نفس ثمامة أثراً طيباً حتى إنه أسلم لله رب العالمين من ساعته، دون ضغط أو إكراه، بل إن إسلامه ولد قوياً إلى الدرجة التي دفعته إلى مقاطعة قريش من أجل أنها تحارب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مضحياً بذلك بثروة هائلة كانت تأتيه من تجارته معها، ومضحياً كذلك بعلاقات اجتماعية مهمة مع أشراف قريش.

لقد كان إسلام ثمامة على قدر كبير من التشبع والقناعة، مع أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يدعه إلى الإسلام دعوة مباشرة، ولا جعل إسلامه ثمناً لفكاكه، ولكن قناعة ثمامة بالإسلام تكونت من خلال مشاهدته للبرنامج اليومي للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمسلمين معه في أعظم مجمع لهم، وهو المسجد.. وسماعه لآيات القرآن تتلى في صلوات الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكان فيما رآه وسمعه برهاناً عملياً بصحة الرسالة، وصدق الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فآمن هذا الإيمان القوي الواثق، حتى دفعه هذا الوثوق بأن صدع بإسلامه بين ظهراني قريش(١).



(١) انظر: الطريري: قصص نبوية، ص١١٥.

٧- إسلام سَفّانة بنت حاتم الطائي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[(١)]

روى الإمام أحمد عن عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (جاءت خيل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخذوا عمتي وناساً وفي رواية أختي سفانة، فلما أتوا بهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فصفوا له، قالت: يا رسول الله تأنى الوافد، وانقطع الوالد، وأنا عجوز كبيرة ما بي من خدمة، فمَّن عليَّ مَنّ الله عليك قال: من وافدك، قالت: عدي بن حاتم، قال: الذي فر من الله ورسوله، قالت: فَمُنّ عليّ، قالت: فلما رجع ورجل إلى جنبه نرى أنه علي، قال: سليه حملاناً، قالت: فسألته، فأمر لها، قال فأتتني فقالت: لقد فعلت فعلة ما كان أبوك يفعلها، إئته راغباً أو راهباً، فقد أتاه فلان فأصاب منه، وأتاه فلان فأصاب منه قال: فأتيته، فإذا عنده امرأة وصبيان أو صبي، فعرفت أنه ليس ملك كسرى ولا قيصر، فقال: يا عدي بن حاتم ما أفرك أن يقال: لا إله إلا الله، فهل من إله إلا الله، ما أفرك أن يقال: الله أكبر؟ فهل من شيء هو أكبر من الله عَزَّ وَجَلَّ، قال: فأسلمتُ فرأيت وجهه استبشر، وقال: إن المغضوب عليهم اليهود، وإن الضالين هم النصارى)[(٢)].

---

(١) هي سفانة بنت حاتم بن عبدالله بن سعد الحشرج بن امرئ القيس بن عدي الطائي، أسلمت وحسن إسلامها. ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٨، ص١٩٨.

(٢) الإمام أحمد بن حنبل: المسند، ج٤، ص٣٧٨، الترمذي: سنن الترمذي، ج٥، ص٢٠١-٢٠٣، ح(٢٩٥٣)؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج٣، ص٦٤.

وتعطي كتب السيرة والتاريخ تفصيلاً أكثر حيث أسرت ابنة حاتم الطائي وهوالمشهور بالكرم في الجاهلية فجعلت مع السبايا في حظيرة بباب المسجد فمر بها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقامت إليه، وكانت امرأة جزلة فقالت: يا رسول الله هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنن عليّ منّ الله عليك، قال: ومن وافدك؟ قالت: عدي بن حاتم، قال: الفار من الله ورسوله.

ثم مضى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتركها حتى إذا كان الغد مر بها، فقالت له مثل ذلك، فرد عليها مثل ما قاله بالأمس، حتى إذا كان بعد الغد مر بها وقد يئست، فأشار إليها علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن قومي فكلميه، ففعلت، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قد فعلت، فلا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون له ثقة حتى يُبلغك إلى بلادك، ثم آذنيني، تقول ابنه حاتم الطائي وأقمت حتى قدم ركب من بلي[1] أو قُضَاعة[1]، وإنما أريد أن آتي أخي بالشام، فجئت فقلت: يا

---

(١) قبيلة بلي: هم بني بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة وما بعد قضاعة مختلف فيه بين قولين هما:

١- أنه قضاعة بن معد بن عدنان.

٢- أنه قضاعة من مالك بن حمير بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

وأولاد بلي هما: فران وهنيئ. انظر: ابن سيد الناس: عيون الأثر في فنون الغازي والسير، ص٣١١.

رسول الله قد قدم رهط من قومي لي فيهم ثقة وبلاغ، قالت: فكساني، وحملني، وأعطاني نفقة، فخرجت معهم حتى قدمت الشام[٢].

قال عدي: فو الله إني لقاعد في أهلي، إذ نظرت إلى ظعينة تصوب إليَّ تؤمنا، قال: فقلت ابنة حاتم، قال: فإذا هي هي، فلما وقفت عليَّ انسحَلَتْ، تقول: القاطع الظالم، احتملتَ بأهلك وولدك، وتركت بقية والدِكَ عَوْرتكَ، قال: قلت: أي أُخية لا تقولي إلا خيراً، فوالله ما لي من عذر، لقد صنعت ما ذكرت. قال: ثم نزلت فأقامت عندي، فقلت لها: وكانت امرأة حازمة، ماذا ترين في أمر هذا الرجل؟ قالت: أرى والله أن تلحق به سريعاً، فإن يكن الرجل نبياً فللسابق إليه فضله، وإن يكن ملكاً، فلن تّذِل في عِزّ الْيَمَن، وأنت أنت. قال: قلت: والله إن هذا الرأي.

---

(١) هو قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير، وأم قضاعة هي مغالة بنت جوشم بن جلهمة بن عامر بن عوف بن علي بن دب بن جرهم، وهم من أكثر العرب عدداً وأشدهم بأساً وأوسعهم دياراً في عصر الخلافة الراشدة، وهم فخائذ وبطون كثيرة، منهم: بنو جهينة، وبنو بهراء، وبنو نهد، وبنو بلي، وبنو مهرة، وبنو كلب، وبنو عذرة، وغيرهم الكثير، وكانت قضاعة تسكن اليمن وشمال الجزيرة العربية وغربها والشام. انظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص١٨٠.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٤، ص٤٨٩؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٢٤؛ السهيلي، الروض الآنف، ج٤، ص٣٦١؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٣، ص٦٤؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر في المغازي والسير ص٤٠٦؛ الصالحي: سبل الهدى والرشاد، ج٦، ص٥٧٧-٥٧٨.

نرى بوضوح في هذا الموقف أثر التعامل الإنساني الرحيم من رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع هذه الأسيرة، حيث مَنّ عليها صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما استعطفته ثم لم يرضَ أن تخرج منفردة وحيدة، بل طلب منها ألا تتعجل بالخروج حتى تجد من قومها من يكون ثقة فتسير معه، كما نلاحظ في الموقف أيضاً التعاطف من الصحابة الكرام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ مع الأسرى فها هو علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يشير لإبنة حاتم الطائي أن تكلم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الوقت المناسب، حتى يمن عليها ويطلق سراحها، وهذا ما تم بالفعل، ثم إنها تشهد بنفسها أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قدم الوفد الذي وجدت فيه بغيتها من الأمن بالثقة كساها، وأعطاها ما يحملها، وأعطاها أيضاً نفقة تكفيها حتى تصل إلى قومها آمنة وفي راحة وسلامة وهذا الموقف جعلها تسلم وتحث أخاها عدي على الوفود إلى رسول الله، ومثل هذا التعامل الأخلاقي والرحمة والكرم كان دافعاً لكثير من قومها وغيرهم للدخول في الإسلام.





الخاتمــــة

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، وبعد:

فأحمد الله ﷻ وأشكره على أن وفقني إلى كتابة هذه البحث، وأعانني على إتمامه، وإنجازه، وقد توصلت من خلال دراستي لهذا الموضوع إلى نتائج أعرض لأهمها على النحو التالي:

-أن أخلاق النبي ﷺ كانت معروفة منذ أن شب وترعرع وقبل بعثته، حيث أدبه ربُّه، ونشأ على مكارم الأخلاق واستمر عليها بعد بعثته إلى وفاته.

-أنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان يترجم القرآن العظيم بأخلاقه في جميع وقائعه وأفعاله وأقواله التي كانت مرآة لعظمة القرآن كله.

-إتزان أخلاقه ﷺ بحيث لم يطغى خلق على آخر.

-ثبات أخلاقه ﷺ ثباتاً راسخاً مدة حياته، بحيث لم يحصل منه ما يناقض أخلاقه العظيمة في أي حال من الأحوال.

-عظم الأثر الذي تركته أخلاقه ﷺ في النفوس من خلال الوقائع التاريخية التي كشفت لنا طيب المعاملة وحسن الخطاب والكرم والوفاء والعفو والمن والصفح وبالتالي ظهرت الفائدة المرجوة والغاية النبيلة وهي انتشار الإسلام انتشاراً عظيماً.

-إن حقيقة المحبة للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي في سلوك طريقته وهديه، واتباع سنته وتطبيقها في واقع حياتنا وسلوكنا محبة وتقديراً وإجلالاً وتعظيماً.

-استخراج الدروس والعبر من وقائع السيرة النبوية وتحليلها لإبراز الآثار الباهرة التي ترجمتها أخلاقه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وطيب معاملته.

-معرفة المنهج الدعوي للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من خلال دراسة السيرة النبوية بمختلف وقائعها وأحداثها، وكيف تعامل مع أخطاء الناس، وجفاء الأعراب، ومكايد الأعداء، ودسائس المنافقين.

-كان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رؤوفاً رحيماً، حريصاً على هداية الخلق إلى الحق.

-كان حكيماً في معالجة المشكلات في الوقائع المختلفة.

-كان حليماً يعذر الجاهل حتى يتعلم ويهتدي إلى طريق الحق.

-من خلال منهجه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدعوة وبأخلاقه العظيمة استطاع إخراج الأمة من ظلمات الجهل والتعصب والشتات والتفرق، إلى نور الإسلام، وهداية الرحمن، والترقي في ذلك حتى كانت خير أمة أخرجت للناس.

-التمسك بالدين والصبر على ما يلاقي في طريق الدعوة، فقد لقي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صنوفاً من الأذى في سبيل الدعوة إلى الله،

وإبلاغ ما أنزل إليه من ربه، ورسول الله ناله الأذى المعنوي والجسدي، فضرب وحوصر، وأخرج من أرضه وأحب البلاد إليه، وحاولوا اغتياله وقتله مرات عديدة، فصبر وضحّى بذلك حتى أظهره الله عليهم ومكنّه منهم يوم الفتح، فما انتقم ولكن عفا وأكرم.

-عدم اليأس والثقة بنصر الله لدينه ولأوليائه الصالحين، فالمطلع على سيرة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسير دعوته، يرى انتقالها من نصر إلى نصر، وازدياد أتباع الدعوة من أهل مكة ثم من النزاع من القبائل رغم الأذى الشديد والمواجهة القوية من المشركين، وتنويعهم الأساليب في محاربة الدعوة وأهلها ويدرك بكل يقين عظمة أخلاق النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وطيب معاملته وحسن خطابه وعاقبة ذلك في التمكين والنصر لدين الله وحملته، وهذا مما يقوي الثقة في نفوس المؤمنين في كل مكان وكل زمان بأن يجدَّوا ويجتهدوا ويثبتوا حتى يأتيهم النصر جاعلين أخلاق النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبراساً يضيء لهم طريقهم[(١)].

-التعرف على أخلاق النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الجهاد وآثارها في تحرير الأمم والشعوب، وإزالة الظلم عنها، وإخراجها من الظلمات وعبادة الطاغوت إلى عدل الإسلام ورحمته، وتحكيم شرعه الذي

---

(١) السلمي، محمد بن صامل: السيرة النبوية أهميتها، أقسامها، مقاصد دراستها، (ط١، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م)، ص٥٦.

ضمن لهم المساواة وتحقيق الإنسانية الحقة، وممارسة الإنسان لحقوقه الطبيعية كما أراد له خالقه، فأتيحت له الحرية، وأزيلت من أمامه العوائق التي تمنعه من الاختيار الصحيح، فإن الجهاد كما هو معلوم ليس لإجبار الناس على اعتناق الإسلام، وإنما هو لإزالة الموانع والحواجز والأنظمة التي تصد عن سبيل الله ولا تتيح الحرية للناس ليختاروا لأنفسهم بعد تمعن وتأمل في دلائل التوحيد، حتى يروا أمام أعينهم النموذج الأخلاقي المثالي مطبقاً في الواقع بكل عدله واستقامته فيدخلون في دين الله أفواجاً طائعين راغبين(١).

-تبين من خلال الدراسة أثر أخلاقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سرعة من عاشره عن قرب إلى الدخول في الإسلام كأبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وخديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وربيب بيت النبوة علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومولاه زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فكانوا من السابقين الأوائل في الدخول في الدين الإسلامي.

-أوضح البحث رقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حسن الخطاب والحوار حتى استطاع أن يجذب سامعيه ويلامس برحمته وطيب معاملته قلوبهم فدخلوا في دين الله معلنين محبتهم وولائهم لله ورسوله.

---

(١) محمد بن صامل السلمي: المصدر السابق، ص٥٦.

-أظهرت الدراسة أثر كرمه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تأليف القلوب عليه فقد كان بالغاً جداً ويدل على ذلك عطاؤه العظيم في غزوة حنين حيث كان يعطي الرجل غنماً بين جبلين فيرجع إلى قومه فيقول: يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء لا يخشى الفاقة، وكان من أولئك صفوان بن أمية، والأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن، وأبو سفيان بن حرب... وغيرهم.

-تبين من خلال الدراسة أن كرمه وعطاؤه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان عند كل مغنم، وكل مال يجبى إليه، ولا ريب أن مثل هذا الكرم والعطاء يملك القلوب ويؤثر فيها تأثيراً بالغاً.

-كما بين البحث أنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يتألف قلوب أعدائه عليه ما استطاع إلى ذلك سبيلا، فكان يداري أي يلاين ويلاطف أعداءه من كفار ومنافقين، يتألفهم بذلك، علَّ الله أن يهديهم للإسلام فيعفو عن من أراد قتله ومن هجاه من الشعراء، ومن أساء له بقول وفعل.

-من خلال دراسة عفو النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصفحه اتضح أن لعفوه وصفحه دلالة واضحة على أخلاقه الكريمة التي ترتبت عليها ثمرات إيجابية كبيرة، فقد كان يساء له صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأبي هو وأمي، فلا يكاد يتغير لذلك، فما يلبث العدو أن ينقلب إلى ولي، يؤمن به ويُحبه ويستعد للاستماتة في الدفاع عنه وعن الدين الذي جاء به ويدعوا إليه، وذلك كما في عفوه عمن كان يعزم على اغتياله، فيتمكن عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ منه، فلا يؤاخذه بذلك، فما يبرح أن يشهد شهادة الحق ووضح البحث

على ذلك وقائع تاريخية عديدة.

-أبرزت الدراسة ما كان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من الرحمة والإنسانية في إطلاقه لأسرى الحرب ومَنَّه عليهم بدون فداء، فيملك رقابهم بالإحسان حيث أكد البحث على ذلك في وقائع تاريخية عديدة، وكان لهذا المن ثمرة كبيرة كان يتشوق إليها رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ألا وهي دخولهم في الإسلام رغباً أو رهباً، فمن دخله رغبة فذاك، ومن دخله رهبة لم يكد يمر عليه وقت حتى تمكن منه وخالط بشاشة قلبه، وبذلك أنقذهم النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من النار، وضمن نصرتهم له وللإسلام الذي جاء به، وحملوا رايته إلى أقطار الأرض، وأضحوا بعد ذلك أئمة الأمة وقاداتها في أمور دينها ودنياها.

أما عن أهم التوصيات، فهي كالتالي:

-إن ما نشاهده اليوم من خلل وفوضى وتردي منزلة الأخلاق بين المسلمين أدت إلى انتقاص رقعة الإسلام واضطهاد أبنائه، لهو ناتج عن عدم تخلق المسلمين بآداب الإسلام وتعاليمه، ولعل في إحياء نفوسهم بأخلاق رسولهم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآدابه أول الطريق لإعادة نور الإسلام وانتشاره وعظمته.

-أوصي أن يكون للوقائع التاريخية المتعلقة بأخلاق النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأثرها في انتشار الإسلام نصيب من العناية الكبرى في جميع مراحل الدراسة.

-أوصي العمل على تشجيع الباحثين إلى إبراز جانب وقائع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المتعلقة بأخلاقه وأثرها في انتشار الإسلام حتى تحيا في المجتمعات الإسلامية الروح الأخلاقية الكريمة التي كان عليها سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والتي تمثلها أصحابه الكرام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ فكانت سلاحاً فعالاً عظيماً في جذب الناس للإسلام، حيث كانت الأمم تدخل في الإسلام لتأثرها بأخلاق المسلمين الذين يصلون إلى بلدانهم دعاة أو فاتحين كما ثبت تاريخياً من أحوال انتشار الإسلام.

ولا يسعني إلا أن أدعو الله جل في علاه أن يتقبل مني هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ويجعله لي ذخراً يوم ألقاه، وأن يعم النفع به عامة المسلمين، وأن يحشرني في زمرة سيد الأولين والآخرين،

ويُشفعه فينا وفي والدينا وأزواجنا ومشايخنا وأحبائنا إلى يوم الدين، وأن يسقينا من حوضه الشريف ومن يده الكريمة شربة لا نظمأ بعدها أبداً.

* وصل اللهم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين *



الفهارس

- فهرس المصادر والمراجع
- فهـــرس الموضوعـــات

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم (جل منزلة وعلا):

ثانياً: المصادر:

- ابن الأثير: الإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد (٦٠٦هـ).

- النهاية في غريب الحديث والأثر، تعليق: أبو عبدالرحمن صلاح، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

- ابن الأثير، الإمام عز الدين أبي الحسين علي بن محمد الجزري (٦٣٠هـ).

- أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: خليل مأمون شيحا، ط٢، دار المعرفة، بيروت ١٤٢٤هـ - ٢٠٠١م.

- اللباب في تهذيب الأنساب: دار صادر، بيروت.

- الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

- ابن تيمية : أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام (٧٢٨هـ).

- الإيمان، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ط٥، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

- ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي؟
– الثقات، (مراقبة: محمد عبدالمعيد خان، المعارف العثمانية بحيدر آباد، الهند، ط١، ١٩٣٩هـ/١٩٧٣م)، ج٣، باب الواو، ص٤٢٤-٤٢٥.

- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت٨٥٢هـ-١٤٨م).
– فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ط١، دار السلام، الرياض، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
– الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: خيري سعيد، المكتبة التوفيقية، مصر.

- ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (٤٥٦هـ).
– جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة.

- ابن حنبل: أحمد بن حنبل (٢٤١هـ).
– المسند، ط١، دار الرسالة، بيروت، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

- ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر.

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار الصادر، بيروت، د ت، دط.

- ابن سعد، محمد بن سعد الزهري (ت٢٣٠هـ).

- الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

- ابن سيد الناس: أبو الفتح محمد بن محمد ابن سيد الناس اليعمري (٧٣٤هـ).

- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تحقيق: محي الدين مستو، مكتبة دار التراث ، المدينة المنورة.

- ابن عبدالبر، أبي عمر يوسف (ت٧٣٧هـ).

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: خليل مأمون شيحا، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

- ابن قيم الجوزية: الإمام شمس الدين أبي عبيدالله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (ت٧٥١هـ).

- زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عبدالقادر الأرناؤوط٤، دار الرسالة، بيروت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

- ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر (٧٧٤هـ).

– البداية والنهاية، تحقيق: أحمد جاد، دار الحديث ، القاهرة، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

– تفسير القرآن العظيم، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٩هـ - ٢٠٠٨م.

– السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبدالواحد، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٥هـ - ١٩٧م.

- ابن منظور: أبي الفضل جمال الدين محمد (ت٧١١هـ - ١٣١م).

– لسان العرب، ط٣، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

- ابن هشام، أبو محمد عبدالملك بن هشام المعافري (ت٢١٣هـ - ٨٢٨م).

– السيرة النبوية، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

- أبو الطيب: محمد شمس الحق العظيم أبادي (١٣٢٩هـ).

– عون المعبود شرح سنن أبي داود، تحقيق: عبدالرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة.

- أبو داود: سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (ت٢٧٥هـ).

– سنن أبي داود، تحقيق: محمد عوامة، ط٣، قرطبة، بيروت، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

- أبو نعيم: أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن موسى.

– معرفة الصحابة، تحقيق: عادل يوسف الفزاوي، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

- البخاري ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (٢٥٦هـ).

– الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه، وأيامه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، ط١، دار الرسالة العالمية، دمشق، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

- البلاذري: أبي العباس أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ).

– فتوح البلدان، تحقيق: عبدالله أنيس الطباع، عمر أنس الطباع، بيروت.

- البيهقي، أبي بكر أحمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ).

– دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تعليق: عبدالمعطي قلعجي، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

- الترمذي: أبي عيسى محمد بن عيسى (ت٢٧٥هـ).

– الجامع الصحيح، سنن الترمذي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، سعيد اللحام، دار الرسالة العالمية، دمشق، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

- الحاكم: الإمام أبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري (٤٠٥هـ).

– المستدرك على الصحيحين، تعليق: أبي عبدالله عبدالسلام بن محمد، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

- الحموي: الإمام شهاب الدين أبي عبيدالله ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ).

– معجم البلدان، ط٨، دار صادر، بيروت، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

- الدار قطني: علي بن عمر (٣٨٥هـ).

– سنن الدارقطني، تحقيق: عادل أحمد، علي محمد، دار المؤيد، الرياض، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

- الذهبي ، شس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ - ١٣٤٨م).

– سير أعلام النبلاء ، تعليق: محمد الشبراوي، دار الحديث ، القاهرة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٦.

– تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير، القاهرة ١٣٦٧هـ، تحقيق: عبدالسلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١١هـ.

- الزبيدي: محمد مرتضى (١٠٢٥هـ).

– تاج العروس من جواهر القاموس، ط١، مكتبة الحياة، بيروت.

- الزركلي: خير الدين (١٣٩٦هـ).

– الأعلام، ط١٥، دار العلم، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

- السهيلي: أبي القاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي (٥٨١هـ).

– الروض الأنف، تعليق: مجدي بن منصور بن الشوري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.

- السيوطي، الإمام جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ).

– تاريخ الخلفاء، تحقيق: إبراهيم صالح، ط١، دار صادر، بيروت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٧م.

– سنن النسائي: شرح الحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق: مكتبة التراث الإسلامي، ط٧، دار المعرفة، بيروت، ١٤٣٩هـ - ٢٠٠٩م.

- الصالحي: الإمام محمد بن يوسف (٩٤٢).

– سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق : مصطفى عبدالواحد، القاهرة، ١٤١٩هـ -١٩٩٧م.

- الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب، أبو القاسم (٣٦٠هـ).

– المعجم الكبير، تحقيق: حميد عبدالمجيد السلفي، ط٢، مكتبة العلوم والحكم ، الموصل، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.

- الطبري : محمد بن جرير (٣١٠هـ).

– تاريخ الأمم والملوك، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

– جامع البيان في تأويل القرآن ، تحقيق: محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

- الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري.

– الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، ط٤ ، دار العلم للملايين ، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

- الفيروز آبادي: أبي طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب (٨١٧هـ).

– القاموس المحيط، ترتيب: حسان عبدالمنان، ط٣، بيت الأفكار الدولية، الأردن.

- القرطبي: أبي عبيدالله محمد بن أبي بكر (٦٧١هـ).

– الجامع لأحكام القرآن، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧هـ - ٢٠٠٦م.

- القسطلاني: أحمد بن محمد (٩٢٣هـ).

– المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، تحقيق: صالح أحمد الشامي، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

- القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي (ت٨٢١هـ).

– نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

– قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق : إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

- الكلبي، هشام بن محمد.

– جمهرة النسب، تحقيق: ناجي حسن، ط١، عالم الكتب ، بيروت، ١٤٠٧هـ، - ١٩٨٧م.

- مسلم بن الحجاج القشيري (ت٢٦١هـ - ٨٧٥م).

– الجامع الصحيح ، صحيح مسلم، دار الجبيل، بيروت.

- المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ -١٤٤١م).

– أمتاع السماع بالنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمد عبدالحميد النميسي، ط١، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

- النووي: محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الدين (ت٦٧٦هـ).

– المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق: خليل مأمون شوحا، ط١٧، دار المعرفة، بيروت، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

- الواقدي: محمد بن عمرو بن واقد (٢٠٧هـ).

– المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، ط١، عالم الكتب، بيروت ١٤١٧هـ - ٢٠٠٦م.

ثالثاً: المراجع:

- إبراهيم بن إسحاق الحربي.

– غريب الحديث، تحقيق: سليمان بن إبراهيم العابد، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٥هـ.

- أبو بكر جابر الجزائري.

– هذا الحبيب محمد ﷺ يا محبي ، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

- أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبدالله البغدادي.

– غريب الحديث، تحقيق: محمد عبدالمعيد خان، ط١، دائر المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

- أبو منصور محمد بن أحمد الأزهر.

– تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.

- أحمد الحداد.

– أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة، ط، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

- أحمد الزيات، حامد عبدالقادر، محمد النجار.

– المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، تركيا.

- أحمد مختار عبدالحميد عمر.

– معجم اللغة العربية المعاصرة، ط١، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

- أكرم ضياء العمري.

– السيرة النبوية الصحيحية، ط٧، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٤٨هـ- ٢٠٠٧م.

- الحسيني معدي.

– محمد ﷺ في عيون غربية منصفة، ط١، دار الكتاب العربي، دمشق، ١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م.

- حمود بن جابر الحارثي.

– دعوة النبي ﷺ للأعراب، ط١، دار السلم، الرياض، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

- حنان اللحام.

– هدي السيرة النبوية في التغيير الاجتماعي ، ط١، دار الفكر ، دمشق، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

- راغب السرجاني.

– أخلاق الحروب في السنة النبوية، ط١، مؤسسة اقرأ، القاهرة، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠م.

- سليمان العودة.

– قضايا ومباحث في السيرة النبوية، ط١، دار الإسلام، الرياض، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

- صالح الشامي.

– من معين السيرة، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

- صفي الرحمن المباركفوري.

– الرحيق المختوم، ط١، دار الكتاب والسنة، باكستان، د.ت.

- عاتق البلادي.

– معجم المعالم الجغرافية، ط١، دار مكة، مكة المكرمة، ١٤٠١هـ – ١٩٨٢م.

- عبدالرحمن بن ناصر السعدي.

– تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

- عبدالوهاب ناصر الطريري.

– قصص نبوية، ط٢، الإسلام اليوم، الرياض، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.

- علي محمد الصلابي.

– السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

– الإنشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق، دار التوزيع ، القاهرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

- عمر رضا كحالة.

– معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، ط٣، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

- محمد السيد الوكيل.

– تأملات في سيرة الرسول ﷺ، ط١، دارالمجتمع ،جدة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

- محمد أمحزون.

– منهج النبي ﷺ في الدعوة من خلال السيرة الصحيحة، ط١، دار السلام، القاهرة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

- محمد بن أحمد باشميل.

– موسوعة الغزوات الكبرى، ط٣، دار الفضيلة، السعودية، دار الهدي النبوي، مصر، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

- محمد بن سيدي الشنقيطي.

– منهج الرسول ﷺ في دعوة أهل الكتاب ، مكتبة أمين محمد أحمد سالم.

- محمد بن صامل السلمي .

– السيرة النبوية (أهميتها، أقسامها، مقاصد دراستها)، ط١، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

- محمد بن فتوح بن عبدالله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحميدي.

- تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، تحقيق: زبيدة محمد سعيد عبدالعزيز، ط١، مكتبة السنة، القاهرة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

- محمد حسن شراب.

- المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، ط١، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

- محمد رشيد رضا.

- تفسير المنار، ط٢، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م.

- محمود شاكر.

- الخلفاء الراشدين، ط٥، المكتب الإسلامي، ١٤١١هـ - ١٩٩٢م.

- مهدي رزق الله.

- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ط٣، دار إمام الدعوة، الرياض، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م.

- صفوة السيرة النبوية في سيرة خير العباد، ط١، دار إمام الدعوة، الرياض، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

• ناصر الحارثي.

– المعجم الأثري لمنطقة مكة المكرمة ، لجنة المطبوعات في التنشيط السياحي، الطائف، ٢٠٠٣م.

رابعاً: رسائل الماجستير:

• سليمان بن عبدالعزيز الدويش.

– أسلوب الترغيب في دعوة النبي ﷺ، قسم الدعوة والاحتساب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

• عبدالله الفالح.

– الشعر ودوره والدعوى، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

خامساً: الدوريات والمجلات :

• راغب السرجاني.

– سلسلة السيرة النبوية بين حنين والطائف، موقع إسلام ويب (is iamwebenel. 1431)

• رشاد لاشين.

– مقال بعنوان(عظمة محمد مع أطفال غير المسلمين) جامعة الزقازيق ، الشريعة الإسلامية، منشور في موقع رسول الله ﷺ.

- عصام محمود.

– حوارات النبي ﷺ مع أهل الكتاب وعلى أي شيء نتحاور، مجلة جامعة المدينة المنورة المحكمة، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، قسم الدعوة وأصول الدين، رقم ٩٧٣٥- ٢٢٣١ (http://maqazine.mediu.edu.mq)

- مجلة نداء الإيمان:

– وقف لوجه الله تعالى، قصة الراعي الأسود في غزوة خيبر، برعاية المجموعة الوطنية للتقنية (www.aleman.com)

- مقال بعنوان: (بر الرسول ﷺ مع مالك بن عوف) موقع قصة الإسلام (http://www.islams torq.com)

فهرس الموضوعات

